ألطبابَةُ آلكوْنيّةُ

كتابٌ كونيٌّ سيُغيّرُ طريقةَ تفكيركَ و أحكامكَ لمعرفةُ ألحقيقة

ألجّزء ألأوّل

ألعارف ألحكيم عزيز حميد مجيد

سنةُ آلتأليف / 2005م

دوائك فيكَ و ما تُبصــرُ   و دَائك منــكَ و مَا تَشــعرُ
و تَزعمُ أنّكَ جُرمٌ صغيرٌ   و فيكَ إنطوى آلعالم آلأكبـرُ

ألأمــام عليّ بن أبي طالـب

فهرست المواضيع	رقم آلصّفحة

ألمُقدمة 10
ألمُشكلة ألتكوينيّة للبشر.......... 15
أصل الشّر في آلوجود.......... 22
ألشّر و آلخير في آلطبيعة ألبشريّة.......... 29
متطلّبات إشاعة ألخير و درأ ألشّر.......... 45
حقيقة و دور ألعرفان في سعادة ألبشر.......... 49
بعض ألأسفار ألرّوحيّة للعرفاء و آلحُكماء.......... 54
ألطريق للطبابة الكونيّة ـ العرفانيّة 61
ألمفاتيح ألمعرفيّة ألكونيّة.......... 64
ألطّب ألكونيّ أو أسفار ألرّوح.......... 69
ألبناء آلفكريّ أوّلاً.......... 75
دور طبيعة ألفكر في تقويم ألخيال.......... 81
كيف نستثمر ألخيال.......... 89
ألخيال بين آلحقيقة و آلوهم.......... 95
مصاديق آلخيال ألخصب.......... 110
أسباب ألرّكود ألحضاريّ.......... 117
ألعوامل المؤدّية لأنحراف ألفكر.......... 134
نتيجة ألبحوث ألسّابقة بإختصار.......... 148
ألخاتمة.......... 151

بسم آلله ألرّحمن ألرّحيم

لقد أدّى إنحراف ألدّيانات و آلعقائد ألسّماويّة تلتها النّظريات ألماديّة و آلأسلاميّة و آلمذهبيّة و ألحزبيّة و آلألحاديّة إلى إضعاف .. بل ومسخ إنسانيّة ألأنسان و آلقضاء على عقلانيته و وجدانه ألّذي يُمثل صوت الله في وجوده و بآلتالي طريقة ألحكم على الآخرين حيث يتعدّى مُجرّد ألأطر ألماديّة ألمحدودة إلى فضاء ألكون لتصبح أحكامهُ كونيّة, فلو كان آلأنسان مجرّد جسدٍ ماديّ كما يعتقد أكثر ألنّاس للأسف و ينتهي بآلموت فجأة أو بعد إصابته بآلأمراض و آلفايروسات ألمُختلفة؛ فإنّ حياته تخلو من آلمعنى و آلمغزى و (العلّة الغائيّة) ألتي خُلق لأجها لتحقيق رسالته .. و في هذا آلوضع مآلذي يمنعهُ من آلقيام بكلّ ما يُثيرهُ و يشتهيه حتى لو تعدّى على كرامة و حقوق ألخلق ليحلّ آلفوضى و آلظلم و آلطبقيّة و آلشّر بين آلنّاس؟

لهذا لا يُمكن إطلاقاً خلوّ ألحياة .. و آلوجود من غاية علويّة تتّصل بآلمطلق ألذي يستحيل معرفته ثمّ حُبّهُ؛ إلّا عن طريق ألعرفان و آلأسفار ألكونيّة لمنع إندفاع البشر في حال غياب غاية ألغايات إلى آلشّر و آلعنف و آلتكبر في وجوده و كما حصل عبر التأريخ و تفاقم في يومنا هذا رغم آلتطور ألتكنولوجيّ بحيث إستغلّ طلاب الدّنيا من آلمدّعين و الحُكّام حتى آلدّين و آلقيم و آلمصطلحات ألجّذابة كآلدّيمقراطية و العدالة لتحقيق شهواتهم الماديّة و النّقدية التي تغلّبت على عقولهم ألمُتحجرة لضبابيّة آلرؤيا عندهم بسبب تشوه آلدِّين ألذي لم يستوعبوا روحهُ و غاية أحكامه و بآلتالي إشكاليّة فهم الوجود عبر نطاق ماديّ محدود لمصالحهم الشخصية و الحزبية ألضّيقة ألآنيّة, و هذا التعامل أفقد الناس إدراك ألعالم بكونه كُلٌّ مُتّحد في نظام دقيق يتأثّر حتى بمجرّد تفكير لأنّه خاضع للمطلق و لا ينفصل فيه حتى مكونات ألذّرة الصّغيرة عن بعضها, ناهيك عن المجرّات و الأفلاك, فآلتفكير أو آلفعل المكوّن مهما كان صغيراً فأنّه يرتبط بكلّ ذرّات هذا الوجود الذي نجهل أسراره و معارفه و أبجدياته و ظاهره, لذلك نرى شيوع ألعنف و النفاق كطبيعة متداخلة مع الوجود لنهب حقوق الفقراء و تعميق الفوارق الحقوقيّة ليَعمّ الفوضى و الظلم بأبشع صوره في العالم و يتحول الناس فيه لفضلات كونيّة خارج آلمنظومة ألإلهيّة التي تُرشدهم ليكونوا فاعلين و منتجين ضمن الحركة الكليّة للوجود لتحقيق الخير بدل الشّر و العنف المحفوف بالمادة.

عزيز حميد مجيد / 2005

ألمقدمة:

ألمقدمة:

ألكتاب يبحث عن جذور معاناة الأنسان ودور الطبابة الكونيّة في شفائه و إسعاده بعد التخلص من الأمراض الروحية و النفسية التي تسبب 99% من الأمراض الجسدية و المنهج الكونيّ يؤكد بأنّ معرفة أسباب و جذور أيّة مشكلة أو ظاهرة تُحقّق نصف الحلّ و يمهد لإجراء آلعلاج و الشفاء التام بشرطها و شروطها.

ألأنسان ذلك آلمجهول .. هكذا بدأ بعض الفلاسفة و منهم أليكسيس كارل فلسفتهم بوصف الأنسان و الوجود كأكثر الفلاسفة و الحكماء .. بعد ما إعتبروا كلّ شيئ فيه لغز حتى الحياةُ نفسها؛ كيفيّة مجيئنا و أسبابه؛ ثمّ الموتُ نفسه ما زال لغزاً؛ طبيعةُ الإنسان لغزٌ و نوازعه النفسية و الروحية؛ عودته إلى اللامجهول مجدّداً, و ما أشدَّ غربةَ هذا الإنسان و أقساها وسط هذه الأسئلة التي عرفنا بعدها النظري فقط حين يعيشُ رغم هذا مجبراً, جاهلاً و غريبًا و وحيداً بعيداً عن الأصل, ثمّ يموتُ و حيداً ثمّ يُبعثُ وحيداً حاملاً كل تلك الأسرار ألقاهرة معه حتى بعد الموت؟

و هكذا كان الأنبياء و الأوصياء لا يعلمون ما سيجرى لهم بعد الموت بآلضبط, ثم لحقهم الفلاسفة و منهم (شوبنهاور) الذي عُرف بفيلسوف الذّات, و كتب بشكل مفصل عن الدوافع و المنافع و الذات الأنسانيّة الغريبة و سبل إستقامتها!

الإنسانُ غريبٌ في هذا العالَم بأطواره لأنه إنقطع عن الأصل(1)، غريبٌ عن وجوده المادي في الحياة؛ غريبٌ عن الزمان و المكان؛ غريبٌ بعد الموت في العالَم الآخر, يقول دوستويفسكي: [الإنسانَ سرٌّ بالنسبة لي، و هذا السرُّ ينبغي أن يُفسَّر؛ أن يُشرَح؛ و سوف أمضي حياتي كلّها في البحث عن هذا السرّ؟ من أين جاء الإنسان؛ و من هو الإنسان؛ والى أين المصير؟ ولماذا يعتدي الإنسان على أخيه الإنسان؟ و لماذا يكون طيباً أحيانًا، و شريرًا أحيانًا أخرى؟].

وحدُه لحظةَ الموتِ يخوضُ الإنسانُ تجربةً وجودية حقيقية رهيبة و عصيبة للمرّة الأولى و الأخيرة، تجتمع فيها أشرس تحدّيات حياته و وجوده و أقساها، وكأنها تختصر كلَّ تجارب عيشه الباهضة .. الطويلة نسبياً لتصبح مجرّد خيال لا أكثر! كيف يمكن أن يكون 70 أو 80 أو 100 عام مجرّد خيال؟

تجربةُ الموت متفردةٌ و مريرة في كلّ شيء كما تجربة الحياة نفسها؛ و هي لا تحدث للإنسان إلا مرّة واحدة؛ لا تشبهها أيةُ تجربة كان يخوضها الإنسانُ في حياته, الموتُ هو الحدثُ الوحيدُ الذي يختزل كلَّ أحداثِ حياةِ الكائن البشري المريرة، وأيامِه الموحشة، و امتحاناتِه الحزينة، و ذكرياتِه الكئيبة، و محنه القاسية. تجربةُ الموت حدثٌ فردي تتوقف فيه رحلةُ الحياة الدنيا، لا يكرر الموتُ تجاربَ الحياة اليومية، ولا يتموضع في خبرات الكائن البشري المعروفة، ولا تنكشف للإنسان حقيقتُه ما دام حيًا.

الموتُ حدثٌ مذهل يشطبُ فورًا كلِّ الفوارق العنصرية والثقافية والدينية والسياسية والمالية والاجتماعية والطبقية، وكلِّ تمييزٍ إحتقاري فرضه الإنسانُ المستعلي على الإنسان البائس والضعيف و الفقير .. في الموت يتوحّد الكلُّ رغمًا عنهم؛ يمحو لحظةَ حدوثه كلَّ العناوين والألقاب والرّتب والامتيازات والفوارق؛ يتساوى في الموت الرئيسُ والمرؤوس؛ الغنيُ والفقير؛ القويُ والضعيف؛ الشريفُ والحقير، وغير ذلك من عناوين فرضتها المجتمعاتُ وصنّفت على وفقها الناسَ تراتبيًا, و كنا نتأمل زوال كل الفوارق مع تقدم العلم و التكنولوجيا و المدنية ؛ لكن وقع العكس حيث زادت الفوارق الطبقية و تعمقت و زادت الكراهية و كثرت الحروب بسببها!

الموتُ يلغي كلَّ قناع زائف يتلفع فيه الطواغيتُ والجبارون والمتكبرون والمغرورون والمتغطرسون، يضعهم بعد علوّهم، يصفع هؤلاء بشراسة فيمزق غطرستهم، يوقظهم ليستفيقوا فزعين من سكرتهم مذعورين، يسقطهم فجأةً من عليائهم، ليجدوا أنفسَهم بحالة مزرية يتمنون عندها لو كانوا كمَنْ ينظرون إليهم بازدراء واحتقار من قبل، الموتُ يختطف كلَّ الأضواء والشهرة والاستعلاء الذي ظنوا أنه أبدي لن يفتقدوه. الموتُ هو اللحظة التي يرضخ فيها الإنسان كُرهًا للإعلان عن هشاشته وفقره الوجودي وفاقته وإملاقه، لحظةَ الموت يستحقَ كلُّ إنسان الشفقةَ والعطفَ مهما كان مقامُه في الحياة الدنيا. حدثُ الموت يُخرِس كلَّ اللغات، وتكفّ عن دلالاتها عند مداهمته كلُّ الكلمات.كي نفهمَ معنى الموت لا بدَّ أن نمتلك لغةً تحكي خبرةً جديدةً خارجَ سياق ما تعرفه لغتُنا من دلالات. لن تبوح اللغةُ بمعنى الموت مالم تكن منبثقة من فضاء الموت. تعجزُ لغتُنا البشرية عن القبض على حقيقة الموت، لأن هذه اللغةَ ولدت وتنوعت وتغذّت من أحداثِ حياتنا وتجاربِ عيشنا المألوفة. اللغةُ معطى يختزن خبراتِ تعاطي الإنسان مع كلّ ما حوله من بشر وكائنات حيّة وغير حيّة، تتسع اللغةُ لتصوير أكثرِ أفكارِ

الإنسان ومشاعرِه وأحلامِه ومتخيلِه، وتعجز عن التعبير عمّا لا يدرك الذهنُ صورتَه، فتنتقل دلالتُها إلى رمزية،كما في دلالتها على الله والغيب.

الموتُ مأزقٌ وجودي، عند مواجهة الإنسان للموت تصمت كلُّ الفلسفات والآداب والفنون والثقافات واللغات، كلُّها تعجز عن إسعاف الإنسان لحظةَ الموت، لا يُسعِف الإنسانَ في تلك اللحظة إلا صوتُ الله والإيمانُ به. سؤالُ معنى الحياة والموت سؤالٌ ميتافيزيقي، وكلُّ سؤالٍ ميتافيزيقي سؤالٌ فلسفي. لا جوابَ مقنعًا لمعنى الحياة والموت خارج الدين، يتعذر تفسير معنى الحياة والموت ميتافيزيقيا وفقًا للعلوم ولقوانين الطبيعة، في الدين فقط يمكن ان نعثر على معنى للحياة، ومعنى للموت بوصفه طورًا جديدًا لوجود الإنسان، وحياةً أخرى على شاكلة ذلك الوجود.

لا يصنع الكائنُ البشري حاجتَه للدين، الحاجةُ للدين مستودعةٌ في أعماق الكينونة الوجودية لهذا الكائن لأن الدين نفسه فقد روحه و عرفانه، ما يصنعه هو أشكالُ تديّنه في حياته الفردية والمجتمعية. و يدلّ على ذلك حضورُ الدين ورموزُه وتعبيراتُه المتنوعة في حياته منذ ظهوره على الأرض حتى اليوم. لا يموت الدينُ إلا أن يموتَ الموت، ولا يستطيع الإنسانُ أن يدفع الموتَ عن نفسه مهما حاول.

أقسى أشكال الغربة غربةُ الرّوح في هذا العالَم، تغتربُ الروحُ بسبب اختناقها في سجنها المادي؛ الرّوحُ حين تفتقرُ للصلة بالله؛ تأكلها وحشةُ الوجود المادي، و تستنزفُ طاقتَها ظلماتُه، فتتيه و ينتابها القلقُ والخوفُ والحزنُ والألم وأحيانًا الهلع. الألمُ قدرُ الإنسان حيثما كان، كلٌ منا يتألمُ على شاكلته، لأنّ مَنْ لا يتألمُ لا يتكاملُ.

الإنسانُ مخلوقٌ ضعيفٌ هشٌّ يستحقُّ الشفقةَ والعطف والرعاية لأنه إنقطع عن اصله يوم هبط للأرض, لهذا قلنا في همسة كونيّة بوجوب نبذ العنف و الشرّ و بالمقابل نشر المحبة خصوصا داخل البيت و العائلة و المجتمع لأنه العامل الأقوى في دفع الأنسان نحو البناء و الأنتاج على كل صعيد .. [فالأشجار تتكأ على الأرض لتنمو و تثمر؛ و الأنسان يتكأ على الحب لينمو و ينتج و يبدع]، إن عجزُه عن تخليص نفسه من الموت هو ما يفضح هشاشتَه وضعفه؛ الإنسانُ ضحيةٌ لجهله بنفسه بجانب 33 صفة مشينة أكدها خالقه في آياته العظيمة و كأن هذا المخلوق جامع للمتناقضات, إلى جانب ذلك غربته واغترابه ومصيره. الحياة ُكأنها مكوثٌ في فندق على عجل، لمدة لا تتجاوز ليلة أو ليلتين في أقصى الأحوال، ومثل هذا المكوث السريع جدًا يتطلب: الصمتَ أكثر من الكلام، التأملَ أكثر من الغفلة، الحضورَ داخل الذات أكثر من الحضور بين الناس، السعي الدائم لتأمين منابع إلهام السلام الباطني، وتغذيتها باستمرار بما يثريها ويرسخها. السلامُ الباطني هو المنبع للحياة الهادئة المطمئنة، السلامُ الباطني مفتاحُ سلام المجتمع. حين يفتقدُ الإنسانُ السلامَ الباطني يعيشُ كئيبًا، يتمزقُ من الداخل، يعجزُ عن إطفاء نار الكآبة المستعرة داخله، وتتحول حياتُه إلى سلسلةٍ لا تنتهي من المكابدات النَّكِدة المنهكة.

غرورُ الإنسان، وجهلُه بمحدودية قدراته، و عجزُه عن اكتشاف أعماق نفسه التي هي علّة العلل، من أشدِّ أسباب غربته في هذا العالَم، وهذه ليست حالةٌ شاذةٌ في بني آدم .. لا يتنبهُ الإنسانُ لعجز جسده، وقصورِ معرفته، وهشاشةِ عاطفته، وخوائِه الروحي. توهمُ الإنسانُ بقوّته الخارقة، وغطرسته وتباهيه بأن علمَه يمكن أن يحيطَ بكلِّ شيء، وإحساسُه بأنه يستطيعُ أن يعيشَ في الأرض، ويؤمّن لنفسه متطلباته المادية والمعنوية، ويتخلص من خوائِه الروحي، من دون أن يحتاجَ لغيره، وتوهمه بأن الموتَ يمكن أن يقعَ على كلِّ الناس إلا هو، أو على الأقل شعورُه بأن الموتَ يمهله ويمنحه فرصةً بلا نهاية، حتى فراغه من إنجازِ كلِّ طموحاته واستيفاء مختلف أحلامه. تتضخم طموحاتُ أكثر الطموحين وأحلامُهم أكثر من قدراتِهم الآنية والمستقبلية بآلاف المرات، ومع ذلك يظلون يلهثون وراءها بلا أن يتوقفوا برهةً ليعيدوا النظرَ في حدود ذواتهم وافتقارهم للامكانات التي يتعذر عليهم تأمينُها ما داموا أحياء.

غفلةُ الإنسان عن السعي لاكتشاف قدراته، و جهلُه بحدود إمكاناته؛ يُشعره بعدم القناعة، و يستلب منه الهدوء و الشعور بالسلام و الأستقرار، و يوقع مشاعره في انفعال متّقد يستنزفه, ما يُمكنه إنجازُه بالفعل ضئيل جداً مقارنةً بما تورطه فيه أوهامُه عن قدراتِه اللامحدودة, يلبث الإنسانُ مسجونًا في إغترابه الوجوديّ ما دام لا يستطيع التحرّرَ من غروره و جهله بقصور قدراته، و يتنكر لاحتياجه إلى الله، اعترافُ الإنسان بشيء من ضعفه، و انتباهُه لقصور قدراته عن أنْ تنال كلَّ ما يتمناه من شأنه أنْ يحرّره من الشعورِ الزائف بالاكتفاء بذاته، و الاستغناءِ عن الله، و عدمِ الاحتياج للإيمان الذي ينقذه من اغترابه الوجودي, يقول علي عزت بيكوفيتش رئيس البوسنة سابقاً: [إن التسليمَ لله هو الطريقةُ الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حلَ لها و لا معنى، إنه طريقٌ للخروج بدون تمرد، و لا قنوطَ، و لا عدميةَ، و لا انتحار. إنه شعورٌ بطولي (لا شعور بطل)، بل شعور إنسان عاديّ قام بأداء واجبه و تقبّل قدره].

للإيمان والدّين و المعرفة أثرٌ إيجابي بنّاءٌ على الصحة النفسية ثمّ الجسديّة, فقد أثبتنا في دراساتنا بأنّ 99% من الأمراض الجسدية و العضوية سببها آلضغوط و الحالة النفسيّة الناشئة من تأثيرات المحيط و الأجواء التربويّة و الاجتماعيّة و الأقتصاديّة و السياسيّة للنظام آلحاكم أو الظلم بشكل عام، لهذا فإنّ المعرفة الكونيّة و آلأيمان الراسخ المنبثق منها؛ له أثر و دور كبير في ترشيد و خلاص الأنسان و حمايته من اضطرابات الشخصيّة و القلق، و لولا الدّينُ و ما يغذّيه للروح من ألوان في زرع الأمل و كلِّ القيم السامية؛ لما استطاع النوعُ الإنساني الاستمرارَ و الأنتاج و المحبة والرحمة والشفقة و التضامن الإرتقاء في الحياة و العيش على الأرض كلَّ هذه الأحقاب التاريخيّة و ما الجانب ألسّلبي في الحضارات التي برزت إلا بسبب نهج السلاطين و الحكام لبعدهم عن اصل الوجود و الجهل الذي تحكّم بتصرفاتهم و قراراتهم.

و لا يعني ذلك أنّ الإيمانَ و الدِّين ألتقليدي ألسائد الذي يحكم عقول أهل الدِّين و تابعيهم يقيان كلَّ إنسانٍ مُقلّد و حتى المثقفين ألمتديّن من الاكتئاب والقلق والهلع وغير ذلك من الأمراض النفسية! لأنّ الإيمانُ والدِّين السائد ألآن لَيسا بديلين للعلاج ألكونيّ لتحجر أحكامه, و الطب النفسيّ يؤكد أن للأمراض النفسية أسبابٌ مختلفة وعواملُ معقدة متشابكة، يتطلب الكشفُ عنها و التعرّفُ عليها, و يحتاج وسائلَ علمية و مهارات خبراء متخصصون، و لا يمكن الشفاءُ منها إلا بمراجعة عيادات نفسيّة متخصصة، وأحيانًا يتطلب علاجُ الحالات الحادة سنوات طويلة، و تختلف مدةُ العلاج و أساليبُه تبعًا لنوع المرض وشدّته .. الإيمانُ يظهر أثرُه بوضوح إن كان الإنسانُ يتمتّع بسلامة روحيّة و نفسيّة، وفي حالاتِ المرض ألرّوحي و النفسي غير المستعصية يُمكن أن يُخفضَ الإيمانُ من ضراوةِ المرض و فتكِه بالإنسان، و يجعلَ طريقةَ العلاج أسهلَ و مدّتَه أقصر.

---

(1)https://www.nasiriyah.org/ara/post/75800 ألأغتراب ألحقيقي:

ألمشكلة آلتّكويّنيّة للبشر :

ألمشكلة آلتّكوينيّة للبشر:

إنّ آلآفة الكبرى التي يعانيها آلبشر اليوم : هو فقدان الثقة بأصل الوجود و آلعنف و الأختلاف و الفرقة و إنتشار الكذب و الحسد و النفاق بسبب آلظلم و الفوارق الطبقية و الحقوقيّة و قلة المعرفة بحيث بات سلوكاً طاغياً, ممّا تسبّب في شقائهم و تدميرهم, و لقد حَذّرَنا الله من ذلك و أمرنا بآلمعرفة و الخير في جميع الرّسالات السّماوية و على لسان المرسلين و خاتمهم الصادق الأمين, لأن آلفساد و الظلم ليس فقط تبعد الأنسان عن الهدف الذي وجد لأجله؛ بل و يحلّ معها كلّ مُحرّم حتى الكبيرة كعقوق الوالدين و التعدي على الناس و الربا و تزوير الحقائق بحذف أو إضافة كلمة مفصلية والتغاضي عن هدف المستغاب و الكذب و الغيبة و النفاق و الحسد و سرقة الفقراء و تبريرها في نفس الوقت ليُسبب تدمير طبيعة الناس التكوينيّة و إعلان غضبهم و ثورتهم للأنتقام ضدّ بعضهم البعض ليعمّ الفوضى و الفساد, لكن على آلرغم من وجود تلك آلصفات ألسّلبيّة ألمخرّبة في تكوينه إلى جانب ألعوارض ألجانبيّة التي تُحدّد مصيره نحو آلشّقاء و الهلاك؛ إلا أنّه جُبل على الخير و الحرّية و رفض العبوديّة بسبب ألكرامة التي أهداها الله للمخلوقات و في مقدمتها آلأنسان لكونه الوحيد الذي يستطيع أن يكون خليفة لله , و كل مخلوق له كرامة بحسب هدفه و غريزته التي تطبّعَ عليها؛ لهذا يُمكن إنتشال الأمة حتى ولو كانت مصابة بكل تلك العاهات و العلل, و كما نجح الرّسول الكريم في ذلك بداية الرسالة حين قلب المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إسلاميّ كان يمكن أن يستقيم للآن لو كانت القيادة تستمر بنهج الرسول(ص) بشرطها و شروطها!

راجعتُ و درستُ و تمعّنْتُ في جميع الكتب السّماوية و مقالات و نتاج الفكر الأنسانيّ و نظريات الفلاسفة ونهج البلاغة منذ الصّغر .. حتى تعلمت بفضل الله سرّ الوجود و سبب آلخلق .. لكوني الوحيد منذ آدم(ع) و للآن حملت همّ البشريّة لخلاصه من 33 صفة مشينة رافقت خُلق و خَلق الأنسان(1) من الأزل و من لحظة إندماج الرّوح مع آلبدن بحسب تقديرات إلٰهية في غاية التعقيد و التداخل و التناسب .. لتبدء قصّة الحياة التي لا نعرف بدايتها من نهايتها و ما يجري فيها و هكذا تتحدد المصائر وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه!
ليقول شاعرها أبو ماضي قصيدة لوصفها ما عادلها سوى ديوان حافظ الشيرازي:

جئت لا أعلم من أين .. ولكني أتيت!؟
و لقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت!؟
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم ابيت!؟
كيـف جئت ؟ كيف ابصـرت طريقي!؟
لست أدري!(2).

لقد أحسست منذ السنة الأولى بعد ولادتي وفي كل مراحل حياتي و لليوم بأني وكيل و مسؤول لهداية الناس و لا بد من إستقامتهم لتحقيق رسالتهم, فحملت من وقتها همّ تنظيم و توعية الناس حتى الكبار في عائلتي و في كلّ مكان!

قد يُمكنك أن تكون عالماً و مرجعاً و حتى ملكاً أو إمبراطوراً لتحكم العالم و كما هو الحال اليوم .. لكن ليس من السّهل أنْ تكون وارثاً للفكر الأنسانيّ و خليفة لله؛ لأنها تتطلب ألتّخلق بصفات الله التي لا يمكنك تعلّمها إلا إذا ما كان الله معلمك (و إتقوا الله و يعلمك الله)(3)؛ **لأنّهُ يتطلب معرفة** و إستيعاب **الكثير بحجم مبادئ الرسالات السّماويّة و ما أنتجه الفكر – منذ البداية و حتى عصر ما بعد المعلومات و الدخول في الكّوانتوم و آلنانو الذي يعجز العلم لوحده من حلّ معضلاته فتضطر لدخول عالم المعرفة الكونيّة و أبعادها الكثيرة المجهولة إلى يومنا هذا .. و معرفة تفاصيل هذا العلم شبه مستحيل إلا بأذن الله ولبعض الحدود الممكنة, فلا بد من الأمداد الغيبي إلى جانب آلسّعي لنيل المتطلبات بآلصبر و المُكابدة و السّهر و الرياضات المختلفة, و يتطلب أوّل ما يتطلب طهارة النفس بألأبتعاد عن الغيبة و النفاق ألذي أصبح زاد الناس على موائدهم, و الأمانة عند الحكم و النقل بمعرفة تفاصيل الأحداث و غاياتها مع المعرفة الدّقيقة لحقيقة الأنسان و الخلق و الوجود كـ (آلعلل الكونيّة الأربعة) و (أسفار العرفاء) و (أحكام الفلسفة الكونية) بشأن علّة الخلق, ثمّ (الأسئلة الكونية الستة) و (قضية التكثر و التوحد) و أيهما يتقدم على الآخر (إصالة الفرد و المجتمع)؟ و الأمر الأهمّ الآخر هو معرفة صفات الله و تخلّق المخلوق بها, و مسألة خلق القرآن من عدمه و العلة في طرح هذا الموضوع أساساً, و فلسفة الخلاف بين المعتزلة و الأشاعرة؛ و السّر الآخر؛ معرفة سبب حُزن و ضجر الله تعالى و مقته و حتى بُغضه من المنافقين ألذين خصص لهم أشدّ العذاب و هو الدرك الأسفلمن جهنم لأنهم يتسببون بنشر الفرقة و الفساد بين آلأزواج و آلأصدقاء و الناس و الجماعات وحتى الشعوب, و هناك مسائل معقدة أخرى تتطلب مراجعة كتابنا [أسفارٌ في أسرار الوجود] لمعرفتها.**

فعند حدوث خلاف أو سوء تفاهم أو كدر بين زوجين أو صديقين أو فئتين أو شعبين, قد تكون نهايته الطلاق و الفراق و الحرب بينهم لينهار كل شيئ! و بآلتالي فإن نظام الوجود كلّه سيختل بقتل الأنسان .. بل و يهتز عرش الرّحمن(الله أكبر), ألذي وصف (الطلاق) الذي هو نهاية الزواج بـ : [بكونه يهزّ العرش] و أيّة قوة كونيّة بإمكانها فعل ذلك غير (الطلاق)!؟ وقول المصطفى(ص): [أبغض الحلال عند الله ألطلاق], يعني رغم وجود (ألحلّيّة) فيه لكنه أبغض شيئ عند الله! فكيف الحال لو تسبب المسبب في فراق الشعوب و الأمم!؟

و أقوال أخرى تمنع زرع الفتنة و الطلاق ألذي سببه الرئيس هي الغيبة التي ربما تكون أحياناً نظرة أو إشارة أو قول مغرض, ممّا يُؤشر لعظمة الأمر و إفرازاتها التي أوّل ما تنعكس على حياة الأطفال و المقربيين و بآلتالي تخريب المجتمع!

لذلك صحَّ آلحديث و حتى آلآشارات القرآنية بكون: [أفضل الأعمال في الأسلام هو إصلاح ذات البين و أسوأها زرع الفتن]. و قد ورد في آلحديث أيضا: [بأن إصلاح ذات البين أفضل من العبادات و النوافل], لأنه يقي المجتمع من الفساد و القتل و الجرائم.

و لمعرفة مدى حساسيّة و أهمية الوحدة و الأخاء؛ يكفيك أن تعرف بأنّ أحكام الصلاة بنظر جميع الفقهاء و العلماء تفرض الإستمرار في أدائه و حرمة قطعه حتى بإشارة أو نظرة لصورة أو إطلاق كلمة إلاّ في حالتين :

ألاولى: إذا توقعت إستمرار الصلاة يسبب الضرر أو الوفاة لك بسبب عارض خارجي يتطلب قطع الصلاة للنجاة.
و الثانية: يجوز قطع الصلاة لردّ آلسّلام على المُسلّم في حال عدم وجود شخص آخر يرد عليه!؟
كما حدد الخالق عقوبة إستثنائية للباغي إلى الفتنة, حيث لا يمهله بل يعاقبه سريعاً, و يؤشر هذا إلى بغض الله ألشديد و مقته لمن يريد إحلال الفتنة والفرقة و الخراب بين الناس.

من هنا أ تَعجّب ممّن يدعي الإسلام و يسعى للتفرقة بين الناس و يتحايل لكشف عوراتهم و إشاعة الفواحش بينهم, و هكذا رأيت جماعات و شعوب باتت تمتهن تلك الأخلاق المشينة كشعب العراق و غيره من الشعوب التي تحب الضيحة و تكره الحقيقة حين آمن رجالاً و نساءاً و شباباً و شيبة و بدون تمعّن و روية بآلخراب و بآلسّحر و النفاق و الغيبة و الكذب و الفساد كأساس لثقافتهم ومفتاح لحلّ مشاكلهم وسعادتهم كما توهّموا و يتوهمون بأن ذلك يكسبهم الخير, بينما هي مجلبة لكل شرّ و فتنة وفقر و فراق لعوائلهم و أبنائهم و مجتمعهم؟

فهل حقاً وصل الجّهل و الأجحاف بحقّ الله و القسوة في قلوب عباده في العالم و العراق خاصّة إلى هذه الدّرجة, بحيث بدأت بعض الجّامعات العراقيّة تختصّ بدل دراسة الكّوانتوم و علم الفضاء و فلسفة العدالة؛ دراسة السّحر و الشعوذة وإعطاء شهادة الماجستير و الدكتوراه للدارسين في أنواع السحر و الشعوذة بدل العلم و العرفان و الفضاء و الكونيّات؟

فهل يصيب مجتمع كهذا سوى العنف و الفساد و النهب و التفرقة بحيث وصل أعداد الأحزاب و التيارات إلى أكثر من 500 حزب و تيار و منظمة!؟

تلك هي آلنتائج المدمرة أمامكم على شعب العراق و أمّة الإسلام, بسبب الأيمان الشكلي و ترك فلسفة الحُب و الجّمال و جوهر المخلوقات و الأسرار في الآيات الآفاقية والنفسية و إستبدالها بآلنفاق لملأ البطن دون ملاحظة الوصفات الطبية في ذلك, وترك العقل حتى الظاهر ناهيك عن الباطن بلا غذاء و لا عرفان و لا حكمة!؟

مَنْ آلسّبب ألذي جعلهم يفعلون ذلك بلا حياء ولا وجدان و لا ضمير أو دين !؟
هل هي لقمة الحرام التي دخلت بطون الجميع تقريباً؟ أم هناك أسباب أخرى!؟

و إلاّ كيف يسمح للحسد الذي يُولّد النفاق لأنْ يتغلغل في أرواحهم .. لدرجة أنهم لا يطيقون حتى سماع الخير أو قراءة مقال عنه أو نقل حديث لمقرّبيهم فيبدء بزرع الفتنة و كشف عورات الناس بسهولة و قطع الخير عنهم لترتاح روحه المريضة .. و قد شهدت في عراق الجّهل كما في أمّة العرب و غيرهم من الروس و الشرقيي و منذ أيام السبعينات حين كنا نجاهد مع ثلة قليلة الفساد و بؤر الفتنة البعثية و القومية التي توسعت بين الناس؛ كيف أنهم كانوا يعتبرون كتابة تقرير للأمن ضدّ مؤمن شريف يريد الخير للناس؛ عمل عظيم و صيد ثمين للفوز بآلجائزة و الحصول على آلأموال و المناصب الحرام

بعد إعدامه و غيره من المؤمنين الأخيار, و هكذا الحال مستمر إلى يومنا هذا, فما زال آلوضع على هذا المنوال مستمر للأسف و إن تغييرت الشعارات و العناوين و تبدلت الوسائل و العدد و الأحزاب(4)!

إنّ جوهر كتاب الله و غاية رسالاته .. تُؤشر بوضوح لعلّة خلق البشر بكونه لأجل التزوّد بآلمعرفة و العلم ثم معرفة الجمال و الحبّ للوصول إلى عالم آلجمال الحقيقي المطلق لتقديم الخير بدون إنتظار الأجر و الشكر و بعدها التعمق في فلسفة الوجود عبر آلسّعي للتوحد و آلتخلص من الكثرة بإتجاه الوحدة, و قد ورد هذا (آلسّر) الذي يجهله الكثير بكل وضوح و بيّنه في آية :
[... و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الأثم و ألعدوان](5) و كذلك :

[القول في تأويل قوله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلّا من رحم ربك و لذلك خلقهم و تمّت كلمة ربّك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين](6).

حيث يؤكد الله تعالى في الآيات التالية على وجوب التثبت على الدِّين , و التثبّت لا يكون بآلعبادات .. بل بآلمعرفة و الوعي و التقوى.

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك ، يا محمد ، لجعل الناس كلها جماعة واحدة و على ملة واحدة ، و دين واحد، و رأي واحد كما أشارت الآية:

جاء في (التفسير)؛ حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد : عن قتادة، قول: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) .. يقول: لجعلهم مسلمين كلهم و موحدين, و قوله تعالى:
(ولا يزال النَّاس مختلفين، إلا من رحم ربّك), (ألأختلاف)؛ الذي وصف الله الناس؛ أنهم لا يزالون به, هو محل البحث.
فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان و إختلف المفسرين في ذلك, فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء : (و لا يزال الناس مختلفين) على أديان و مذاهب شتى، من بين يهوديّ ونصرانيّ، ومجوسي و حتى المسلمين، و نحو ذلك, و قال قائل و هذه المقالة: إستثنى الله منهم (من رحمهم)، و هم أهل البيت(ع), بنظري يشمل (أهل الذين في قلوبهم ألرّحمة لا أكثر ولا أقل..).
و بآلتالي : فإن عملية السعي في الدنيا لتحقيق فلسفة الوجود يتمحور على هذا الأصل الذي هو ميدان ألأختبار و بدونه لا يمكن تحقيق السعادة .. بالتوحد مع الناس بآلتوحيد و التعاون و التمسك بحبل الله لأنجاز مهمة الوجود.

إذن ألنتيجة بإختصار وجيز هي؛ أنّ التوافق والوحدة رحمة و محبة؛ و الأختلاف و التفرقة نقمة و شقاء كما هو حال الأمة التي أصبحت اليوم متفرقة و منقسمة إلى 500 حزب في العراق فقط و هكذا بقية دول الأسلام و العالم, حيث عمّت الفوضى و الأختلافات و الظلم و آلقتل و القنص بلا رحمة ولا وجدان لسرقة الناس بعد (فرّق تسد) لكسب المال و الرواتب الحرام..

يقول مؤلف كتاب (أفكار و مواقف) لعبد الفتاح إمام, نقلاً عن إسطورة هندية هي الأخرى مقتبسة عن قصّة خلق ألرَّجل و آلمرأة و إشكالية التزاوج و الإتحاد بينهما, حيث يقترح المؤلف ان يحتفظ كلّ زوجين .. بل كل عائلة .. بنسخة من هذا الموضوع في مكاتب منازلهم أو المكتبات العامة، ليعيد قرائته الزوجان و كل أبناء العائلة, بل كل إنسان بهدوء وتأنّ، كلما ظهرت بينهما بوادر ازمة عاطفيّة.

فعلاقة الرّجل بزوجته علاقة وجدانية، عاطفيّة حسّاسة للغاية، وهي لهذا السبب علاقة متناقضة مؤثرة و متأثرة، لأنها مزيج من الحب والبغض؛ من القرب والبعد؛ من الرغبة والنفور؛ من الاقدام والاحجام، قد تؤثر فيها كلمة جارحة أو نظرة أو إشارة عابرة.

أيّ .. تشمل باقة متناقضات!

و لست أجد تصوراً مقبولاً لتراجيديا هذه العلاقة .. أكثر من تلك (الإسطورة الهنديّة) التي تروي قصّة خلق ألرَّجل و المرأة، حيث تقول :
[إنّ الاله (تواشتري) الذي خلق الرجل واراد ان يخلق المرأة، اكتشف ان مواد الخلق قد نفذت لديه، ولم يبقى من المواد الصلبة شيء يخلق منها المرأة، و ازاء هذه المشكلة راح يصوغ المرأة من اجزاء و قصاصات يجمعها من هنا وهناك :

(فأخذ من القمر استدارته؛ و من الشمس إشراقها؛ و من السّحب دموعها؛ و من الازهار شذاها؛ و من الورود الوانها؛ و من الاغصان تمايلها؛ و من النسيم رقته؛ و من النبات رجفته؛ و من النار حرارتها؛ و من ألمها عيونها؛ و من الحَمَام هديله؛ و من الكلب وفاءه؛ و من الكروان صوته؛ و من العسل حلاوته؛ و من الحنظل مرارته ... و مزج هذه العناصر مع بعضها و خلق منها المرأة)و ثم وهبها للرجل الذي أقبل عليها و أخذ بيدها و سار بها الى حجلته.

لكن لا يمضي على وجودها معه سوى – شهر العسل – حتى يسرع الرَّجل الى الاله وهو يجرّ المرأة من يدها بعنف – ليقول: يا الهي: هذه المخلوقة التي وهبتها إليّ قد أحالت حياتي جحيماً لا يُطاق، فأنقلب النعيم الذي كنت فيه الى شقاء! فهي ثرثارة؛ لا يكلّ لسانها عن الكلام و لا يمل؛ وهي تطالبني بأن ارعاها رعاية مفرطة مستمرة؛ و كلما رجعت من الصيّد(العمل) مُتعباً
مرهقاً و نِمتُ .. أيقظتني لأُسلّيها، مدّعية أنّها مورقة! فإذا خاصمني آلنوم و ارقّني؛ نامت هي و آذتني بشخيرها .. ! لهذا كله فقد جئت لأردّها إليك لأنني لا أطيق العيش معها.
فقال الاله : (هاتها و انصرف)!

ولم يمض على ذلك سوى شهر واحد حتى عاد الرَّجل ليقول : (يا الهي ! لقد رددت هذه المخلوقة التي وهبتها اليّ .. و لكني أشعر منذ ذلك الحين بالوحدة ! بل أحسّ بوحشة لا تُطاق لم اكن اشعر بها من قبل, كما ان حياتي اصبحت فراغا مجدباً، لقد إفتقدت أنسها و حُرمتُ من لذّة مصاحبتها، و حديثها المُمتع و دعابتها المرحة، وعبثها المسلّي فهلا ارجعتها لي مرة اخرى؟

فأمعَنَ الإله النظر فيَّ و قال : أجل، خذها فهي لك!

و بعد ايام قليلة عاد الرّجل يقول : (يا الهي إنني في حيرة من أمري، فانّ هذه المخلوقة، سِرٌّ مغلق، لا يمكن كشفه ! لغز مُحيّر لم أستطع فهمه، إنني لا أستطيع العيش معها، لكنني لا أستطيع العيش بدونها ...!

و تستمر الاسطورة ليُكرر الشيء نفسه مع المرأة التي جاءت بدورها تشكو من الرَّجل قائلة: (يا الهي: انّ هذا المخلوق الذي وهبتني له، قد ضقت ذرعاً بأنانيته، و صلفه و قسوته و غروره ! انه لم يُحسن عشرتي إلا يوما واحداً، ثمّ بعد ذلك كان يقصيني اذا دنوت منه، و لا يصغي اليّ اذا حادثته، و اذا اشرت اليه برأي سفّهه، و اذا فعلت فعلاً قبّحه، و اذا هفوت كلمة أقام الدّنيا و اقعدها!
اللهمّ إجعل بيني وبينه سدّاً و ردْماً ...)!

فأبتسم الاله و أشار بيده، فإذا الجنة التي كانا يسكنان جنتان، بينهما سدّ عال ! لا تستطيع المرأة بعد ان ترى زوجها ! .. لكنها سرعان ما تعود بعد ايام قليلة لتقول للأله وهي تبكي : (لقد إكتشفت يا الهي في الايام الماضية انني لا استطيع ان أعيش بدونه, لقد ظللت طوال هذه المدة خائفة أ ترقب! اذا تحرك غصن فزعت، واذا عوى ذئب ذُعرت وأغلقت الباب، وبقيت في ركن الغرفة أرتجف، و لقد كنت من قبل اجوب الغابة أجمع الثمار غير آبهة لعلمي انه ورائي يحميني ... كنت اذا دعوته، هرع اليّ، و اذا إستصرخته، سارع لنجدتي ! لا .. لا إنني لا اقوى على فراقه : إنه جاري و حصني و أمانيّ و معقلي و ملاذي.

فأعادها الاله اليه و هو يقول : (إذهبي اليه، فهو لباس لكِ وانتِ لباس له، كلٌّ منكما يسعد صاحبه و يشقيه، يشكو منه و هو راغب فيه، كلٌّ منكما بمثابة مرآة يرى فيها صورة الآخر، حسناته؛ سيئاته؛ محاسنه و عيوبه)]. إنتهت القصة.

و ألنتيجة التي توصلنا لها من خلال تلك العلاقة الكونيّة المقدّسة التي يتحدد مصير المجتمع على أساسها, و المضطربة الآن للأسباب المُبيّنة أعلاه؛ هي أنّها مفتاح رئيسي لتحديد سعادة و شقاء الأنسان (امرأة كانت أو رجُل), فآلبيت الذي يجمعهما هو الوطن الأوّل ألذي يرتاح فيه و يتنفس بأمان و المنطلق الذي يُحدّد مستقبل الأنسان و سعادته .. فإما أن يكون ذلك البيت و البيئة روضاً من رياض الجَّنة الذي فيه ينمو الفكر و الفنّ و الثقافة و المحبة و أسباب التطور و النمو؛ أو يكون حفرة من حفر النيران ليحل و ينمو فيها الجهل و القسوة و العصبية التي تنتشر بسرعة ليكدّر الأرواح ويُسمّم الأجواء و يزيد التخاصم و ينتشر الفساد و لقمة الحرام و بآلتالي يقتل الفكر و الصفاء و الأنتاج العلميّ في أفراد العائلة و المجتمع و المحيط, و هذا خيار يرتبط بوعي الزوجين و دور الزواج في عمليّة التنمية في كلّ فرد و عضو فيه و بآلتالي

تحقيق السعادة أو الشقاء, لهذا قلنا بإن السعادة خيار بيد الأنسان لا قدر.

بإختصار ؛ أستطيع القول بحسب مؤشرات الآيات القرآنية العديدة؛ [بأنّ آلشّر و المصيبة التي تحلّ في وجود شخص أو عائلة أو مجتمع أو أمة هي نتاج أعمالها و من يدها؛ و لو إنتشر الخير و النعم في بلدة أو مجتمع أو أمة فأن السبب هو الله الذي رآى أهلها يستحقون ذلك لأستقامتهم و تقواهم.

و العارف ألحكيم وحدهُ يعرف ذلك جيّداً .. و أكثر تفصيلاً, لهذا لا يجعل المؤمن أكثر همّه بآلأهل و الولد وطيّبات الدنيا, فإن يكونوا من أولياء الله؛ فأنّ الله لا يُضيّع فقط أوليائه بل حتى الحشرة العمياء في قعر البحر لا يتركها و هكذا الدودة في ثنايا الأرض, و إن يكونوا أعداء الله؛ فما باله و شغله بأعداء الله!؟

لكنه لا يتوقف و لا يستكين, بل يسعى لبناء الحياة لهم و للمجتمع بفرح و رغبة..

و الطبابة العرفانيّة ألتي تتسبّب في سعادة الأنسان؛ لا تتحقق إلّا من خلال وجود :

عائلة صالحة منسجمة مُتحابّة فيما بينها؛
أو من خلال الأيمان ألكامل بآلله سبحانه؛
و لو إجتمع الأثنان فقد أصاب أهله خير الدارين, لأنّ إجتماعهما تُحقق في وجود ألأفراد ألخلافة ألكونيّة الإلاهية, بمعنى يصبح الأنسان متّصفاً بصفات الله و بآلتالي خليفة له في الأرض و يمهد لظهور الأمام المهدي(ع).

إلى هنا ينتهي (ألجّزء الأوّل) من كتاب (ألطبابة العرفانيّة), و ستتركّز بحوثنا القادمة في (الجزء الثانيّ) من كتاب (الطبابة الكونيّة) على دور و فنّ تلك العلاقة ألمُقدسة في طبابة ألنفوس و إصلاح المجتمع و العالم و هدايته للبناء ألمدني و الحضارة إن شاء الله, هذا بحسب ما دلّت عليه الآيات المحكمات و الدراسات العلمية التي تقول:

[سعادة الأنسان رهن وجود عائلة سليمة من الأمراض مُتحابّة وسط مجتمع موحّد], و لذلك ركّزَ المعشوق على قوانين دقيقة بشأن التعامل بين الأسر وآلأولياء و تربية الأبناء و حقوق الناس.

حكمة كونيّة: [ألأشجار تتّكأ على الأرض لتنمو و تُثمر؛ و الأنسان يتّكأ على المحبّة لينمو و ينتج].
ألعارف ألحكيم ؛ عزيز حميد مجيد.

---

(1) ورد في القرآن الكريم ككتاب جامع للكتب السماوية التي إكتنزت سرّ سعادة الأنسان و فلاحه في الدارين؛ بوجود 33 صفة سلبية بعضها خطيرة في وجود الأنسان كآلحسد و الجهل و الظلم وغيرها, و على الإنسان محاربتها و تزكية نفسه, و إلا لا و لن يتحقق عنده حتى الأيمان العادي و السّلم في وجوده ناهيك عن تحقيق المراتب الكونيّة التي تبدء بـ:
قارئ – مثقف – كاتب – مفكر – فيلسوف – فيلسوف كوني – عارف حكيم.
(2) قصيدة رائعة للفيلسوف إيليا أبو ماضي جسّد فيها جانباً هاماً من قضية الخلق و الوجود, للمزيد يرجى مراجعة ديوانه.
(3) سورة البقرة/282.
(4) تصّور رئيس دوله إختاره شعب العراق كصدام بسبب الجّهل حتى علّم الناس كره الثقافة و الفكر, بل و إتهام من يمتهن ذلك بآلعمالة و مصيره الأعدام خصوصا إذا لم ينتمي لحزبه, كما قد سبق الجميع في الفساد حين قبل بآلعمالة للـ سي آي أي و نشر الفساد بعد ما نفذ بدقة وصايا المخابرات العالمية من خلال مندوبهم عن طريق وزارة الخارجية البريطانية (اللورد كارنيجتون) أثناء زيارة سرّية عشية نجاح الثورة الأسلامية و أوصاه بملاحقة و قتل كل معارض مثقف و مؤيد للثورة فبدأ بقص الرقاب و أعدام الدّعاة و المؤمنين على نواياهم لا على جرم إرتكبوه فخلي العراق من مثقف مؤمن منذ ذلك الحين, كما أقدم على أوّل فعلة نكراء يندى له الجبين حين فصل زوجة مدير مطار بغداد (سميرة الشابندر) عن زوجها و تزوجها وقتها في لعبة خبيثة معروفة لدى العراقيين, فماذا تنتظر من باقي أبناء الشعب العراقي الذي كان منتظما مع النظام في الظاهر و مختلفا في كل شيئ بداخله فولّد التناقض و العقد و الأحقاد والفساد فيما بعد بشكل عميق على كل صعيد؟
(5) سورة المائدة / آية 2.
(6) سورة هود / 118 و 119.

أصل ألشّر في آلوجود:

أصل ألشّر في آلوجود:

مقدمة:
بات الإنسان المعاصر، يشعر و كأنّ آلشّر و آلعنف و الطبقية و الفساد قد بلغ ذروته .. لذا يحمل آلإنسان الذي يعتمد الشّر و العنف و التكبر و النفاق وسيلةً لخلاصه؛ بذورَ شقائه و فنائه في نفسه, و هكذا يشير وضعه الراهن بحسب ما أشار له المفكر العربي أليازجي نهاية القرن الماضي الذي تفرّد بآراء تقترب من النظرة الكونيّة للوجود و هو من المفكرين النوادر الذي عرف و هضم مكامن (المحنة البشريّة) و توصل للسّر الخطير(1) .. حيث سبقه في ذلك مجموعة كبيرة من الفلاسفة الغربيين و الشرقيين الذين أخذ منهم ذلك السّر, حيث أشاروا إجمالاً لأحد أمرين خطيرين بخصوص مصير البشريّة و مأساتها:
أولاً: الإستمرار في نطاق العنف,
ثانياً: العودة إلى الوعي واللاعنف.
في الطريق الأول؛ أيّ الاستمرار في آلشرّ و العنف، يتجه الإنسان إلى هاوية التعاسة و الظلمة و الجحيم.
في الطريق الثاني؛ طريق الوعي و الحكمة و اللاعنف، يتجه الإنسان إلى السعادة والنور والنعيم و السلامة, و لما كانت مسيرة الطبيعة تُشير إلى تقلّص ألعنف، فإنّ مسيرة الإنسان تشير إلى تقلص العنف أيضاً بشرطها و شروطها طبعاً, وفي تصورنا، نعاين هذا العصر الذي اقترب من درجة الغليان و الانفعال و هو يهدأ و يعتدل و سط أمواج الجهل العاتية .. فالعلوم التي أختبرت تجاربها في حقل المادة، و تنكرت للطاقة الروحيّة و المعنوية كمبدأ كوني فاعل بدأت تعود إلى حقيقتها وإن كان بطيئاً! وقد بدأت تعترف بوجود تلك الروح المحيية في كل مجالات الطاقة والمادة, و لذا نرى أن نظريات الفيزياء وغيرها التي تطرفت كثيراً، أخذت تعود، بالإضافة إلى علم الفلك و الرياضيات و البيولوجيا و السايكلوجيا، إلى نقطة انطلاق جديدة، و ترى في المادة صورة أخرى، تعتبرها طاقة كثيفة، أو درجة من درجات اهتزازها, و لذا، بدأت تخفف من غلوائها, إن هذه العلوم قد بدأت تبحث بشكل جدّي عن الحقل المُوَحِّد لكل الحقول .. و تعتنق النظرة الكلِّية الشاملة .. النظرة الهولستية، تبحث الآن عن المستحيل، عن المجهول، عن الحقيقة في ذاتها, و سوف تعاينها أخيراً، و تقرُّ بها، في مبادئ اللاتعيُّن، و في دراسة الطاقة التي لن تنتهي من دراستها, و المبادئ المتطرفة، العقائدية منها و الإيديولوجية، التي أخضعت الإنسان و المجتمع لقانون صارم و حتمي أخذت تخفف من غلوائها أيضاً، و بدأت تدرك أنها لا تتلمس الحقيقة إلا في تعديل موقفها و الاعتراف بمزيد من التلاقي مع المبادئ الروحية الأخرى, لذا نرى أن العنف الذي برز بشدّة في هذا العصر سيخف تأثيره و يتقلص شيئاً فشيئاً, هذا لأن العنف يشبَّه بإنسان غاضب .. تضاعف غضبه و تزايد حتى بلغ مرحلة تتشعب إلى مفترقين: مفترق أوّل يؤدي به إلى الانهيار و الضياع، و مفترق ثانٍ يتعرف فيه على حماقته ولا وعيه, و لسوف يرتد إلى وعيه و يعود إلى صوابه و حقيقته بعد أن يكون قد أدرك حماقته و تفاهة انفعاله, و لا نبالغ و نحن نقول: (إن العنف السائد في هذا العصر شديد وقاسٍ بلغ شعبتي مفترق الطريق), و نحن نعتقد بأنه سيتراجع عن حافة انهياره و ضياعه إلى الوعي الذي يرشده إلى اللاعنف والمحبة, هذا لأنّ غلبة اللاعنف أكيدة في نهاية الأمر وفق جدلية الحياة و المنطق الصاعد, و يبدو هذا التأكيد في الحقول التاليّة:

أولاً: إنه يبدو في حقول العلوم الفيزيائية حيث أضاءت أنوار جديدة؛ هي المعلومات التي تشير إلى أن الحياة و الطاقة هما حقيقة المادة، وأن المادة ليست إلا طاقة كونيّة أو حياة مكثفة، ملتفة على ذاتها, وفي هذا الحقل، تظهر دلائل جديدة لروحانية عقلية و علمية جديدة تأخذ بيد الإنسان لترشده إلى طريق المعرفة والوعي .. معرفة الحقيقة الساميّة و الحياة فيها، و التأمل في حضورها الكلِّي, و في حقل جديد كهذا، تتحقق غلبة اللاعنف على العنف، ذلك لأن الآراء السلبية التي ورثناها من القرون الماضية بسبب إنحراف الأديان جميعاً، والتي سعينا إلى معرفتها، و التنقيب عنها و التدقيق فيها، ودلت على حقيقة أخرى؛ أدت إلى العنف, ولم يكن بزوغ التجربة العلميّة إلا رؤية نور بعيد في آفاق المعرفة، و دليلاً على انبثاق فجر جديد للّاعنف .. تتروحن فيه المادة و تتعرف على سكينتها، يتعرف الإنسان على جوهره.
ثانياً: إنه يبدو في حقل العلوم الاجتماعية التي تشير إلى إفلاس النظريات السلبية، الفردية والتجمُّعية التي لم تؤسس قاعدتها على الإنسان بقطبيه الروحي والمادي. فقد عانت هذه العلوم من نقص في تركيبها. إنها شُيِّدت على مغالطات التاريخ التاريخ السلبي، واعتمدت العنف سبيلاً الحل مشاكلها. وفي الحقبة الأخيرة، تجد هذه العلوم إيجابها في ذاتها، وهو اللاعنف الذي هو الحقيقة التي أضاعها الإنسان ونفاها, لذا تقضي الضرورة بعودته إليها في وضعه الاجتماعي المتمثل بالسلم والتآلف والمحبة.
ثالثاً: إنه يبدو في حقل العلوم الإنسانيّة التي تشير إلى وجود عقل فوقي يتجاوز سلوكه الآلي, وبالفعل تتراجع هذه العلوم التي تبنت، في حقول البيولوجيا والفيسيولوجيا وعلم النفس، نظرة مادية عن الإنسان عن موقفها الفكري، وتتطور إلى معرفة أكثر عمقاً، تلمح من خلالها أشعة الروح والجوهر, و ليس تطور المعرفة، وعدم توقفها عند حدّ معيّن، إلّا دليلاً على روحانيّة الأشياء – اللانهاية فيها و الوعي الكامن في باطنها.
لا تكتمل غلبة اللاعنف إلّا بفعل إنسانيّ, هذا لأن الإنسان هو القائد الذي يبدعه و يوجِّهه, لقد ابتدع الإنسان العنف، و يجب عليه نتيجة لذلك؛ أن يحقق اللاعنف حتى يعود إلى حالته الإنسانية الفطريّة و الطبيعية – اللاعنف و السلام قبل انهيار ملكوت روحه

و وحدة كيانه، و العنف بعد تدمير ذلك الملكوت, و لما كان الإنسان قد بلغ درجة الإشباع بعد انهياره؛ فقد وجد نفسه مضطراً للبحث عن الخلاص .. والخلاص قائم فيه؛ في روحانيته .. أيّ مثاليّة وجوده .. التي هي حياته في الحقيقة السامية أو في الوعي الكونيّ, وفي سبيل تحقيق غلبة اللاعنف على العنف؛ يجدر بنا أن نتقدم ببعض الحلول الأوليّة لأنارة الطريق أمام السالكين:

أ- الانفتاح العقليّ الذي يشير إلى تبني العقل خصوصاً (الباطن) موقفاً إيجابياً من المبادئ الأخرى, فواجب الإنسان يكمن في تفهم المبادئ الأخرى، والاعتراف بالآخر. ويؤلمني أن أجد غالبية الناس يجهلون مبادئ غيرهم المذهبية والأخلاقية والاجتماعية أولا يلمُّون بمضامينها كما ينبغي. وعلى هذا الأساس، يقفون بعضهم من بعض مواقف متناقضة وعدائية, فكلما زادت المعرفة بآراء الآخرين ومبادئهم، زادت المحبة و الوعي و الانسجام, لذا كان العقل المنفتح دليلاً أو سبيلاً إلى اللاعنف.
ب- الحوار الإيجابي الذي يشير إلى محاولة الإنسان التي تبغي للوصول إلى نقطة تلاقٍ مع الآخرين, هذا لأن انعدام الحوار سبب أصيل للعنف، يؤدي إلى التباعد وانعدام التلاقي، فالبغضاء والعداء, و يُعَدُّ الحوار نتيجة أكيدة للانفتاح العقلي والقلبي الذي يعني إقدام الناس على دراسة مبادئ بعضهم البعض دون تبني موقف سلبي أو حكم مسبق مناقض, إن دراسة مبادئ الغير بعقلية منفتحة، و قلب منفتح، و إرادة فهم تتجرد من الانفعال و التعصب، و تتصف بأمل اللقاء واعتناق الأفضل، تؤدي إلى محبة متزايدة، و تتركز في اللاعنف, وعلى غير ذلك تعزز كل دراسة يبتغي الإنسان منها تهديم غيره أو نبذ مبادئه دون اعتماد الوعي كما هو الأمر في الواقع؛ أنانية الإنسان .. و تقوض ملكوت حقيقته.
ج- الموقف الإيجابي الذي يشير إلى احترام الإنسان الآخر مهما اختلف موقفه أو نظرته إلى الحياة، أو مذهبه، أو عقيدته، أو عرقه، أو لونه... إلخ. وهذا، لأن احترام المبادئ الأخرى خطوة أولى باتجاه اللقاء, ففي هذا الاحترام، يتم تقارب الإنسان من الإنسان الآخر، ويساعده على تفهم وجهة نظره قبل الحكم عليها أو قبل الوقوف منها موقف العداء. ولذا، يستحيل بناء هيكل الإنسانية أو معبدها، الذي تلتقي فيه الآراء من أطراف العالم كلها، ما لم يتأسس هذا البناء على مبادئ الاحترام والانفتاح العقلي و القلبي، والتحمل من أجل تحقيق حوار تتآلف فيه الآراء وتتعاطف. ويعد هذا التآلف أو التعاطف قاعدة اللاعنف والمحبة.
نحن نرى أن كل عداء بين الناس ينطلق من مواقفهم العدائية الناتجة عن سوء الفهم الناتج، بدوره، عن تلوين العقل بلون معيَّن. و تتسبب هذه المواقف العدائيّة من ضيق أفق الفكر، و تصلب الموقف العقلي و تعصبه، و من الاعتقاد بأفضليّة إنسان على إنسان، أو فئة على فئة، أو أمة على أمة، أو مذهب على مذهب، وفق ما تفرضه شريعة دنيوية أو غير دنيوية، تشير إلى أن فئة من المجتمع الإنساني حازت على موهبة الخلاص و النعمة أكثر من غيرها, و لهذا فقد اندلعت الحروب المذهبيّة و العنصريّة و العرقية, فمن الوجهة المذهبية، انطلقت أفضليّة شعب على شعب آخر و من الوجهة العنصرية انطلقت أفضلية عرق على عرق, وإضافة إلى ذلك، تعتمد الوجهة العنصرية على معالم عديدة، معنوية ومادية, ويؤسفنا أن نقول: إن الاعتقاد بهذه الأفضلية، على كل المستويات، يؤدي إلى العنف و العداء و الحرب, و على غير ذلك، يؤدي الاعتقاد بأنّ للأمم و الشعوب طرقاً للخلاص خاصة بها، تلتقي في نقطة أو نقاط مع طرق غيرهم، إلى اللاعنف و السلام و المحبة.
لما كانت البشرية تتنوع و تتعدد، فإنهُ يجدر بالأمم والشعوب والأفراد ألا يجرّدوا غيرهم من وعي الحقيقة أو مقاربتها، أو أن يعتقدوا بوجودهم الوحيد في هذا العالم، و بأنهم أصحاب الحقّ و أتباع أو أنصار الحقيقة و الأوصياء عليها، أو أنهم فُضِّلوا على غيرهم أو خُصُّوا وحدهم بالحياة و الموهبة و الخلاص.
من أهمّ و أخطر ألموضوعات ألتي لم تستطع الفلسفة و العلم و حتى النصوص المقدسة إلى جانب الأحلاف الاقتصاديّة و العسكريّة و جيوش العالم أجمع من حلّها و بيانها بشكل شفاف؛ هي مسألة طبيعة الشّر و آثاره و طبيعة تداخله و إنتشاره في الطبيعة و المخلوقات و بألتالي ألتّحكم بحركة الوجود و ألحياة المعاصرة و مستقبل الناس و عاقبتهم ..
و ألسؤآل الأساسيّ هو؛ هل ألشّر مخلوق أم عارض؟ أو هل هو أصل أم ناتج؟
لذا سنسعى في مقدمة هذا الكتاب بيان الخطوط العريضة على الأقل بكونه – أيّ الشّر و العنف - مخلوق عارض و ناتج, و هو كتحصيل حاصل باب للأمتحان لمعرفة السلب من الأيجاب و الخير من الشر و من يُمثّلهما, حيث لا يمكن معرفة ماهية و حقيقة الأيجاب إلّا بمقارنته مع ألسّلب بألمقابل في حركة و سعي البشر و المكونات الطبيعية, فلولا وجه الشرّ ما إستطعنا معرفة الحقّ من الباطل؛ أو الجوانب السلبيّة من الأيجابيّة في أيّة خطوة أو مسألة بدءاً بألذّرة و إنتهاءاً بألمجرة و نهاية الكون كله إن كانت له نهاية لمعرفتها و تقيمها, فألشّجرة تُعتبر رمزاً للحياة و الجّمال و البهجة و الخضرة و الثّمر و الغذاء و غيرها لكنها في نفس الوقت قد تكتنف الشّر المعجون فيها و كما تبيّن ذلك في حكمة الباري تعالى في أول حادثة كونيّة تسبّبت للأسف في نهاية المطاف نزول آدم(ع) للأرض لتبدء مصيبتنا و تستمر محنة الأنسان على الأرض حتى يومنا هذا, فقد حذّر الله تعالى (آدم) عليه السلام من التقرب لتلك الشجرة لأنها تسبب المحنة, و بألمقابل بدلاً من ذلك أعطاه الجنة كلها ليسرح و يمرح و يأكل و يتمتع فيها, لكنه(ع) و بدافع من الشيطان(ألشّر) أقدم على فعلته في حادثة معروفة ذكرتها الكتب السماوية و على رأسها القرآن بشكل فاضح و صريح, لتبدأ محنة البشر بألخيانة و الشّر و العنف الذي يزداد أواره يوما بعد آخر بسبب طغيان هذا البشر و إنهماكه على المادة, و لهذا سنركز في بداية بحث هذا الكتاب على هذا الأمر الذي يتعلّق بسلامة جسد و روح و مصير الأنسان الذي لو إلتزم بتلك (ألتعاليم العشرة) التي سنبحثها؛ فأنه يعيش سليماً سعيداً آلاف السنين و يُحقق رسالته التي خُلق لأجلها ليكون

من العاشقين الخالدين بإذن الله, بعد نبذ (ألعُنف الذي يُعتبر فخ ينصبه الظالم ليقع فيه المظلوم).
بإختصار مفيد : ألقضية بأكملها تفيد بأنّ الله تعالى و لتسهيل الأمور على خلقه قد أبان لهم وجه الشرّ لتجنّبه و وجه الخير للتمسك به و نشره للفوز و تحقيق رسالة الوجود.

و هكذا كان عبر التأريخ و لا يزال تيّاران يسيران جنباً إلى جنب؛ تيار الإيجاب(ألخير), و تيار ألسّلب(الشّر), أو تيار النّور الذي يتحكم به فعل العقل ببُعديه (ألظاهر و الباطن)(2) بقوة الرّوح المتصلة بأصل الوجود و معشوقه لبناء مملكة النور, يقابله تيار الظلمة الذي يُشير إلى فعل الجسد و المادة لأشادة مملكة الظلمة و الشّر, لأنّ ألعُنف محفوف في الطبيعية الماديّة, و يعُتبر ألجّسَد أبرز مثال عليه!

ألنتيجة ؛ هي إنّ الشّر ليس أصلاً في تكوين الوجود و إن كان كذلك في ألبدء و الظاهر, و إنما مُتداخل مع وجود ألبشر الذي عليه التخلص منه و الصّفات ألماديّة التي هي حياض و بؤر الشّر وعينه و هي البداية و القاعدة ألصّحيحة التي تُمهّد لبدء الأسفار الكونيّة لتحقيق رسالته بألعاقبة الحُسنى, و بما أنّ التّخلص من الشّر يُؤمّن بشكلٍ كامل ألسّير في طريق الخير لتحقيق حياة سعيدة تتحكم فيها المحبة و الصفاء و نكران الذات, أي قتله, لهذا لا بدّ من بيان أوجه الشّر لتلافيه و تحقيق الصّفاء والخلود.

طبيعة تداخل ألشّر في ألوجود :
أوّلاً يجب أن نعرف بأن أصل ألمادة ألكثيفة هي نتاج لتراكم الذّرات و الطاقة المخزونة المكونة لها و ليست المادة مادة صلبة بذاتها, لكون بدايات الفضاء الكونيّ كله كان ممتلأً بدخان و غازات تشكّلت بفعل (البنك بنك) كبداية إفترضها العلماء ثمّ توسع الوجود بعدها بمرور الزمن و تكوّنت المجرات و الدّروب الكونيّة تلتها المجموعات الشمسيّة و ألثّقب السّوداء, و هكذا تكونت المادة التي نعرفها اليوم بأسماء و عناصر مختلفة وصلت لأكثر من 25 عنصراً بمواصفات خاصة يستخدمها الأنسان لأدامة حياته الماديّة من خلالها, وعندما نبحث موضوع ألشّر و العنف في الطبيعة الماديّة، تجابهنا ألأسئلة التالية:
هل ألشرّ جزءٌ من الطبيعة الماديّة .. وهي أساساً منظمة تنظيماً رائعاً و دقيقاً، تسودها القوانين السّرمديّة الكونيّة بدقة لا متناهية حيّرت العقول وهي تؤدي أدوراها بشكل غريزي عبر الطاقة الكونيّة بلا كلل أو ملل أو خطأ .. لتوفير حياة آمنة و سليمة و هادئة للبشر ألمكلّف بتأدية رسالته التي وجد لاجلها؟
و إذا كان (الشّر) موجوداً كقرين للوجود لمعرفة الأيجاب و تميّزه؛ فكيف هي صفة وجودها؟
هل هي تكوينيّة؟
أم عارضة بظاهر ألسّلب؟
لقد قسّم الفلاسفة هذا التساؤل الذي يُشير للحقيقة بذاتها إلى طبيعتان:
إحداهما ؛ ماديّة ترتبط بالكثافة التي هي في جوهرها طاقة مكتنفة في المجرّات و ألأفلاك و ألأكوان مُتصلة بأصل الوجود،
و ألثانية ؛ ماديّة ترتبط بعالم ألنّبات و الحيوان والطير و الفطريات, و أصلها يرجع إلى البخار الذي شكّلها قبل ظهور ألكون.
و في العالم المادي الكثيف و كما دلّت التحقيقات المختلفة و الأخبار عن الكتب السّماوية؛ تتحقق القوانين و الغايات لما فيه خير الوجود الأرضي ذاته كرامة للمخلوقات و على رأسها البشر الذي لا أدري كيف إستحق كل هذا التكريم بألمناسبة, و تدل هذه القوانين على أن الحكمة الكونيّة لم تترك موضوع المادة الكثيفة تسير وفق تلقائيّة ذاتيّة فحسب بل وجَّهتها لأداء مهام كونيّة ترتبط بحياة المخلوقات عبر العلل الأربعة(3)، ذلك لأن الفوضى، لولا هذا التوجيه، تعمُّ الوجود في النهاية, فألشّر و العنف غير موجود في الطبيعة الماديّة إلّا بصيغة السلب. وعندما يخرج هذا العالم عن قانون نظامه، ينقلب إلى فوضى - أيّ إلى شرّ, و مع ذلك، نجد العنف في الطبيعة المادية : في البراكين و الزلازل والأعاصير والعواصف وغيرها, وكما يبدو أن هذا ألشّرّ والعنف يساير ألمادة التي لا تستطيع أنّ تتحدّد، أو تتقيّد، أو تتعيَّن بقوانينها، فتتمرد عليها بفعل مقاومة سلبيّة تتمثل في حالة الإفلات - قوة ألنّبذ - من عالم النظام والوعي والمحبة - قوة الجذب - والعصيان عليه. وهذا ما سنراه أيضاً في عالمي الإنسان والحيوان, ومع ذلك نستنتج من خلال الدراسة العلميّة و الدّينيّة إلى أنّ الطبيعة الماديّة تسير إلى الهدوء والنظام سيراً حثيثاً وبطيئاً, ولا شكّ أن الكتلة الناريّة و الغازية الأولى تبترد أكثر فأكثر، ممّا يشير إلى زيادة في الهدوء والسّكينة، وإلى نقص في التمرُّد والسلب والعنف و بألتالي ضمور الشرّ, ومن جانبنا، نعتقد أن الطبيعة المادية تسير إلى شيخوختها، ونقصد أنها تحقق سلامها وسكينتها, و لن تعاني من آثار غليانها الداخلي و إعلان السلب و"التحرر" التي نسميها "مقاومة" المادة لحقيقتها، لفكرة النظام فيها, و في هذا المجال نقول: إنّ تمرُّد المادة الكثيفة، الذي يظهر كمقاومة سلبيّة، يعود إلى ظهور العناصر الثائرة التي تتصف بالحرارة والغليان والتكاثف في الوجود، وذلك بفعل تمرُّد النور ألذّاتي أو (الطاقة الكونية) كمقاوم سّالب قائم في المادة التي تعيق تقدّم الطاقة الواعية التي تعتبر منشأ الشرّ .. و قد تشكلت هذه المقاومة السالبة عندما تجمَّعت الطاقة الكونيّة وإنغلقت و إنطوت في كتلة, و لقد أدَّى تمرُّد النور ألذاتيّ (لوسيفر) إلى تفاعل هذه العناصر التي كانت في جوهر الحقيقة ألسّامية ذاتها،

وانطوت في عالم المادة الكثيفة وأدَّت إلى تكوينه, ولهذا، يمكننا أن نتغاضى عن موضوع الشّر في الطبيعة الماديّة لسببين:

ألأوّل: إنّ الشّر الطبيعيّ يتضاءل و يتقلّص بمرور الزمن و أثناء التطور و البشر مَنْ يُبرزْ و يُعظّم الشّر في الطبيعة نتيجة لأعماله الشريرة و نواياهم السيئة بسبب الصفات السلبية التي لا يسعى لتهذيبها .. فتظهر بأشكال عديدة كآلعنف و آلحروب و الطبقيّة و الكوارث و الزلازل و الفيضانات والبراكين و غيرها.
ألثاني: لأنّ آلشّر و آلعنف الذي نبغي دراسته؛ هو آلشّر و العنف الذي أحاط بالعالم البشريّ بالدّرجة الأولى لأن الكون كله وجد لأجله, وكذا في العالم الحيواني ثمّ النباتيّ - الترابيّ بدرجة أقل, والعالم المادي يتجرّد من الوعي الذاتيّ الذي يُميّز ألبشريّة التي تسعى له كما نفهمه، أو كما ندعيّ, و الذي تتداخل في وجودها العناصر ألأربعة ألأساسيّة (ألماء و آلتّراب و النّار و الهواء).
و هكذا يتناسب الشّر في الطبيعة الحيوانيّة بحسب الكيفيّة التي وجد لأدائها, فنرى تسلط بعضها على بعض لامور تعطي لوناً خاصا و فاعلاً لحياتها تجذب إنتباه الأنسان و تعلمه قيمة الحياة الهادئة المسالمة, حيث تفرض مسألة الشّر و العنف في الطبيعة الحيوانيّة ذاتها إلى وجود حيوانات مفترسة شرسة تغتذي على حساب حيوانات أخرى أقل افتراساً وشراسة منها، و أقل قوّة من الناحية الجسدية العضلية؛ و هكذا وجود طيور جارحة تعيش وتقتات على حساب طيور هانئة، وديعة ومسالمة, هكذا، نجد في الطبيعة الحيوانية حيوانات وطيوراً شريرة وعنيفة، وحيوانات وطيوراً أقل شراً وعنفاً: الأولى منها قاسية وعنيفة، والثانية منها مسالمة ومتعاطفة, حيث تتصف الطيور الجارحة بأصوات بشعة لا يستحسنها الإنسان، أو لا يرتاح لها, و تتميز الحيوانات المفترسة، آكلة اللحوم، بأصوات مُقلِقة تُدِب الذعر في الإنسان والحيوان معاً. ومن جهة ثانية، تمتاز الطيور الأليفة بأصوات جميلة، أنغامها حلوة، تنسجم مع محبة الجمال عند الإنسان، ويرتاح لها الإنسان لتناسق أنغامها وألحانها التي تعبر عن عواطف ومشاعر يشارك فيها الإنسان ذاته. وقد دلت التجارب العلمية على أن الطيور تعبر عن أفراحها وأتراحها، وعن أشواقها وعواطفها، بألحان وأنغام عديدة تختلف من طير إلى طير. والحق أن الإنسان يطرب لها، ويسعد ويرتاح. أما الحيوانات الأليفة فإنها، وإن لم تكن تمتاز بأصوات جميلة، تمتاز بأصوات عطوفة تعبر عن الحنو والشوق والعطف. وعلى غير ذلك، تتجرد الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة من أنواع الشفقة والعطف كلها، ولا تتميز بأي نوع منها. وتعبر أصواتها عن الغضب الانفعالي والقسوة التي تثير الاشمئزاز.
إنّ الحيوانات و الطيور العنيفة .. طيور و حيوانات شريرة، تتّصف بآلشّر و بالعنف، و تختصّ به و لا تخرج عن دائرته, و إنْ هي خرجت، فنسبة خروجها ضئيلة لا تتعدى حدود العنف, أما الطيور والحيوانات الأليفة فإن عنفها يتدرج, فعند بعضها، توجد نزعة العنف، لكنها نزعة عنف تقل كثيراً عن نزعة العنف التي تتصف بها الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة، آكلة اللحوم.
لذا لا يكون العنف خاصاً بطبيعتها أو ملازماً لها، ويظهر العنف المقلَّص فيها لأنها لا تدرك ما تفعل، ولا تعرف كيف تحل مشاكلها. فالعنف فيها ضئيل لطيف يمكن السيطرة عليه بصورة عامة. فهي لا تعتمد العنف كالحيوانات المفترسة والطيور الجارحة الأخرى، الأمر الذي لا يسمح لعنفها أن يكون متأصلاً في طبيعتها. لذا، لم يسجل تاريخ دراسة الحيوانات والطيور الأليفة أن ثوراً قد افترس ثوراً آخر أو غيره من أنواع الحيوان، أو أن حمامة قد افترست حمامة أخرى أو غيرها من أنواع الطيور، أو أن حملاً قد افترس حملاً آخر أو غيره من أنواع الحيوانات. وعلى الرغم من أن نوعاً من الانفعال أو التناحر والنزاع ينشأ فيما بينها، لكنه لا يعبر عن نزعة عنف أصيلة، وذلك لأن العنف هو كل ما هو أصيل أو متأصل في الكائن، في طريقة معيشته وتصرفه وسلوكه, إن كيفية عيش الحيوان المفترس أو الطير الجارح و الطريقة التي يتصرف بها تشيران إلى غريزة الشّر المتأصلة فيه. و لذا، لا نستطيع أن نسمي عملية اقتناص الطير الجميل لدودة الأرض عنفاً، لأنّ الطير لم يكتمل من ناحية الوجود. وعنفه، إن سُمّي عنفاً، يقل بكثير عن عنف النسر الذي لا يستطيع أن يعيش بدونه أو يتخلص منه أو يتجاوزه, على هذا الأساس، يستطيع البلبل أن يستغني عن الدودة، لكن النسر لا يستغني عن الافتراس, و النتيجة نستطيع القول بأن وجود المخلوقات غير البشرية يتحكم فيها نظام ليس من السهل معرفته, يكمل بعضه بعضاً لأجل التداوم و البقاء لأداء دورها, و السؤآل الذي يواجهنا هو التالي:
لماذا تشكّل الوجود على هذا النحو؟ و كيف تتصرف الحيوانات و الطيور ألأليفة لكي تتفادى شرّ و أذى الحيوانات و الطيور المفترسة وعنفها؟ و هل تعدي بعضها على بعض يُعتبر ظلماً و حيفاً بحقّ الضعيف منها!؟
تتضمن الإجابة عن السؤال الأول في مفهوم غيبيّ – ميتافيزيائي, و تُشير الإجابة إلى وجود إرادة سلبيّة شريرة تداخلت بمظهرها في الكون لأسباب أشرنا لها سابقاً، مردُّها إلى سقوط لوسيفر(4) ذاته الذي تدخل في عملية خلق العالم المادي الذي هو طيف لعالم المُثُل، و أقصد أنه أدخل عناصر الخير المسلوب و اللاوعي، شديدة النفور، كالحيوانات المفترسة و الطيور الجارحة وغيرها, و دليلنا إلى هذا ما نجده من سلب، وعنف و لاوعي، أيّ شرّ، في طبيعة هذه الحيوانات والطيور, و لما كانت هذه الحيوانات و الطيور تقتات من الحيوانات و الطيور الجيدة، فإنما برهاننا يقوم على استحالة قيام الشر بذاته كأصل للوجود, و لما كان كل ما في الكون يهدف لغاية و يعمل ضمن نظام موحّد لنفع قريب أو بعيد، فإننا نجد أنّ هذه الحيوانات و الطيور تتجرّد من الغاية و النفع, لقد استفاد الإنسان من الحيوانات الأليفة العديدة، كالفيل و الثور و غيرهما، لكنه لم يستفد و لن يستفيد من الأسد و الفهد و النمر و الذئب, و استفاد الإنسان من الطيور العديدة كالبلبل و الكناري و الحمام و غيرهما و لكنه لم يستفد

من البوم أو النسر والغراب و هكذا، نرى أن تجرُّد هذه الحيوانات والطيور من أقل نسبة من الخير دليل على سلبها، أي شرها الكامل. ولما كانت الطبيعة تخلو من الشر الكامل لأن الشر الكامل يعني بطلان الخير ونفيه وعدم وجوده، فإننا نرى أن هذه الحيوانات والطيور لم تصدر عن خلق نبيل صالح. إنها تشير إلى الوجود الكثيف اللاواعي، الذي هوالدرجة القصوى للسلب والشر, لذا كان العنف متناسباً مع الشر, فكلما زاد الشر زاد العنف معه. وكلما تناقص السلب، أي الخير المسلوب الذي ندعوه شراً، تناقص العنف. ونتيجة لذلك، نرى أن عنف الحيوانات الأليفة، أو غير المفترسة، والطيور الأليفة، أو غير الجارحة، يتضاءل لسبب هو أن سلبها الفطري، أو شرَّها ضئيل, فالعنف غير موجود في طبيعتها لأنّ شرّها، أيّ كثافتها أو سلبها، لا يصل إلى أقصاه, و لهذا السبب نرى كيف أن الحيوانات و الطيور الأليفة تتجنّب تلك المفترسة و الجارحة و تلتجئ إلى الإنسان طالبة الحماية و العون, الإنسان الذي يحتاج إلى حماية وعون مماثلين في كثير من الأحيان؛ الإنسان الذي يعتدي عليها بعنفه!
و تتضمن الإجابة على السؤال الثاني في مفهوم افتراضي يتلخص بسببين:
أوّلهما؛ هو أنّ عدد الحيوانات و الطيور الشريرة يقلّ يوماً بعد يوم، فيقل شرّها في نهاية المطاف.
ثانيهما؛ هو أنّ الحيوانات الأليفة والطيور لا تفكر، ولا تعرف كيف تجد حلاً لموضوعها, ولهذا السبب، نفترض إجابة لا نعرف كيف نعالجها, وها نحن نبدأ بمعالجة الافتراض الثاني.
لو كانت الحيوانات والطيور الأليفة تتميز بالوعي والعقل، كما نفهمهما، لتجنبت الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة، و لانتقلت إلى أماكن أخرى تخلو من عنف تلك الحيوانات والطيور، ولأوقعتها في مآزق عديدة بحيث إنها تجد نهايتها وحتفها في تعاضد الحيوانات والطيور الأليفة بعضها مع بعض، أو في رحيلها وهجرتها عن أماكنها. لكن المسألة، كما طرحناها، ترتبط بانعدام التفكير والوعي الكافي لدى تلك الحيوانات والطيور الجيدة أولاً، وعدم قدرتها على مغادرة بيئتها الطبيعية إلى بيئات أخرى، ثانياً. ومع ذلك، تتفادى هذه الحيوانات والطيور الصالحة الحيوانات والطيور الشريرة, وهذا يعني أن عالم اللاعنف يسعى إلى التخلص من عالم العنف, و لكن اللاعنف لا يتحقق في عالم إنسانيّ أو حيواني أو حتى طبيعي يتضاءل فيه العقل و الوعي و مثالية الحياة.
ينتهي الافتراض الأوّل إلى نتيجة جيدة, نحن نعلم أن الحضارة أو المدنية أخذت تمتد إلى أصقاع تقطنها الحيوانات العنيفة. ويشير هذا الامتداد إلى انقراض عاجل أو آجل. ولولا رغبة الإنسان في الاحتفاظ بها، لانقرضت وانتهت, ونحن نعلم أيضاً أن الحيوانات والطيور الصالحة تجد ملاذها وملجأها عند الإنسان, ولهذا، تتقبل العيش معه، ويستفيد الإنسان منها, و لو تحول الإنسان في بعض الأحيان إلى جزّار يقتلها و يذبحها؛ وإن تسخيره لها و تعذيبه لها يساويان أحياناً ما تقاسيه من الحيوانات و الطيور الشريرة, و يتعاطف معها و تسود الصداقة بينهما, و لقد برهنت الأحداث أنّ الإنسان لم يتّخذ لنفسه قطيعاً من الثعالب، أو الذئاب، أوالضباع، أوالنمور، أو الأسود وعلى غير ذلك يسعى الإنسان إلى زيادة الثروة الحيوانية، وتربية الماشية والطيور في الطبيعة، كما نرى، تعارُض بين العنف اللاعنف, لكن اللاعنف، في الطبيعة والحيوان، لا ينتصر انتصاراً تاماً لأنه يكاد يخلو من العقل كقاعدة أصيلة، ومن الفكر كطريقة للتخلص من العنف الذي هو خروج عن القانون الكوني, ومع هذا كله، نرى آثار اللاعنف التي تبدو كجهود فعل في سبيل التخلص من العنف، تماماً كما نرى آثار محاولة تخلّص الخير من الشر, و تبدو هذه المحاولة في صور عديدة :

1 - محاولة تجنّب العنف وتظهر في هروب الحيوانات والطيور الصالحة من الحيوانات والطيور الشريرة.
2 - محاولة التجاء هذه الحيوانات الصالحة إلى آلإنسان لكي تدرأ عنها خطر العيش تحت رحمة الحيوانات و الطيور الشريرة.
3 - تقدُّم الحضارة أو المدنية وامتدادها أو انتشارها في مناطق تُعَدُّ بيئات طبيعية ونموذجية للحيوانات الشريرة، دليل على اندحار العنف تدريجياً في عملية القضاء على تلك الحيوانات.
4 - اتخاذ الإنسان من الحيوانات والطيور الأليفة قطعاناً، ومحاولة القضاء على الحيوانات الشريرة وإفنائها، دليل على أن الطبيعة، في سيرها الطويل، تهدف إلى تحقيق السلام و الأمن و اللاعنف والقضاء على العنف, بشرط مرافقتها ألنوع الأنساني المهذب و المتواضع.
5 - تضاؤل نسبة الأخطار الطبيعيّة الناجمة عن الطبيعة المادية دليل على مسيرة كوكب الأرض نحو الهدوء، وبرهان على أن تمرُّد المادة، على نحو مقاومة سلبية، يتراجع تدريجياً. ولا ننسى أن عملية الهدوء هذه، في الطبيعتين المادية والحيوانية، تتطلب زمناً طويلاً لأن ديمومة المادة غير العاقلة تختلف كلياً عن المادة الخاضعة لعقل الإنسان. إن عمر المادة الطبيعية يقاس بملايين السنين. أما مادة الإنسان فتقاس بسنوات معدودات, لذا يكون التطور بطيئاً في المادة الطبيعية وسريعاً في المادة الإنسانية, و هذا يعني أنّ الوعي المدرِك في المادة الطبيعية يحتاج بالضرورة، إلى أحقاب زمنية طويلة ليبلغ مرحلة التحقيق.

إن بحثنا للطبيعة المادية، في نطاقها المادي الصرف والحيواني، يشير إلى إمكانية غلبة اللاعنف على العنف، والخير على سلبه، في عملية تطور طويلة، ليتحرر الوعي الكامن في المادة تدريجياً. ومع هذا، رأينا أن المادة ذاتها، بفعل قانون تطورها الواعي، تهدف إلى تحقيق الهدوء، أي تحقيق اللاعنف، وأن المادة الحيوانية، بجزئها اللاعنفي، يهدف إلى الابتعاد عن عالم العنف، وتجنبه بوسائل عديدة تشير إلى رد فعل داخلي للخير والوعي في عالمي الطبيعة والحيوان. وهكذا، نرى أن التحقيق البطيء لتطور العقل والوعي يُخضع العالم المادي للعنف والسلب. أما المسألة فإنها تختلف لدى الإنسان.

ألشّر و الخير في الطبيعة الإنسانيّة :

ألشّر و الخير في الطبيعة الإنسانيّة :
يشير وجود ألبشر إلى حقيقتين :
ألأولى: الحقيقة التي تشير إلى تجاوز مملكتي الحيوان و الطبيعة إلى عقل ظاهر و عقل باطن يعي و يدرك بها و بإستمرار بقوة الوجدان أو الضمير الذي نعتبره صوت الله في وجود الأنسان.
ألثانية: الحقيقة التي تشير إلى أنه كائن يجمع العالم المادي والعالم الرّوحي معاً [و نفس و ما سواها , فألهمها فجورها و تقواها].
لذلك فإنّ الأرهاب يتعاظم من قبل البشر إذا لم يُهذب و يقضي على مجموعة من الصّفات الخطيرة التي سنذكرها لاحقاً.
قبل التفاصيل .. نستنتج ما يلي: إذا كان الإنسان قد تطور من شجرة الحياة ومَثّلَ الغصن الأخير والقائد فيها، فإنما يعني أنه قد تخلص من انغلاقه الماديّ بمجرد دخوله عتبة الفكر والوعي الذاتي، أي مملكة الإنسان، في عملية تركيز دماغي كبير، وتركيز طاقي كبير، يشير بدوره إلى وعي متزايد ومتنامٍ. وإذا كان الإنسان يجمع العالمين المادي والروحي فلأنه كائن يشير إلى تكامل بين هذين العالمين، أو إلى تعارض ظاهري ينتهي بتلاقي هذين العالمين في وحدة تعبِّر عن الوجود في حالته الأولى الأصلية، حالة اللاتمايز, هكذا، يشير وجود الإنسان إلى كونه يجمع في جسده المادة بكاملها، بممالكها الطبيعية والنباتية والحيوانية، وإلى كونه يجمع في عقله وفكره كامل الطاقة الروحية في الصورة والقوة والإمكان. ولما كان العالمان يجتمعان في هذا الإنسان، في الجسد وفي القدرة العاقلة والمفكرة، فإن التعارض بينهما ينشأ في داخله, و يتأرجح الإنسان في وسط هذا التعارض الذي يبدو تناقضاً في ظاهره، و يقرّر الدرجة أو المستوى الذي يبلغه في سلَّم التطور الذي يتَّجه صعوداً إلى عالم الحقيقة, و إن تحقيق عالم المادة وحده على حساب عالم الروح يعود به القهقرى إلى عالم العنف والسلب، وتحقيق عالمي المادة والروح وتوازنهما في عالم الجسد يسمو به إلى عالم اللاعنف والمحبة والخير، ويتجاوز كل ما يمكن أن يقلِّل من شأن إنسانيته المتسامية.
تشير مادّة الإنسان إلى حتميّة ظاهريّة, فهو يخضع بجسده، أو بكثافته، إلى قانون صارم، تماماً كما تخضع الطبيعة الماديّة لقانونها المهيمن الذي ينظمها, وتشير روحانية الإنسان إلى حرية ووعي. فهو لا يخضع بروحه، أو طاقته، لأي حتمية أو قدرية تقع خارج كيانه، ذلك لأن الروح، التي هي القانون ذاته، تتحرر وتنعتق من قيودها المادية، ومن كثافة وجودها. ولهذا نقول: إن الروح تنشد الحرية والانعتاق من غلافها أو غلافاتها بفعل إرادة إيجابية أو مقاومة صاعدة تسمو وتتعالى، و إن الجسد ينشد العطالة بفعل مقاومة سالبة تبقيه في غلافه أو غلافاته, وبالمثل يمتد الإنسان في تيارين متباينين في الظاهر فيتناقض، على نحو صراع داخلي، إن هو خضع لمقاومته السالبة و يتحرّر، إن هو حقّق مقاومته الإيجابية, هكذا يكون الخضوع للسلب حتمية و شراً و الانعتاق منه حرّية و خيراً.
إذ نُدرك الإنسان في هذا المنظور، نعلم أنه يسعى إلى التخلص من قانونه الصارم، تماماً كما تسعى الكواكب إلى الإفلات من زمام الجاذبية بفعل المقاومة التي يبديها السلب المتمثل بالنبذ, و لكنه لا يحقق تخلصه هذا وفق قواعد الوعي والعقل الفوقي بل بفعل التمرُّد والانفعال والمقاومة السالبة النابذة. وبالتالي، ينغمس الإنسان أكثر فأكثر في مادّيته، ويكون هذا التمرُّد سبباً رئيسياً لضياعه, و الحق هو أن تمرُّد الإنسان من خلال الانفعال يزيد في إحساسه بالمأساة و يعبر تعبيراً أكيداً و صريحاً عن العنف الذي يعاني منه, أمّا انعتاقه أو خلاصه، الذي يحققه عن طريق الوعي بحقيقة كيانه، فيزيد من سعادته و غبطته و يعبر تعبيراً أكيداً أو صريحاً عن حالة اللاعنف و المحبة التي ترفعه إلى المثال الأعلى لوجوده محققاً إنسانيّة أعظم و وجوداً أسمى, و هكذا، نرى كيف أن الإنسان يعاني من تعارض قطبيه المتمثلين في مقاومة سالبة تشده إلى الأدنى .. إلى عالم الضياع و الظلمة ومقاومة إيجابية تشده إلى الأعلى، إلى الوعي الكوني و الحقيقة السامية, والإنسان يتأرجح بين هاتين المقاومتين، وهو الذي يقرّر مصيره في نهاية المطاف.
يعدّ ألّلاوعي ظاهرة العنف الأولى، و يعدّ الوعي ظاهرة اللاعنف الأولى, فالوعي هو الفرق الأساسيّ بين العنف و اللاعنف، بين الانفعال الماديّ و العقلانيّة الإنسانيّة المدركة، بين المادّية المغرقة في كثافتها و بين المادّية الصاعدة و المنفتحة إلى الرّوح. وزيادة الوعي تعني زيادة الأنسنة، ورقياً وسمواً في عالم الفكر, أما زيادة اللاوعي، وهي الجهل، والانقياد الأعمى لتلقائية المادة وعفوية رغباتها، فتعني زيادة العنف والصراع والألم السلبي والشر, هذا لأنّ العنف ينتج عن الشّر الذي يُشير بدوره إلى إنعدام الخير والوعي, و لما كان الإنسان يتميّز بالوعي و العقلانيّة المتساميّة، فمن الطبيعي و الضروري أنْ يُحقق اللاعنف و المحبة.
يبدو لنا أن العنف القائم في الطبيعة، بنوعيه المادي والحيواني، ناجم عن فقدان الوعي المُدرِك لذاته بعقلانيّة, أي فقدان (العقل الباطن) الذي تميّز به الأنسان الذي تخلّص من الحالة البشرية و أشرف على تجربة الحالة الآدمية التي معها يتكامل من جميع النواحي .. و بالمقارنة ذاتها، يبدو لنا أن العنف القائم في الطبيعة البشريّة ينجم أيضاً من عدم تنشيط الوعي والعقل خصوصا الباطن وعدم تحقيقهما, و هكذا، يبدو أنّ آلشّر العنف يُفعّل و ينمو في الإنسان إن كان يتقاعس عن السّموّ في نطاق الوعي والمعرفة و الوجدان، و ينحرف إلى تلقائية الرغبة و الشهوة, الفهد لا يعي ما يفعل لأنه لا يعقل ما يفعل، و لا يلقي أضواء روحه على سلوكه, و لا نستطيع أن نعلّمه أنّ ما يفعله هو شرّ و عنف و ذلك لأنّ محدوديَّة وعيه تعجز عن فهم حكمة الوجود, أما البشر فإنّه يتعلّم ليدرك و يفهم، و يتميّز بالحكمة بعد عبور المرحلة البشرية ثم الأنسانية حيث الآدمية؛ و ليس تعلُّمُه غير دليل على مَلَكَة الوعي ألمتأصلة فيه .. فالإنسان يعيّ لأنهُ يُفكّر و يتّقي؛ و ليس شرّه، إلاّ برهاناً عن تخليه عن الوعي والحكمة, و في هذا المنظور نسأل: كيف يظهر عنف الإنسان وشرُّه في الحياة الفردية والاجتماعية؟ كيف يتهم الإنسان الحيوان والطبيعة

بالعنف الناتج عن فقدان الوعي، ويتصرف بعنف أشدّ وهو يدعي بأنه كائن واع؟
يظهر عنف الإنسان، أول ما يظهر، عندما يتخلى عن الحكمة و المعرفة و بألتالي ألتواضع, و بهذا، يتجرّد الإنسان من القيم ألسّامية و الغايات التي نُحِتت فيه منذ أن وُجِد على هذه البسيطة, و ليس تجرّد الإنسان من قيمه و غاياته النبيلة إلّا برهاناً على إنغماسه في جسديَّة مادته التي تعبِّر عن الشهوات, و هكذا تكون الرغبات والشهوات، وهي انحراف دوافعه التي تتساوق مع العقل دليلاً قاطعاً على عنف الإنسان و تنوع شهواته.
تتعدّد الشّهوات و تتنوع و تختلف بدرجاتها وشدَّتها و ظهورها, و الحقّ هو أنّ شهوة الجنس، و شهوة الطعام و شهوة السلطة و شهوة المال وشهوة الجاه و المجد و شهوة الظهور و شهوة الطمع و شهوة الملكية و شهوة القوة و التكبر ... إلخ، حين تغلب الروح تحتضن ألشّر و العنف لأنّها متأصلة فيه و لذا يجدر بنا أن ندرسها بدقة و وعي لنعرف علاقتها بألشرّ و بالعنف و بألتالي علاجها و تهذيبها عبر السعي في عالم ألرّوح و الحقّ.
و قد حدّدتها (ألفلسفة الكونيّة ألعزيزيّة) بعشرة آفات يجب ضبطها و تنظيمها و تزكيتها بل و التّخلص منها لتأهيل ألبشرية للبدء بألأسفار الكونيّة(5) و هي:

1- **شهوة ألجنس:** الجنس طاقة حيوية، روحيّة ومادية، فاعلة في الإنسان لتحقيق غاية نبيلة، رفيعة و سامية، تماماً كما تفعل طاقات الحياة أجمعها, إن أي انحراف لهذه الطاقة عن الغاية النبيلة التي وُجِدت فيه يشير إلى انفعال مادي، إلى انفعال غير عقلي، إلى تجرد من مفهوم المحبة واللاعنف، وإلى عنف شديد. فالطاقة الجنسية التي لا تتحقق في حقلها، في مستوياتها الثلاثة المتصلة، البيولوجية والنفسية والروحية، أي في الغاية التي من أجلها وُجِدت وفق قاعدة الوعي الكوني، تعبِّر عن عنف شديد. إن انفعالاً قوياً يلفُّ الجسد، ويلغي دور القوة العاقلة، ويُخضِع الإنسان لسلبية المادة ومقاومتها السالبة، ولاتجاهها إلى عالم الأسفل، إلى عالم يخلو من الحكمة والوعي. ونحن نعلم شدة العنف الذي يشوب العلاقات الجنسية التي لا تتحقق وفق قاعدة المحبة والخير، أي اللاعنف. وبالإضافة إلى هذا، نعلم أن جرائم عديدة تُقترَف في نطاق الدافع الجنسي المنحرف إلى شهوة. ولذا، نرى أن الجنس الذي يخرج عن نطاقيه، الروحي والمادي، يشير إلى العنف. وما لم يتسامَ الإنسان بطاقته الجنسية ويسمُ بها، فإن العنف يسود البشرية إلى ما لا نهاية. وكل علاقة جنسية لا تبغي تحقيق غايتها تنحرف إلى عنف لأنها تحقير للكائن الإنساني.

2- **شهوة الطعام:** يُعد الطعام وسيلة للمعيشة و استمراراً الحياة. وليست الرغبة في الاستزادة منه غير دليل على العنف. وعلى هذا الأساس، نسأل: كيف يتضمن العنف في هذه الرغبة؟
إن كان ما يقوله بعض المفكرين بأن الصراع القائم بين الناس صراع يُرد إلى المعدة أو ينطلق منه الصراع الاقتصادي فإن شهوة الطعام تلعب الدور الرئيسي في الحياة الاجتماعية، وتعبِّر عن عنف قاتل وشنيع. في شهوة الطعام، يسعى الإنسان إلى الحصول على المزيد، ويهدف إلى حرمان غيره منه، الأمر الذي يؤدي إلى النزاع والصراع بين الإنسان والإنسان.
تعبِّر شهوة المعدة عن عنف شديد، ذلك لأنّ المعدة تطلب المزيد، و يسعى الإنسان لإشباعها على كل المستويات, وليس هذا السعي إلى المزيد غير دليل على أنانية الإنسان وعنفه. فأنا أحوِّل طاقاتي كلها لكسب معيشة بائسة لا ترتبط بمعنى حياتي ارتباطاً وثيقاً. وعندئذ، ينشأ الصراع بين الناس من أجل المعيشة، وليس من أجل الحياة. وعندما ينظر الإنسان إلى حياته من خلال معيشته، من خلال طعامه ولباسه وزينته، يُخضِع معنى الحياة لزخارف المعيشة، الأمر الذي يؤدي إلى امتداد الصراع المعبِّر عن العنف.
هكذا، يعيش الإنسان في عالم مزيّف تسيطر عليه شهوة معدته، و تسيطر عليه أهواؤه التي تنزع إلى المزيد من أمور المعيشة بغية الحصول عليها، أو تخزينها إعتقاداً منه بأنها تمنح المعنى و القيمة لوجوده, و في هذه الحالة يشتد الصراع بين الناس على النحو الذي يشير إلى وجود أناس جائعين و آخرين مترفين ومُتخَمين, لذلك، يظهر زيف الإنسان من خلال شهوة المعدة, و على غير ذلك، يُستحسَن أن تُوزَّع كلّ زيادة أو استزادة، تعبّر عن الطمع و الأنانية، توزيعاً عادلاً, ألإنسان الذي يُنفِق على شهوة معدته الكثير بينما العالم يجوع، إنسان يُجسّد العنف في أوسع معانيه لأنهُ جاهل بحقيقة وجوده, و الإنسان الذي يسعى إلى الطعام كوسيلة لا هدف لإدامة حياته من أجل الغايات السّامية و نشر الفضيلة، إنسان يتجرّد من ألشّر و العنف.

3- **شهوة التسلط:** تشير شهوة السلطة، وهي التسلط، إلى أنها دليل على العنف. وإذا ما تساءلنا: لماذا يرغب الإنسان بالسلطة؟ لماذا يتهرب من الخدمة؟ أ لَيس لأنهُ يزعم أنّ السلطة تشير إلى تفوقه الكاذب على غيره و إخضاعه له؟
و لماذا يرغب الإنسان بإخضاع غيره و التحكُّم به و التسلُّط عليه؟ أ لَيس لأنه يعتقد بتعاليه عليه من خلال مظهر العظمة الفارغة؟ وما هي الزيادة التي يبغيها الإنسان عندما يتسلط على غيره؟ هل تزداد قيمته؟ هل يزداد وعيه؟ هل تزداد ثقافته؟ هل تزداد طاقته الإنسانية والروحية؟ وهل يرى في السلطة خدمة لغيره؟
في شهوة التسلط، يكمن صراع يشير إلى العنف .. إنّها مأساة الإنسان الأناني المتحجّر الفاقد للوعي و الوجدان الذي أضاع

نفسه، فأراد أن يجدها في المجتمع بطريقة زائفة, هذا .. لأنّ الذّات التي أضاعت حقيقتها، تبحث عنها في المجتمع, و في هذا المجتمع، تتراءى لها أوصاف ذاتها الكاذبة والوهميّة في السلطة، وحب الظهور، والتحكم بالآخرين، و تمجيدهم المراوغ لها, و يتجلّى الصراع في أَوْجِّهِ وعلى أَشُدِّه .. ذلك لأنّ كلّ ذات، على نحو تقريبي، ترغب في إظهار ذاتها بالطريقة ذاتها, و هكذا، تكون شهوة السلطة تعبيراً عن العنف الكائن في الإنسان الذي يتخلى عن حقيقته، عن حقيقة الخدمة، و حقيقة محبة الآخرين و التآخي و التساوي معهم.
كثيراً ما سألت نفسي: هل يتوقّ المرء إلى السلطة لو كانت السلطة تعني الخدمة – و الخدمة فقط؟ وهل يدرك عمق السيادة الروحيّة - ألقلبيّة أو السلطة الواعية التي يتمتّع بها الحكماء و العلماء الذين يُردِّدون العبارة المثالية [إن ابن الإنسان قد أتى ليَخدُم لا ليُخدَم](6)؟

4- شهوة ألمال: لا تقل شهوة المال عن غيرها امتلاء بالعنف, و لو أننا سألنا: لماذا يرغب الإنسان في الاستزادة من المال؟ لأجبنا: إنه يرغب بهذه الاستزادة لاعتقاده بأنه وسيلة مباشرة فعالة لتحقيق كل ما يشتهيه، أو أنه وسيلة فضلى ورائعة للظهور والتفوق. ولا يحول هذا التفسير والتوضيح دون طرح السؤال التالي: متى كان المال، وهو وسيلة التبادل، يقوم مقام المعرفة والحكمة؟ وهل يزداد الإنسان حكمة في حال ازدياد ماله؟ هل يزداد فضيلة إن زاد ماله؟ وهل تتحقق طاقاته الفكرية والإنسانية نتيجة لزيادة المال؟
يعتقد الإنسان الأناني أنّ المال الكثير مُدعاة لتحقيق معيشته ورغباته, و بهذا آلصّدد، نتسأأل: ماذا يحقق المال الكثير؟
وأجيب: إنه يحقق الشهوات, و إذا كان المال الكثير وسيلة لتحقيق الشهوات، أَ فَلا يعني هذا أنهُ وسيلة لتطبيق آلشّر و العنف والسّلب بالمال الكثير؟
يقول الأنانيّ، أستطيع شراء ضمير ألآخرين .. كما أستطيع شراء المجوهرات, بالمال الكثير، أستطيع الظهور و التكبر بقوة المال الكثير، أستطيع أن أُملي إرادتي أو رغبتي كما أشاء، و أستطيع أن أمَيّز نفسي عن غيري, و إن كان المال الكثير وسيلة فعّالة لتحقيق الشهوات، فلأنه لا يمتُّ إلى وعي الإنسان بصلة, هذا لأنّ دوافعه تعاني من انحراف و إشكال.
إنّ الرغبة الجامحة لإقتناء المال الكثير، و السعي الحثيث وراءه، و إهمال القيم الأساسيّة في الحياة، أمور تشير إلى صراع عنيف بين الناس، يُؤدي، في نهاياته القصوى، إلى أنواع النزاع و الحروب؛ إلى أنواع العنف المبطن في الشيء ذاته!

5- شهوة الجاه و المجد: تشير هذه الشهوة إلى الغطرسة التي بدورها تشير إلى تمييز الإنسان لذاته عن أقرانه, إنه يسعى إلى إظهار ذاته بمظهر المتعالي و المتفاخر, و إذا ما سألنا: لماذا يتكبّر الإنسان على غيره؟ أجبنا بأنّ هناك أسباب مادية و معنوية؛ ألأسباب المادية: يُعَدُّ الانتماء إلى عائلة عريقة، و الوضع الطبقيّ، و الشعور العنصري و المذهبي و المال و الإرث و التملك و الجمال الجسديّ، عناصر مُحفزّة للغطرسة و التعاليّ!
ألأسباب المعنوية: يُشكل الشعور بالذكاء و بالشخصية الكاذبة أيّ الفردية، و المركز الاجتماعيّ و المهنيّ، عناصر للتكبر بالفعل, و في الحقيقة ليست هذه الصفات أكثر من عناصر زائفة تشدّ الإنسان إلى أسفل ؛إلى ظلام الأنا, فالجاه على سبيل المثال وسيلة للظهور الباطل من خلال المركز الاجتماعي أو الاقتصادي, و يقع شرّ هذه الأمور في ميل ألمُتكبّر إلى إحتقار غيره و تمييز ذاته بإحساس وهميّ بذاتيَّته, و لا يخرج هذا الاحتقار و التمييز بالشعور الكاذب بالشخصيّة عن دائرة العنف، ذلك لأنه يؤدّيّ إلى صراع الإنسان مع الإنسان.

6- شهوة الطمع و الحرص: تبدو هذه الشهوة بأشد حالاتها بؤساً في عالم العُنف, و يُعدُّ الطمع وسيلة فعالة لانتصار الذاتية والأنانية, فهو الحلبة التي يتمّ بها الصراع العنيف القاسي بين الناس، إذ يؤدي إلى الاقتتال و النزاع و الانتقام, و لا يقوم الطمع على أساس من الوعي، ذلك أنه ينصبُّ على الأمور الدنيوية, و هكذا، يطمع الإنسان بالمال الكثير، و بسدَّة الحكم و الجاه، و بالجمال الجسدي، ذلك لكي يبدو ذاتاً اجتماعيّة كاذبة, و إذ يزداد طمع الإنسان يزداد معه شرُّه وعنفه, و يستتر الطمع، في أحوال كثيرة برداء الطموح, و ليس الطموح، كما هو مطروح على مستوى التربية الانفعالية، إلّا طمعاً مقنَّعاً, إ لَامَ يطمح الإنسان؟
إنه يطمح إلى الأشياء ذاتها التي تُشكّل الحرص و الطمع!
و لماذا يطمح الإنسان إلى المجد الاجتماعي ولا يطمح إلى المعرفة من أجل المعرفة و السّمو الوجداني كأصل في وجوده؟
ولماذا يطمح إلى امتلاك أمور ماديّة عديدة و لا يطمح إلى خدمة الآخرين؟
ولماذا يطمح إلى الكبرياء وحب الظهور ولا يطمح إلى المحبة والتواضع؟
يشير مفهوم الطمع و الطموح الذي تتبناه إرشادات التربية الانفعالية وتوجيهاتها إلى مفهوم واحد .. بدرجتين متنوعتين، تعبِّران عن العنف المُلازم لقوى المادة المنفعلة دون أخذ حقيقة الآخرين بعين الاعتبار.

7- شهوة التملك: تُعَدُّ هذه الشهوة أكثر الشهوات دليلاً على العنف, فهي وسيلة فعالة لتوطيد الفروق المادية والمعنوية بين الناس. ويكون التملك شراً متى زاد عن الحاجة الضرورية للملكية اللازمة للإنسان, و بإعتقادي أنّ كل مال أو تملك يزيد عن حدٍّ معين، يُفعِّل الإنسان باتجاه ألشّر و العنف، و كذلك يقصيه عن الخير والمحبة والسلام .. هذا لأن الملكية الزائدة تصبح مجالاً للصراع بين الناس، و وسيلة للتناحر، وعلَّة مباشرة للنزاع بين الأفراد والفئات, ولما كان جميع الناس أو غالبيتهم، ينزعون إلى الملكية، فإنها تصبح وسيلة عنف لأنه يستحيل على الإنسان تحقيقها دون أن يتسلط على غيره أو يستغله أو يتحكم به، أو يرذله، أو يتعالى عليه تعالياً كاذباً, و على هذا الأساس، تكون الملكية وسيلة لتحقيق الذات الوهمية التي تُسقِط حقيقتها الإنسانية!
و إذا ما سأل الإنسان الحكيم نفسه: لماذا أسعى إلى الملكية المتجاوزة لحاجاتي الضرورية؟
أجاب: إنّ ملكيّتي لعشرة أطنان من القمح ليست ملكية ؛ إن كان أقل من طن واحد يكفيني!
و ليس الاحتفاظ بأكثر من تسعة أطنان إلّا شرّاً كبيراً، يحمل العنف في أحشائه, و ليس هذا إلّا لأنّني منعتُ الخير الطبيعيّ عن آلاف من الناس الآخرين، و حرّمتهم منه, و كلّ احتفاظ بالخير ألذّاتيّ في سبيل الأنانية و الذاتية ينقلب أو ينحرف إلى شرّ و يتحول إلى وسيلة عنف, إني أرغب بامتلاك الفائض و الزائد لأنني أعتقد بتحقيق ذاتيَّتي التي هي مظهر لأنانيتي! لماذا أشتهي الملكية لذاتي ولا أشتهيها أو أريدها للآخرين؟ ولماذا أحرم الآخرين منها؟ لماذا أتمنى أن يكون الفقر أو العوز من نصيب غيري، و أدَّعي بأنني أحبّه، و أسعى إلى مساعدته، و لا أريده لنفسي؟ هكذا تكون الملكية تملكاً و شراً متى تجاوزت حداً معيناً.

8- شهوة ألقوّة الماديّة: تُعَدُّ هذه الشهوة وسيلة شرّ و عنف واضحة لأنها تشير إلى اعتماد البشر مبدأ يتجرّد من الوعي و الحكمة, و يشير إعتناق الإنسان لمبدأ القوة الماديّة إلى اعتناق الإنسان لمبدأ العنف، و ذلك ليفرض شخصيته الوهميّة و ذاتيته الكاذبة .. فعندما يتملّك الإنسان ويُخضِع غيره بتملُّكه هذا، و يحس بتسلطه على الآخرين، أو عندما يتملك سلاحاً قوياً يرهب الآخر به أو يرعبه أو عندما يتسلّم مركزاً يستغله لإرهاب الناس أو لاستدعاء إحترامهم الظاهري ألكاذب، أو عندما يمتلك مالاً يجعل منه وسيلة للتكبر على الآخر، يشعر بأنه قوي من الوجهة المادية، بمعنى أنه عنيف. ونأسف لقولنا إن التقدم التكنولوجي، بوسائله المادية العديدة، قد ضخَّمَ شعور الإنسان بالقوة الكاذبة, فلو أننا تصورنا إنساناً يقود طائرة حربيّة مدمِّرة أو بارجة حربية أو قاعدة صاروخيّة مدمِّرة، تندفع بقوة، و يحس بقدرته "ألإضافيّة" على التهديم و القتل، بمجرَّد استعمال زر معيَّن أو حركة آلية معينة، لرأينا أن شعوراً كاذباً بالسلطة و القوة يتحكَّم به، فيفاخر به و يتقمص شخصيّة مزيفة كلّ التزييف بعيدة عن بشريّته ناهيك عن إنسانيته التي لا و لم يدركها مع تلك الأحوال لبعده عنها, و ليس الشعور بالقوة المادية الكاذبة إلا تعبيراً عن العنف و يُؤسفنا أنْ نقول إنّ البشر يتراجع إلى حقيقته الأولى، إلى إحساسه بالضعف، إلى إحساسه بالمذلة و الهوان عندما يتجرّد من هذه القوة الماديّة الوهمية, و عندئذ، نسأل: أين كانت قوّة الإنسان الماديّة؟ أ كانت في ساعده القوية و جسده القوي؟ وماذا يصيبه عندما يسقم هذا الجسد، و يتعرض للضعف المادي؟ أ يَبقى شعوره بالقوة قائماً؟ و هل تزداد حدّة عنفه أم تقل و تخف؟ و لماذا يشعر بالضعف متى تجرَّد من القوة المادية؟ أ لَيس هذا الإحساس دليلاً على هشاشة بنية شخصيّته الإنسانيّة؟ وهل تجسَّدت قوة الإنسان في المركز ألّذي تقلَّده؟ أو في المال الكثير الذي إقتناه أو كان ينفقه؟ أو في السلاح الذي كان يحمله و يهدد به؟ أو في الأداة أو الآلة القوية المدمرة التي كان يستعملها؟
لماذا يشعر بالضعف بعد تجرّده منها؟
تشير دراسة القوّة و ألضعف إلى أنّ هذين المفهومين يشيران بدورهما إلى غير حقيقتهما كما نشاهدهما و نفهمهما في النطاق الماديّ، أو في المظهر الاجتماعيّ الكاذب.
فما القوة وما الضعف؟
ليست القوّة هي المظهر الخارجي للقوة؛ إنّها قوّة ألرّوح، و ألفكر، و ألعقل على ألإبداع، و زيادة الوعي و الدفاع عن الحقّ؛ إنها قوة الفضيلة المتأصلة في كيان الإنسان، و قوة المحبة، و الخدمة، و التحمل، و التضحية في سبيل الآخرين, و الضعف، ما الضعف؟ هو كل اعتماد على قوة خارجية لا تنبع من داخل الإنسان بقدر ما تضاف إليه. فالضعف، كل الضعف، يقوم على اعتماد الإنسان وسائل خارجية واهية، يضيفها إلى فرديته، و لا تمتّ بصلة إلى شخصيته و حقيقته الداخلية, لذا، نرى أنّ القوة الماديّة الكاذبة وسيلة عنف كبرى لأنّها تحمل في أعماقها صورة زائفة و مشوهة لشخصيّة الإنسان, و تشير هذه القوة الوهمية، سواء كانت على المستوى الفرديّ أو على المستوى الاجتماعيّ أو الأمميّ، إلى نزعة العنف و الشر.
أخيراً، أود أن أقول: ثمة فرق كبير بين العنف والقوة .. فالإنسان القويّ هو الكائن الذي يتكامل في داخله و يمثّل شخصيّة واعية لا تهزها أعاصير الانفعالات, و الإنسان الضعيف هو الذي يضيف إلى ماديَّته "قوة" ماديّة خارجية تتلاعب بها الانفعالات, وهكذا أقول: يصير الضعيف عنيفاً عندما يزوِّد ذاته بوسيلة مادّية خارجيّة مضافة، لكنه لا يصبح قوياً.

9- شهوة الحقد والكراهيّة: تُعَدُّ هذه الشهوة من أكثر الوسائل شراً وعنفاً, ففي هذه الشهوة تتركز جميع الشهوات وتجتمع, فإن فشلت الشهوات في مجال التطبيق، تحوَّلت إلى حقد و كراهية وضغينة, و يتركز العنف في هذا الحقد لأنه يصبح الوسيلة الفعالة للثأر تسويغاً لشهوة فشلت، و تركزت في إنسان, و عندئذ، ينفعل الإنسان ضد نفسه، و يتمرَّد على الإنسان، إن هو فشل في

مجال التملك، أو في الجنس و الحب العضوي، أو في عملية طمع، أو في حرمانه أو عدم حصوله على سلطة أو مال، إلخ... و يحوّله هذا الفشل المُحبِط إلى فرد عنيف، ذلك لأنه تحول إلى امرئ كاره وحاقد, و الحق هو أن هذا التحليل ينطبق في المجال الفردي، و الاجتماعي والدولي, و يصير المجتمع الإنسانيّ مجموعة من الأحقاد، و يتأثر المجتمع الدّولي على نحو مباشر أو غير مباشر, و هكذا، يقف الناس بعضهم من بعض موقف خصومة و نزاع مريرين.
هكذا، نرى أن كل دافع لا ينظِّمه العقل الواعي و يحوِّله إلى فضيلة، أو غاية نبيلة، يصير تعبيراً عن آلشّر و العنف, ففي شهوة الجنس، و هو الحب المادّي القائم على الانفعال، يتحوّل الإنسان إلى قوّة مُدمرة، إلى منفعل لا يعي .. يتصرّف بطريقة غير موقَّرة يُذِلُّ بها غيره, وفي شهوة الملكية وغيرها من أنواع العنف، كالكراهية و الحقد، يتحوّل الإنسان، بل ينحرف إلى قوة مدمّرة لأنّ وعيه ينزل إلى أدنى مستوى ممكن، فتنفعل المادة و تتمرد و تتخبط في ظلمة انفعالها, و ليس انفعال المادة، أوالأنا وتمرُّدها إلا قمّة العنف, لذا تكون الحرب قمّة الشّر لأنها الدّرجة القصوى للانفعال والحقد والكره – هذا الانفعال الذي تتركز فيه أشكال العنف ألأخرى، و تتجمع فيه جميع السلبيات, و في شهوة القوة المادية الكاذبة تخرج الشخصيّة الإنسانيّة عن طورها، وتشعر شعوراً باطلاً بالقوة، فترتفع على حساب بطلانها، وتُحس بأنها تمتلك ناصية الجبروت والقدرة، فتندفع في أعمال طائشة تؤذي الآخرين، أو تدمرهم، أو تذلهم، أو تقتلهم أو تتكبر عليهم, و في شهوتيّ الطمع و الطعام و التسلط و غيرها من شهوات الإنسان، تندفع الأحاسيس المنفعلة و تنزل بالإنسانية إلى درجاتها الدنيا، و تصعد الأنانية إلى درجاتها العل, هذا، لأنّ الشَهَوي بطعامه لا يأبه لمصير العالم إن جاع هذا العالم، أو إن كانت شهوته توقِع الضرر بالآخرين. إنه يهتم بأنانيته، وبإشباع شهوة معدته على حساب خير البشرية، وبعدم التفكير بالذين يستحقون التفكير فيهم. وترتبط شهوة الطعام بانحطاط قيم الحياة, ولا يفكر الشَهَوي بمعنى الحياة، بل ينساق وراء ملذات المعيشة, أما الطامع فإنه "مكيافيلّي" يصل إلى هدفه بكل وسيلة ممكنة شائنة، كانت أم غير شائنة، ولا يأخذ مصير غيره بعين الاعتبار, إنه أناني ذاتيّ، قاسٍ وظالم، عنيف لا يسعى إلّا إلى تحقيق انفعاله ألفرديّ فقط.
يتجسد العنف في كلّ سلوك أو تصرف لا يتساوق مع الوعي و التواضع و المحبة, لذا كانت الرغبات و الشهوات دليلاً على عدم إعتماد قاعدة أخلاقية أو نظرة عُليا و سامية للوجود الإنسانيّ، و دليلاً على عدم تحقيق الدّوافع في مستواها العقلي, على هذا الأساس، لا يحقّ لي أن أُذِل جسد أو شخصيّة غيري من أجل شهوة تتملّكني؛ جنسيّة كانت أم معدية (بطنية) أم مالية أم اجتماعية, و لهذا السبب تكون الشهوات دليلاً بيّناً على وجود العنف لأنها مظهره الواقعي, فإذا كنا نتَّهم الحيوان و الطبيعة بنزعة العنف لانتفاء الوعي؛ يجدر بنا أن نتَّهم الإنسان بالعنف ذاته للسّبب ذاته, وعندما يندفع الإنسان في تيار شهواته، و ينساق وراءها بأنواعها العديدة، يكون العنف طريقه الوحيد .. و هدفه الوحيد، و يصبح المجتمع غابة إنسانيّة.

يشير العنف إلى ضياع العقل الإنسانيّ، وإلى عدم تركيزه على غاية إنسانيّة، نبيلة و سامية، و يشير أيضاً إلى عدم تفهّم طاقات الإنسان و الغاية التي تفعل فيه, فلو أدرك الإنسان أنه قد وُجِد في الحياة الأرضية ليعرف و يفهم و يعي، ويحقق غاية نبيلة وسامية تتجلى في خدمة الناس، لأدرك أنّ الشهوات كلها لا تعمل في خطة الحياة هذه و لكان العنف في أدنى مستوى له, أما عندما ينحطّ الإنسان إلى درك الإنفعال و الهوى و التلقائية اللاهادفة و يخضع لسلبية مادّته؛ ينعدم مفهوم الغاية من وجوده، فيقلّ الوعي أو ينعدم و يرتمي في أحضان آلشّر و العنف.

10- شهوة التكبر:

يعتبر شهوة التكبر و الغرور خصوصا الفكريّ منها من أخطر العوامل ألمدمّرة لروح و عقل الأنسان و إستقامته و دحر التواضع و العبودية لله في وجوده, ذلك أن المتكبر لا يتكبر إلا لضعفٍ و نقصٍ و عيب أو عيوبٍ في وجوده يُحاول التغطية عليها من خلال تكبره الفارغ على الآخرين من بني جنسه, و هو بعكس (التواضع) تماماً الذي يجعل الأنسان معتدلاً و محبّاً لمن معه و لمن يعاشره من المقربيين و البعيديين, لهذا فأنّ أيّة دوافع لا تنظمها العقل و تتحكم بها الفضائل و القيم التي تقبع خلفها روح آمنة سليمة؛ تؤدي إلى بروز الشرّ و التنفر و الكراهية و بآلتالي إنقلاب القيم في المجتمع سواءاً كان هذا المجتمع يُمثّل محيط البيت و العائلة أو الجماعة الواحدة أو المجتمع الكبير أو حتى أمّة أو أممّ بأكملها و بين جميع صنوفه و تياراته و طبقاته, لأنّ العقل المنفعل – المضطرب و المضغوط – بسبب التكبر و النهج الفكري المريض و العقد التربوية؛ لا يستطيع أن يُفكر بشكل سليم و بآلتالي لا ينتج المفيد و المثمر, بعكس العقل الفاعل الذي ينتج على الدّوام و في كل الظروف حتى إنتاج العِلم بلا توقف و منّة.
و بما أن المجتمع يتكون من أفراد تربطهم روابط معينة؛ فأن ذلك الشرّ المتولد منهم تشكل ظواهر تعمّ المجتمع بحيث تصبح عادات و تقاليد و ثقافة عامة, و كما نشهد اليوم في بلادنا و غيرها بأن ثقافة التسلط و نهب الأموال و التحايل على حقوق الناس فنّ حزبيّ لا يجيده إلا ذو الأخلاق الخبيثة الفاسدة, لهذا سنشير إلى مستقبل المجتمع الأنساني برمته نتيجة هذا الأنحراف الخطير الذي يواجه معظم إن لم نقل جميع مجتمعات العالم بدرجات متفاوتة, لمعرفتها و محاولة التخلص منها عبر الوعي عن طريق تشكيل المنتديات الفكرية و زيادة الوعي الذي يؤدي إلى تطبيق العدالة الأجتماعية وحده يقضي على الفساد الأجتماعيّ و

إفرازاته بسبب الحاكمين و العصابات الحزبية ألتي تسلّطت على الناس بغير حقّ.

أسباب ألفساد الاجتماعيّ:
دلّت دراستنا ألكونيّة لماهيّة الشّر وآلعنف؛ على المستوى الفرديّ كما ألمحنا .. على أنّ ألذي لم يُهذِّب نفسه بما يتّفق مع قواعد الوعي و آلعرفان و الحكمة التي وردت في (آلفلسفة الكونيّة العزيزية) فإنهُ سيكون صيداً سهلاً لمفاهيم الأحزاب المختلفة التي أثبتت عمليّاً من خلال تحكمها في مختلف بلاد العالم بأنها منابع للفساد و الجهل و الأرتزاق و تحطيم أخلاق المجتمعات المختلفة لنهب حقوق الطبقة الفقيرة و مستقبل الأجيال القادمة و كما شهدنا ذلك في الدول الكبرى كأمريكا و روسيا, أو الدول الأصغر كتلك التي في أوربا و آسيا و أفريقيا و غيرها, و لعل ما حدث في العراق أثناء حكم الأحزاب السّابقة قبل 2003م و اللاحقة من بعد ذلك و الحاليّة خير دليل على ذلك الفساد .. لعداء تلك الأحزاب و محاربتها للفكر و الحكمة و لحامليها .. و ليس سقوط الإنسان إلا سقوطاً من آلحكمة و الوعي و إلى انعدامهما، و تراجعاً من آلاتّصالية الكونيّة .. إلى الانفصاليّة ألجّسديّة الأرضيّة, و في هذا السقوط و هذا التراجع نشأ آلنفاق و العنف و إنتشر آلشّر و القتل و القنص و الرّذيلة، و سادت الخطيئة نتيجة للخير المسلوب ألمتمثل بآلحكمة و الفضيلة, و بالمثل، تتطور الطبيعة وفق القوانين المنظمة، ولا تكون عنيفة إلا بخروجها عليها, أما الإنسان الذي يدَّعي بأنه يتميز بالعقل والوعي، فإن عنفه ينشأ عن خروج مادته عن قواعد نظامها الداخلي المعروف بالروح، أو عن قاعدتها المعروفة بالوعي. وفي هذا الخروج، يخضع العقل للمادة المنفعلة، ويبرز العنف إلى الوجود. لذا، تكون دراسة العنف، على المستوى المادي، قاعدة أولية لدراسته على المستوى الاجتماعي. ويزداد اهتمامنا بدراسة العنف على المستوى الاجتماعي، لأن العنف على هذا المستوى، يقوّي حدة أو شدة العنف الفردي و يزيده شراسة, فما هي العوامل والأسباب التي تجعل من المجتمع مكاناً ملائماً للشّر و للعنف؟
أو بتعبير آخر ما هي أسباب طغيان آلشّر و العنف في المجتمعات :
لقد شهد العالم موجة عظيمة من الأرهاب و القتل و الحروب و العنف و الطلاق و الأنحلال الخلقي و ما زالت أوارها قائمة و تتسع بشكل مطّرد, و لا تستطع جميع الأحلاف و المنظمات الأمنية و العسكرية من القضاء عليها, إلا في حالة إزالة الظلم و أحلال العدل و القيم الكونيّة بدل ذلك المتمثل بآلشهوات التي أجملناها بعشرة تمثل جذور المحنة و الفساد المنتشر في العالم.
وكما حدّدنا فيما مضى جذور بروز ظواهر الأنحراف و تفاقمها في حياة الأنسان و آلمجتمعات و حتى الأمم بعشرة منابع كشهوات تنمو و تظهر عبر سلوك البشر فيتعاظم ألشّر و العنف و آلظلم بينهم؛ فأنّ هناك أسباب رئيسيّة تُسبّب تفاقم و تعاظم تلك الشّهوات ألمُدمرة, و هي:

1- ألأحزاب و آلآيديولوجيّات: أو المعتقدات القائمة في المجتمعات المتباينة التي تدعو إلى تقييم معيَّن يتعارض أو يتمايز عن غيره من أنواع التقييم, و من خلاله تتخذ ألدولة أو النظام الحاكم أو الفئة المتسلطة موقفاً عدائياً من الدولة أو الفئة الأخرى أو من الدول الأخرى, و لما كان الإنسان ينشأ و يترعرع في أحضان آيديولوجيا معيّنة أو معتقد معين فإنه يميل، بطبعه التجمُّعي، إلى العنف المتمثل بالموقف الصلب، مؤمِناً أن هذا الميل خير في أصوله.
إن واقع العالم يشير إلى مأساته و إنحاطه، و صراعهُ يُشير إلى العنف القائم في معتقداته ومواقفه ومذاهبه, فكل معتقد أو إيديولوجيا، تشير إلى عداء مستحكم ضد معتقد آخر أو إيديولوجيا أخرى, و للأسف نقول: إنّ كل واحد منها قد وُجِد ليكافح من خلال خَيرهِ المزعوم مظالم الأخرى و شرورها وانحرافاتها, و هكذا نرى أن المعتقدات أو الإيديولوجيات أو المذاهب تؤدي إلى الحروب الطائفية أو الفئوية، وتتسنّم قمة العنف، أو تؤدي إلى الصراع العنيف، لأنها تزعم صواب معتقدها أو موقفها، وتعلن خطأ غيرها من المعتقدات. ومما لاشك فيه أن هذا التقييم يُسيء إلى الأفراد القاطنين في بلدان مختلفة، ويجعل منهم أناساً يتقبَّلون العنف بسبب ما لُقِّنوه من أن عداء الأفكار الأخرى أمر ضروري وجوهري. ويعيش الناس في العالم قاطبة على فوهة بركان العنف – العنف الناجم عن عدم الاعتراف بالآخر، وعدم تحقيق مبدأ التحمُّل في العلاقات البشرية.

2- ألمدّ ألمذهبيّ و آلقوميّ: لا تقل هذه النظريّة تأثيراً في نطاق العنف عن الإيديولوجيات أو العقائد السائدة, و إننا نقصد بمصطلح (الأمم القومية)؛ ألتّعصب القوميّ ألذي يجعل الدول شعوباً و حكومات تناهض بعضها بعضاً، و تقف ضد بعضها بعضاً بأسلوب مؤلم, و كما هو حال الدول الإسلامية ذات القوميات المتنوعة و التي إستطاع الإستكبار تفعيل النفس القومي فيها و جعلها كآيدلوجية لأجل تفريقها و بآلتالي السيطرة عليها, ونحن عندما نتحدث عن التعصب القومي، وعن الأمم القومية ونتَّهمها بعنصرية العنف؛ لا نقصد التقليل من أهمية الوطنية, فالوطنية الحقّة تختلف في مفاهيمها عن التعصب القوميّ، و ذلك لأنّ التعصب القوميّ يؤدّي إلى الحروب و يحمل بذور العنف، في حين أن الوطنية مفهوم إنسانيّ تقتضيه الضرورة الكونية في المجال الإنساني, لذا تُشبَّه الوطنية بالعضو المؤلّف من خلايا عديدة تتفاعل بعضها مع بعض و تشبَّه القوميّة المتطرفة بالفرد, و تتألف الأمة من أفراد يجتمعون بإرادة مشتركة, وتُشبَّه الأمة بالعضو، بينما يشبَّه الفرد في الأمة بخلية حيّة في هذا العضو, أما الجسد، الذي هو العالم فإنه يتألف من أعضاء سليمة و نشيطة ومتفاعلة يقوم كل عضو منها بدوره الفعال الحقيقي, أمّا التّعصب

القوميّ (و يُشبَّه بالفردية الأنانية المغلقة على ذاتها) فإنه يؤديّ إلى العنصرية، و حب التفوق و التكبر، و يثير نزعة استغلال الأوطان لغيرها من الأوطان، و يؤدي هذا التعصب أيضاً إلى التضييق على الشمولية الإنسانية وعالمية الوجود الإنساني, و هكذا يُمكننا أن نقول إنّ الوطنيّة الصحيحة أو الأسلامية الصحيحة لا تتناقض مع شمولية الإنسانيّة، إذ هي تعبِّر خير تعبير عن هذه الشموليّة على نحو مصغر, أما النظريّة القوميّة أو المذهبيّة المتعصبة؛ فإنها ترمي العالم في أحضان التمزق والصراع و الفرقة، الأمر الذي يُؤدي إلى إشعال الحروب، ونشر الويلات، وهيمنة الكره والعداء، و تشير دراسة التاريخ إلى أنّ الحروب التي اندلعت كانت وليدة التعصب القومي و المذهبيّ و العنصري الذي أدّى، بدوره، إلى نزعة السيطرة و التوسع, و آلحقّ هو أنّ عقيدة الأمم القوميّة و المذهبيّة قد إنبثقت، في أصولها؛ من عقيدة العِرق السائد؛ و لا تخرج هذه العقيدة عن دائرة آلشّر و آلتكبر و العنف لأنّها متضمنة لها في صلبه, خصوصاً حين تدعيّ الأفضليّة و التعالي و آلسّمو على الغير.

3- **عصر ما بعد العولمة:** بدأ هذا العصر مع بدء الألفية الثالثة و أدّى أيضاً إلى اشتداد العنف و الحرب و الأرهاب في العالم, و نحن نعجب كيف يُمكن أن يؤدي التقدم ألعلميّ و التكنولوجيّ النانويّ إلى العنف؟ إنّهُ أمرٌ واقعيّ، ذلك أنّ كل تقدم تقني، يُستغَل لدعم إيديولوجيا أو عقيدة ترجع إلى أعضاء (المنظمة الأقتصادية العالمية) التي تسيطر على منابع الطاقة في العالم و كذلك البنك الدولي و مركزها في نيويورك و دافوس، و هذا يُعَدُّ سلاحاً قاتلاً في يدها، و يكون بالتالي وسيلة عنف, تجيز لهم حتى محو و تحطيم شعوب بأكملها بذرائع مختلفة كآلحفاظ على السلم و محاربة الأرهاب و حيازة الأسلحة النووية و لما كانت الدول بإيديولوجيّاتها وعقائدها، تدَّعي العمل في حقل (السلام) و(العدالة)؛ فإنها تُدمِّر بعضها بعضاً و كما شهدنا الكثير بعد أحداث 11 سبتمر عام 2001م و حتى قبلها، وهي تعتمد على التقدم التقني الذي يمدّها بسلاح مدمِّر يُعبِّر .. أكثر ما يعبر؛ عن العنف و الشّر و التدمير, و لما كان الإنسان عاجزاً عن رؤية الخير في التقدم التقنيّ سواءاً المدني أو الحضاريّ، فإنه يستغله لتوطيد أطماعه ألعديدة التي تتراءى في مظاهر متنوعة : كمظهر الدفاع عن الوطن؛ مظهر الدفاع عن معتقد أو وجهة نظر؛ مظهر محاربة العقائد الأخرى؛ مظهر محاربة الأرهاب؛ مظهر محاربة الحصول على السلاح النووي؛ مظهر الحفاظ على "حريات" البلدان الأخرى و"إنقاذها" من براثن العدو، ومظهر الحفاظ على "كرامة الإنسانية"، إلى ما هنالك من تعابير و مصطلحات مخدّرة وجوفاء لانهم هؤلاء المدعين هم أوّل ما يصنعون و يطورون الأسلحة المختلفة بما فيها النووية, و هكذا، يُجيَّر إستعمال التقدم التقنيّ و حتى الذري في نطاق العنف و ليس في نطاق السلام والخير والرفاهية للجميع!
ثمة سيّئة كبرى تنجم عن هذا التقدم التقني, و المابعد المعلوماتي .. فقد إحتكرت التقنيّةَ العلميّة زمرةٌ من الناس، أو من الدّول، و سخَّرتها سلاحاً لنشر سيطرتها على غيرها, فعلى مستوى الدّولة، قامت الدُّول القويّة باستغلال الدّول الصغيرة الضعيفة, وعلى المستوى الفردي الجماعيّ، تأسست شركات احتكاريّة كبرى لتسيطر على المنابع الرئيسيّة للمواد الخام في العالم، دون أنْ تأبه لمصير الملايين من الناس، و دون أن تأخذ مصير البشريّة جمعاء بعين الاعتبار, و لقد سببت هذه الاحتكارات إندلاع الحروب المحلية و إشعال الثورات أو إخمادها و محاصرتها، حتى تستمر مصالحها في البقاء, و كما نعلم، تمثل هذه الاحتكارات قمّة الصراع، و بالتالي قمّة العنف لأنها وسيلة مدمرة للازدهار الإنسانيّ وآلسّلم العالميّ.

4- **ألنّزعة الحربيّة:** تُعدُّ الحروب تجسيداً للعنف و الشر, لذا كانت الحروب النهاية القصوى لغريزة ألحُقد، و الأنانية، والاحتكار والشر، والانحطاط الخلقي، وانعدام الوعي, ومن جانبي، أُشبِّه الحرب بإنسان غاضب، ازداد غضبه وتزايد إلى أن بلغ درجة اللارجوع، و لم يعد بإمكانه السيطرة على ذاته، فانفجر و دمَّر, هكذا تكون الحرب دليلاً على انعدام الوعي و على تمرّد المادة المنفعلة التي تبلغ درجة الانفجار الذي يعقبه التدمير و الموت المفجع, و تعبِّر الحرب عن فوضى العقل، و ضياع مملكته، و خضوعها لمملكة الأهواء و الانفعالات التي هي انعكاسات مباشرة لتراكم الأحقاد, و بالإضافة إلى ذلك، تُعَدُّ الحرب تمرّداً على الحقيقة، و على النظام و على الخير، وعلى المحبة و على الإنسان و على الوعي و على كلّ جمال و حق...
إنها المأساة الأليمة، إنها الشدة المنفعلة التي تبديها المقاومة السالبة للمادة، والرغبة في بقائها غافلة، وجاهلة ومتمردة على الغاية العظمى التي من أجلها وُجِد الإنسان. و لو علم الإنسان وِزْر وشرّ الخطيئة التي يقترفها عندما يقتل، لتوقف عن القتل... الذي ينجم عن العنف وانعدام الخير.

5- **ألنّظام ألحاكم:** تُعَدُّ هذه الأسباب بكلِّيتها مكمّلِة لسبب أصيل هو مبدأ الحاكم. وكما نعتقد أن وجود الحكام الذين لا يستحقون أن يكونوا حكاماً سببٌ أساسي وجوهري في عالم العنف. ولما كانت أغلبية حكام العالم مجردين من الفضيلة والحكمة والخدمة، فإن العنف يعمُّ، ويسود وتستمر الحروب. إن حكاماً من هذا النوع، وقد اعتمدوا مبدأ الصراع وتمثيل المصالح، لا يحققون المبدأ المنوط بالحاكم، إنهم يتصرفون كآلات، ولا يعون الدور الذي يرتبط بهم، ويجهلون الخطيئة التي يرتكبونها, إنهم صرعى عُقَد العظمة والأنانية و الغرور, و الحق هو أن الحكام الذين يأتون إلى سدَّة الحكم بوسائل مختلفة بضمنها (الديمقراطية المستهدفة)، وهم لا يستحقون إسم الحاكم و الاحترام الذي يُقدَّم لهم؛ كُثُرٌ وعديدون, و ليس تاريخ الأنانية غير تاريخ الحكام، تاريخ حروبهم التي تسببت عن أطماعهم وحبهم للغزوات والانتصارات الوهمية, فما هي الأسباب التي حرّضت حاكماً من الحكام على

الحرب؟ أكانت الأسباب إنسانية؟ وهل هنالك إنسانية في الحرب؟ أكانت حضارية وثقافية وعلمية؟ وهل هنالك حكمة في الحرب؟ فلماذا حارب الحكام؟ ولماذا حشدوا الجيوش وعملوا على تقوية أنفسهم بالعنف؟ أمن أجل مصلحة بلادهم ورقيّها وتساميها؟ ولو أننا عدنا إلى التاريخ، لوجدنا أن الحكام المحاربين، الذين جابوا الآفاق، وسيطروا على الأصقاع، وأخضعوا البلدان الأخرى وقوّضوا الممالك، تركوا وراءهم أمة ضعيفة وخزينة فارغة، وأرهقوا شعبهم بالضرائب. إن حكاماً من هذا النوع يستنزفون دم الشعب والأمة، ويقودونه إلى الهلاك والخراب. وبأي اسم، وبأي حق يثيرون المجتمعات على المجتمعات؟ ماذا استفاد يوليوس قيصر من ذهابه إلى بلدان أخرى؟ وماذا ترك نابليون وراءه بعد حروبه؟ وماذا يترك الآن قادة العالم بعد حروبهم المستمرة، الساخنة والباردة، وبعد أطماعهم الفردية وجنون عظمتهم، إلا شعوباً أنهكتها المتاعب النفسية والجسدية، شعوباً فقدت ثقتها بالمستقبل و بالحياة و بحكامها, وهل كانوا أفضل من الغزاة الذين نتهمهم بالبربرية؟
أو أفضل من أصحاب (العقائد) التي فرضوها بالعنف على غيرهم؟
أ ليس آلحكام، الذين لا يستحقون مراكزهم، دعامة كبرى للعنف والصراع لتنفيذ أهداف المستكبرين في الأرض!؟

6- مفهوم التربية: قلت في بحوث سابقة بأن أعمدة الخير لأستقامة أيّ مجتمع تتحدّد في ثلاث عوامل هي:
المسجد؛ الأعلام ؛ التربية, لكننا للأسف نجد في قيم التربية و مفاهيمها المستعملة، على كل المستويات الدوليّة تقريباً، وسيلة، غير مباشرة لنزعة العنف و زرع الشّر, و قد نعجب ونحن نسأل: كيف تكون التربية وسيلة غير مباشرة للعنف و الشّر!؟
لما كانت التربية الحقيقية تهدف إلى تحقيق غاية نبيلة و سامية في الحياة .. هي تعبير صميمي و جوهري عن غاية الإنسان نفسه؛ فإننا نحكم على التربية السائدة، في بلدان عديدة بأنها لا تحقق هذا الواجب السامي, و بالفعل لا تخرج غاية التربية عن كونها وسيلة لتعليم الإنسان المعنى من وجوده والغاية منه, ولا يتحقق معنى وجود الإنسان إلا بالمعرفة وبالفضيلة, و تتجلى المعرفة في أن يعلم الإنسان بأنه موجود في هذا العالم ليعرفه و يعرف هدفه النهائي، ليسبر أغوار و أعماق أسراره, لذا يقتضي وجودُه أن يحيا وجوده باحثاً عن الحقيقة, و تتجلّى الفضيلة في أن يعلم الإنسان أيضاً بأنّ وجوده مرتبط بغاية أخلاقية، سامية غاية السمو، تتلخص في أن يسعى لتحقيق السلام والمحبة والسكينة، التي تظهر في صورتها الناصعة في الخدمة والتضحية والسعي إلى سعادة البشرية جمعاء. ولما كان وجود الإنسان وجوداً مع الآخرين، فإن الإنسان المعزول غير موجود, فوجوده مع الآخرين يشير إلى التضامن و المشاركة و التكامل و التعاطف، و لا يشير إلى الانقسام و التناحر.
هكذا، تكون التربية جهداً مبذولاً لتحقيق إنسانية الإنسان, لا لأعداده كبرغي في جسد الماكنة الغربية لمصلحة الطبقة الحاكمة في مصير العالم .. هكذا هي التربية الحديثة الآن في عالم تكنولوجي و إيديولوجي ماديّ منقسم على ذاته و مفعم بالعنف و التسلط، تهدف إلى إشباع نهم الإنسان في مجتمعه العلميّ التقني وتشير إلى (تربية) شهواته ورغباته في الحقلين العلمي أو المعرفي و الأخلاقي، أيّ الروحي, ففي الحقل العلمي يسعى الإنسان إلى اكتساب المعرفة من أجل التزوُّد بمعرفة تقنية دون ربط هذه المعرفة بغاية إنسانية رفيعة. ولعل التطرف في القومية، المغلّف بحب الوطن وتقويته، يمثل هدفاً للعلم في صورته الحديثة. ولعل الإيديولوجيات القائمة تدفع الإنسان إلى تحصيل العلم وتحويله إلى تقنية عدوانية. ويندر أن نجد الإنسان الذي يتعلم من أجل المعرفة ذاتها، ذلك لأن واجبه الإنساني السامي يعني ضرورة المعرفة وأهميتها، وارتباطها بمعنى وجوده أشد ارتباط. لذا، نرى أن كل علم يرتبط بإيديولوجيا معينة، أو بعقيدة لا تتصل بالمغزى الذي نعزوه إلى وجود الإنسان، أو بانفعال مذهبي يسعى إلى فرض سيطرته على العالم، يؤدي إلى العنف، أو يحمل بذوره فيه. لذا، نرى أن تقنية العلم نزعة عدوانية تؤدي إلى الحروب والسيطرة، والاعتقاد بأن العالم لا يتقدم إلا من خلال الصراع والنزاع. ولئن كان هذا الزعم خاطئاً، لكنه، لسوء الحظ، واقعي. وليس هذا الزعم إلا دليلاً على أن العلم، في مفهومه التقني العدواني، يتضمن نزعة العنف, إنّ الإنسان لا يتعلم ليقتل، بل ليحقق الحياة، و ليتفهم الوعي الكامن في الوجود.
وفي الحقل الأخلاقي، أيّ ألرّوحي، تتجرّد التربيّة الحديثة من كلّ مضمون إنسانيّ تقريباً, فلا يتعلم الإنسان ليعرف و يخدم غيره بعلمه، بل لتدرَّ عليه مهنتُه المال الكثير و الجاه، أو تكون وسيلة نافذة إلى سيطرة أكبر، أو إلى مركز اجتماعي أهمّ، أو إلى تصعيد كاذب للفردية, ولهذا نرى تقويماً للعلم و تصنيفاً له، يفضّل الإنسان منه ما يتصل بمصلحته الذاتيّة، و ما يُعبّر عن مطالبه الاجتماعية و الاقتصادية، و ما يرتبط بأنانيته التي تُجسِّد الرغبات, و من جهة أخرى، نجد أن التربية لا تفي بمرادها وغايتها في حقل الأخلاق المجردة التي تشير إلى الواقع كما يجب أن يكون, فلا يتعلم الإنسان التطبيق الفعلي للمبادئ الأخلاقية التي تعلمها و حفظها عن ظهر قلب في الحقل الاجتماعيّ والإنساني, وعلى سبيل المثال، يتعلم الإنسان أن يحب غيره، أو أن يحب عدوه نظرياً، لكنه يتعلم أن يكره القريب أو الغير؛ أو أن يتكبر عليه؛ أو أن ينبذ البعض و يلجأ إلى البعض الآخر؛ أو أن يفضل إنساناً على إنسان للحصول على إمتيازات خاصة ومعينة، عملياً, و هكذا تعلّمه الشريعة (الحُب النفعيّ) الماديّ لمن يشاركه مذهبه أو طائفته أو معتقده، و(الكره الفعلي) لمن لا يشاركه هذا الموقف, و الحقّ هو أنّ الحُبّ و الكره، في هذا السياق، مفهوم واحد يشتمل على العنف, إنه يتعلم مبادئ الأخلاق و الروح نظرياً، و يتنكر لها عملياً, وعندئذ يتنافى التطبيق مع كل ما علّمته وصايا شريعته, لذا نرى أن كل تطبيق لـ(لأخلاق المغلقة) و(الروحانية المغلقة)، ضمن شريعة، يتنافى مع المثالية والسمو، والأخلاق المنفتحة، فيؤدي إلى العنف, فالتكبر على الآخرين بسبب إنتماء المرء إلى نسبٍ أو فئة أو طبقة معينة أو خاصة، و

بسبب امتيازات معينة مضافة، يقضي على المحبة و السلام و العدل و يستدعي العنف بشكل طبيعيّ, و كراهية القريب، أو التعلم من الأهل عملية الكره التطبيقية، و اقتباس الغيبة والنميمة والرّياء بأنواعها و ألوانها، تعلم الطفل أن يستجيب لشهواته، و انفعالاته الحيويّة والتلقائيّة، و إلى نبذ السمو الخلقي الذي حفظه أ أو سمع به, و هكذا تتجرّد التربية من حقيقتها لتُعبِّر عن العنف المبطن في الحالة الاجتماعيّة التي (تستغل) الأخلاق، بمفهومها الضيق و المغلق لمصلحتها؛ بمعنى أنّها تدعو إلى الأخلاق ولا تدعو إلى تحقيقها, و في هذا المنظور، نرى كيف تكون التربية وسيلة غير مباشرة للعنف, و بالفعل، يندر أنْ نجد المجتمع أو الإنسان الذي يُعلِّم الأفراد أن يعملوا على نحو صحيح و غير موارب فيه، في حقل التطبيق العملي للتضحية و الخدمة، و أن يحقّقوا المهنة التي يختارونها لصالح الإنسانيّة و النفع العام و ليس لمصلحة الأنانية أو الحزب أو العشيرة.

إن دراسة التربية من الناحية الفردية تنقلنا إلى دراستها من الناحية الاجتماعية العامة. فالدول، بانقساماتها واختلافاتها ونزاعاتها، تشير إلى انقسامات، واختلافات، ونزاعات في حقل التربية. فما يعلِّمه مجتمع، ويجعل منه مبدأً تربوياً مثالياً، يرفضه مجتمع آخر، ويعتبره مبدأً تربوياً سيئاً. على هذا الأساس، نرى أن وجهات النظر التربوية المختلفة التي تحمل التناقضات في ذاتها بسبب الإيديولوجيات والعقائد التي تقف من ورائها، تؤدي إلى العنف.

أ لَيس ما يتعلَّمه الإنسان في إيديولوجيا أو عقيدة معينة خيراً ذاتياً يكافَح من أجله الشر الذي يتولد عن طريقة تربوية في مجتمع آخر – عنفاً ناتجاً عن تصلب العقيدة أو الإيديولوجيا وعن ضيق أفقها؟ ألا تقف المجتمعات من غيرها موقفاً عدوانياً ناتجاً عن تعصبها لوجهة نظر، قد تكون خاطئة، تؤدي إلى العنف والصراع؟

إن التربية، على المستوى العالمي تقريباً، تحمل بذور العنف والشر و الأنانية والصراع, وباسم الإيديولوجيات والعقائد والتربية المرافقة لها، يقف العالم متأهباً لتطبيق الشّر و العنف, و إني أتساءل: كيف تنتهي الحروب أو تقل آثارها، و الإنسان مضغوط و مشحون بعدوانية العنف؟

ففي صغره، تعلَّم كره الفئات و المجتمعات الأخرى، أو نبذها، أو اعتبارها عدّواً يجب القضاء عليه، أو محاربته بأسلوب أو بآخر، أو إذلاله والتفوق عليه, و في صغره تعلم قواعد المكيافيلّية التي تُحوّل المجتمع الإنساني إلى مجتمع الدهاء و السياسة البارعة القاتلة، و تعلَّم كيف يتصرف لتحقيق مآربه الفردية الخاصة بكل وسيلة ممكنة ولم يتعلم هذا الإنسان في صغره مبدأ رفض التعلق الذي يدلُّه إلى طريق الصواب و الاستقامة و الوعي!

إن رفض التعلق بالمفاهيم المادية و بالقيم الدّنيوية الكاذبة ألزّائلة، كالملكية و الأنانية و المال و الجاه ....إلخ؛ يُشير إلى تسامي الإنسان و إلى تجاوز رغباته و شهواته، و إلى إخضاع المادة لعقلانية فوقية, و الحق هو أن رفض الرغبة لتحقيق المكبوحات والمكبوتات، و تجاوز انفعال اللذة الذي يتوافق مع المنفعة الذاتية؛ فعلٌ عميق و جوهري يرفع الإنسان إلى مراتب كونيّة عليا في سلَّم وجوده الرّوحيّ والماديّ معاً و لم يتعلّم الإنسان، في صغره، فلسفة المحبة، و التسامح و الواجب وعدم الاستغلال و العقلانية المنفتحة، ولم يُلقَّن مبادئ احترام الغير، كل الغير، في وطنه وخارج وطنه، في عقيدته وغير عقيدته، وتقدير إنسانيته ومساواته معه في الجوهر.
تشير التربية التي تتأصل في أسس عقلية منفتحة وقلب منفتح إلى حقيقة الإنسان، في كل زمان ومكان، وإلى مساواته مع غيره في القيمة، وإلى محبته له محبة الصورة المتكافئة مع الصورة الثانية المنعكسة فيها. والتربية التي لا تزيل شهوات الإنسان في حقل الملكية، والمال، والرغبة، والتعلق، واللذة، والمعدة، والجنس، والسلطة، إلخ، والتربية التي تخضع لإيديولوجيا أو عقيدة متعصبة، قومية كانت أم مذهبية أم فردية، والتربية التي لا تطبق الأخلاق النظرية – كالصدق نظرياً والكذب عملياً، كالعفة نظرياً والشهوة عملياً، وكالمحبة نظرياً والكراهية عملياً، وكالسلام نظرياً والعدوانية عملياً – هي تربية تحمل العنف في بذورها وفي إرشاداتها، وتنتهي إلى الدمار والتعاسة.

7- **التربية النظرية والتربيّة العمليّة:** تُعَدُّ التربية التي تحدثت عنها، في حقليها الفردي والاجتماعي، تربية نظرية. أما التربية العملية فهي تلك التي يولد في أحضانها الإنسان أو تلك التي يعتنق قواعد سلوكها أو عقيدتَها على نحو مكوَّن ومجرد من التفكير. فالإنسان يعتنق مبدأ أو عقيدة أو يتعلق به أو يرغب في فرضه على الآخرين، ويرفض المبادئ الأخرى و يرغب بالقضاء عليها، أو ينشأ في بيئة، أو في أسرة معينة تمتاز بصفات معينة مكتسبة, و على هذا الأساس، يُؤدي إعتناق الإنسان مبدأ، أو تعلقه بمبدأ أسرته، أو بيئته أو وضعه الاجتماعي و الاقتصادي إلى خلق مفهوم الطبقة, فالأحزاب العقائدية، والطوائف، والفئات الاجتماعية التي تنتمي إلى نوعيّة عمل خاصة، و الأوضاع الاقتصاديّة التي يُولد في ظلها الإنسان، تُعبِّر عن الفئوية المحتجزة داخل قوقعة؛ هي تعبير عن التعصب و ضيق الأفق الفكري أللَّذين يترعرع العنف في وسطهما.

لا تختلف هذه الطبقات أو الفئات بعضها عن بعض إلا بالدرجة؛ ولعل إحداها تكون أكثر تعصباً من غيرها لمفهوم الطبقة أو الفئة أو الطائفة, وعندما ينشأ الإنسان، في وضع فطري أصيل، أو في وضع اتخذه سبيلاً واعتنق قواعد سلوكه، فإن الصراع يبدأ بين الناس، ويستفحل الأمر. ولا يكون الأمر كذلك في حال وجود تربية إنسانية راقية، وفي ظل إصلاح اجتماعي وإنساني. لكن وجود الطوائف المتعصبة – في تعصبها تشكل طبقة – ووجود الأحزاب العقائدية (ليس ثمة علاقة بين الأحزاب العقائدية والأحزاب الدستورية، لأن هذه الأخيرة تتسم بديموقراطية النزعة واجتماعية المنحى) والفئات الجديدة المتناحرة، يؤدي إلى سيادة نزعة العنف على مبدأ المحبة والتآخي, وينطبق ما نجده على هذا الصعيد على الصعيد القومي والداخلي، وعلى الصعيد الدولي، ذلك لأن الدول تتعصب لمبادئها، وتتميز الطبقة بصفة الإيديولوجيا. وعندئذ، تنشب الحروب التي تنتج عن إيديولوجيا تختبئ داخل رداء اقتصادي، أو اجتماعي، أو سياسي، أو تتستر برداء مذهبي طائفي، أو فكري، أو نفسي, ولا تختلف أسباب الحروب لأنها، على الرغم من تنوُّعاتها الظاهرية، تنطلق من جشع وشرّ و شهوة الإنسان ذاته, فإن كانت أسبابها اقتصادية، فإنما يعني أن شهوة الطعام و الملكية، وهي شهوة بشرية مدمرة، مازالت تسيطر. وإن كانت نفسية، فإنما يعني أن الرغبة بالتحكُّم والحقد والتعلق، وهي شهوة بشرية جامحة، مازالت تهيمن, و إن كانت اجتماعية، فإنما يعني أن شهوة السيطرة وحب الاعتداء والتوسع والاستغلال، وهي شهوة بشرية طامعة، مازالت تسيطر, و إن كانت مذهبية طائفية، فإنما يعني أن الإنسان مازال متخلفاً، وجاهلاً بحقيقة كيانه والوعي الكوني. وبالفعل، لا نستطيع أن نميز بين هذه الأسباب أو نضع حدوداً بينها، لأنها أبعاد لواقع واحد هو الإنسان، خالقها ومبدعها, والحروب، بأنواع مظاهرها، لا تخرج عن نطاق الشهوات التي، كما رأينا، هي العنف و الشر.

يشير ما تقدّم إلى أنّ التشكل الطبقي يسيء للحقيقة الإنسانية وذلك لأن الشخصية تضعف والفردية تشتد. لقد انتمى الإنسان إلى الطبقة – و هنا نتكلم عن الطبقات التجمُّعيّة الظاهرة بولادته، أو باعتناق قواعد سلوكها, و متى انتمى الإنسان اضطر للدفاع عن تركيب طبقته أو طائفته أو فئته أو عن قيمه التربويّة الموروثة على نحو لا واعٍ, ولما كانت ذات الإنسان، لا روحه، هي التي تتخذ من الطبقة أو الطائفة شعاراً لها، فإنها توطِّد فيها نزعة العنف التي تتجسد في انفعال الكره والحقد, و عندئذٍ، تندمج ذات الفرد بذات الجماعة الفئوية، فتثبت الفردية و تتضاءل الشخصية و تصبح الجماعة – مذهباً كانت أم طائفة أم فئة أم حزب – فرداً تجمعياً يتميز بفردانيَّة ذاته, إنّ فردية الجّماعة، أيّ الطبقة أو الفئة، تتمرَّد على فردية الطبقة أو الفئة الأخرى، الأمر الذي يعني فقدان الإنسان لحقيقته في الطبقة و الطائفة، و ضياع شخصيته وجوهر كيانه و يتحول نتيجة لذلك إلى آلة ذاتية العمل و الحركة و مبرمجة و كأنه برغي في ماكنة النظام، لا يفكر ولا ينظر إلى أبعد من إشباع مصلحته الطبقيّة أو الفئويّة التي عبّرت تعبيراً صريحاً عن وضعه الإقتصادي، أو التجمُّعي، أو النفسي، أو المذهبي، أو الطائفي، أو الفئوي, و يثور المجتمع على ذاته، وتنشأ الفروق المادية و المعنوية الحادة بين الناس و يسود الشر و العنف القاتل, و هكذا، تكون الطبقة أو الفئة أو الحزب نزعة سلبية مدمرة تشير إلى آلشّر و العنف.

و بالمثل، يحمل مفهوم الطبقة المستحدثة - وهي الطبقة الفئوية ذات النزعة الفردية، أو تلك التي نشأت نتيجة لأوضاع تجمُّعية معينة أو جديدة – بذور العنف، إنما على نحو أخفّ حدَّة وشدة, ولما كانت الثورات الاجتماعية الكبرى قد قضت على الطبقات الرئيسية التقليدية بصورة عامة، وفتحت مجال التعليم والفرص المتكافئة، فإن طبقات جديدة نمت في صلب المجتمع الواحد اللاطبقي. لقد نشأت طبقات مستحدثة من نوع آخر، تتصف بصفات معينة، لعلها تعادل الطبقات الماضية سوءاً, لكنها مع ذلك، تُعَدُّ طبقات مميَّزة, وإن ما يؤسف له هو أن العلم، بمفهومه المهني، بالإضافة إلى العقائد التجمُّعية، أدَّى إلى خلق هذه الطبقات. تُعَدُّ بعض المهن طبقات فئوية اجتماعية تتصف بصفات مادية لا تتصف بها غيرها من الطبقات أو الفئات. ويهدف الناس إلى تحقيقها، إذ يفضلونها على غيرها. وأما الفرد في الفئة الجديدة فإنه يجعل من نفسه ذاتاً فردية أنانية تتميز عن غيرها لأنها تحصل على مكاسب مادية أو تجمُّعية أكثر. وهكذا، نرى أن مفهوم الطبقة يعود إلى الظهور من جديد بظهور العلم، و التشجيع عليه وتحويله إلى مهنة، ذلك لأن حصائل العلم لم تدرَّس على نحو وافٍ، ولم تعيَّن لتكون غاية إنسانية. أما العقائد الاجتماعية، فقد أدت إلى بروز فئة جديدة اتصفت، أو تتصف، بامتيازات لا يعرفها، أولا يتميز بها مَن كان غير منتمٍ إليها, و تتصف ذاتية المنتمي العقائدية، خاصة في حالة تسلُّم الحكم، أو حتى في حالة وصول هذه الفئة إلى فرض عقيدتها، إلى شعور طبقي. وعندئذ، تسود نزعة العنف، ذلك لأن الحواجز المصطنعة بين الناس تعود إلى الظهور من جديد.

إن مفهوم الطبقة، اجتماعية كانت؛ أم عقائدية؛ أم مهنية؛ أم اقتصادية؛ أم طائفية؛ أم حزبيّة, تثير مكامن الإنسان و مخاوفه, فما هي مخاوف الإنسان، وكيف تنشأ؟

8- الخوف: هو ردُّ فعل، في الكائن الحي، يؤدي إلى الدفاع عن النفس, و ليس الدفاع عن النفس إلا هجوماً, ويؤدي هذا الدفاع، بدوره إلى اتخاذ موقف عدائي بين فرد و فرد، وبين فئة وفئة، وبين مجتمع ومجتمع, وهكذا يكون الخوف وسيلة لدفع العنف و تطبيقه في آن واحد؛ و بالتالي، لا يكون دفع العنف إلّا بالعنف و الشّر إلّا بآلشّر.

إن انفعال الخوف يخلق إنفعال الدّفاع الذي يخلق، بدوره، انفعال التسلُّح, و تشير ظاهرة استقلال الدول الحديثة إلى هذا الواقع, فالدول الحديثة، تلك الصغيرة أو الضعيفة من الوجهة المادية، تسعى إلى التسلُّح قبل أي شيء آخر. وفي سلوكها هذا، تتخذ

مظهرين: المظهر الأول هو نزعة العداء المستترة أو الظاهرة، و المظهر الثاني هو واقع التخلف، أو بالحري، واقع التمزق الداخلي، و إضاعة فرصة النمو و الازدهار في نطاق الاقتصاد الداخلي أو في نطاق التعليم, ولو أننا شئنا أن نبحث في أسباب الخوف التي تدعم التسلُّح وتصبح خلفية له، لعلمنا أن الدول تتخذ من التسلُّح وسيلة لتسويغ سلوكها. إنها تخاف من أعداء وهميين، ذلك أن كل دولة تتصرف على هذا النحو, ولو أننا طرحنا على دولة معينة السؤال التالي:
لمَ التسلح؟ لأجابت: للدفاع, و لو أننا طرحنا عليها سؤالاً آخر بالأسلوب التالي: للدفاع ضدّ مَن؟ لأجابت: ألدفاع ضدّ أيّ هجوم قد يقع.
يحمل انفعال الخوف، في ثناياه، نزعة العنف التي تعبِّر عن ذاتها بالتسلُّح بالقوة المادية الغاشمة, أ لا نسمع ببربرية القوي مادياً؟ أ ليس هو العنف الشنيع الذي يزداد على حساب الآخر ليستغله؟ أ ليست الدولة الكبرى هي التي تعلن عظمتها من خلال جيوشها؟ فلو كان الإنسان يدرك و يعي، لَرَفَضَ أن يكون فرداً في قطيع ينساق إلى الموت، أو إلى الحرب، أو إلى الدفاع عن أفكار وهمية، هي نزعات، لم تكن لتوجد, و لم يخلقها أفراد بلغ بهم التعصُّب إلى درجة وضع صياغة مبادئ الدفاع والهجوم، و القومية و العرقية، و العقائدية المتطرفة، و الطائفية الجاهلة، في صيغ و قواعد و مفاهيم لعبت بعقول الناس، فبرمجتها وفق منهج؛ هي قواعد حوَّلت الناس إلى أفراد لا يعرفون ما يفعلون.

9- الإحساس بالقوة المادية الغاشمة: لا تستطيع الدّول أن تدَّعي بأنّها تعمل من أجل السلام وهي مسلحة بالقوة المادية الغاشمة, فالإنسانية ذاتها، وهي تعبير عن إنسانية الإنسان، تتبرأ من هذه القوة المادية الغاشمة لأن سلامها لا يتحقق بالسيف والرصاص، بأسلحة العنف والشر, الإنسانية تحتاج العلم، الملقَّح بالأخلاق المنفتحة، والعقل المنفتح والقلب المنفتح. إنها تحتاج الإنسان الذي يعي مغزى وجوده، ويجد في كل أنواع الدمار عنفاً شديداً، وخطراً على حقيقة وجوده، وشراً يهدد قيمة وجوده في هذا العالم.
هكذا يبدو لنا أنّ الإنسان لا يتعلم هذه المبادئ في الدول التي وطَّدت مفاهيمها على نزعة الصراع والعنف, و لهذا السبب ذاته يجدر بنا أن نخفف، أو نلطف من شعور الأمم القوية مادياً, و لا أبالغ إن أعلنتُ مبدأ تقسيم الدول الكبرى إلى دويلات, فلو تمَّ تقسيم الدول الكبرى إلى دويلات، لخفَّت حدَّة شعورها بعظمتها الفارغة، و لقلَّصت من إنشاء الأساطيل البحرية و الجوية، و آلات الدمار و الرعب، و لتوقَّفت الحروب والنزاعات أو تضاءلت، ذلك لأن شواطئها وحدودها تضيق، وشعورها الكاذب بالقوة يضمحل أو يتضاءل, أَ لَيس عامل التوسع .. الدفاع أو الهجوم؛ هو الذي يدفع الأمم، صغيرها و كبيرها إلى الدفاع .. فالتسلُّح؟ والحق هو أنّ تناقص هذا العامل أوإلغاءه، يعني تناقص العنف أو إلغاءه.

10- الآراء و النظريّات ألسّلبيّة: قلنا : [لو سكت الجاهل ما إختلف العالم] وهناك الكثير من المقولات المرادفة و هي صحيحة. حيث تُعدُّ ظاهرة العُنف و الخلافات التي تسود المجتمعات الحاضرة نتاجاً مباشراً و غير مباشر لتلك الآراء و النظريات التي غزت العالم و إنتشرت فيه فتولّدت عنها الأحزاب المختلفة التي أُغرِقت العالم في بحر من الآراء و النظريات المضطربة و الفاسدة برعاية المنظمة الأقتصادية العالمية, و تختلف هذه النظريات التي تتبناها تلك الأحزاب عادّة ما في أنواعها و صياغاتها, فقد نشأ بعضها من أوضاع سياسية أو اقتصادية اتُّخذت كزاوية يُطِل المراقِب منها إلى الوجود، و صارت مقولة تاريخية و نشأ بعضها من نزعة عبث الإنسان و الوجود و ضياع الإنسان ولا جدوى حياته, و نشأ بعضها من آراء فلسفية متطرفة أشد التطرف, و نشأ بعضها الآخر من آراء علمية ومادية جهلت أو تجاهلت حقيقة الوجود الإنساني, ونشأ بعضها من آراء رمت الإنسان في أحضان السلوكية واللاوعي بمفهومه السلبي, ونشأ بعضها الآخر من العقائد المتصلبة والمتعصبة لشريعتها التي تزعم خير أبنائها وشر أبناء الآخرين, و تتفق وجهات النظر هذه في مجالات عديدة لأنّها تُجمِع على أمر واحد هو التنكُّر للصفة الأساسيّة و الجوهرية في الإنسان، وهي العقل الفوقي الذي يسعى إلى الحقيقة في كونيَّتها بمعية العقل الباطن.
إن سوء الفهم و قصور الإنسان ذاته في فهم حقيقة وجوده أدّى إلى ابتداع نظريات من هذا النوع, ولا يقل شأناً عن هذا القصور وسوء الفهم، انفعال الإنسان و لا تعقُّله و انغماسه في عالم اللاوعي المكبوت أو المكبوح، و اندفاعه في تلقائيّة الرغبات الماديّة, و هنالك أسباب أخرى دفعت بعجلة الآراء السلبيّة شوطاً بعيداً، نعدّد منها:
- محاربة النظريّات العلميّة بطريقة عشوائية مغلوطة لم تقُمْ على معرفة عقليّة أو قواعد فلسفيّة – هذه المحاربة التي دفعت بأصحاب المنهج العلمي إلى ردّ فعل عنيف بدأ في اتخاذ موقف معاكس من مناصري النظريات الروحية المغلوطة – وهي الفئات التي تسلّمت أنواع الحكم، و كان يناسبها و يلائمها أن تُعتمَد هذه النظريات للاستفادة من كلّ ظرف قد يُطيل أمد حكمها (و قد اعتُبِرت هذه الفئات غوغائية، و مسؤولة عن تأخر المجتمعات البشريّة وعن ارتمائها في أحضان المادية السلبية).
- الجماعات التي زرعت بذور الفساد في العالم وسعت إلى تقويض مبادئ الكيان والروح، وأقامت مكانها صرحاً جديداً من العقائد مُشيّداً على اللاعقلانية (و يقف علماء نفس الجنس، وعلى رأسهم فرويد و بافلوف، في طليعة المُسيئين للقيم الإنسانيّة السامية).
- أنواع التربية التي اعتمدت دراسة سلوك الإنسان الظاهري، و قارنته بالسلوك الانفعالي (لقد أساءت هذه المجموعة من العلماء إساءة كبرى لأنها نزلت بالإنسان إلى تلقائية مادته، وأغفلت دور العقل الفوقي والوعي).

ـ النظريات الاقتصادية التي اختزلت سلوك الإنسان إلى وضعه المعيشي فقط، وقيَّدته بسلاسل المعدة، وبمظاهر المجتمع وتقاليده الزائفة.
ـ النظرة التاريخية التي جعلت التاريخ حقلاً للصراع وليس للتكامل، هذه النظرة التي ينقضها العلم الحديث الذي يرى أن المادة التي تتطور إلى غاية هي مادة عاقلة، واعية تتميز بالوعي.
ـ السلطات المذهبية والطائفية الدينية التقليدية التي انحرفت عن رسالتها، و أقبلت على مادّية العالم أكثر من غيرها، مشوّهة مبادئ الروح
ـ الفئات التي أضاعت السبيل، وكان واجبها يقضي بأن تكون المثال الذي يُحتذى به.
أدَّت النظريات السّلبيّة التي أشرنا لها أجمالاً إلى إضعاف إنسانيّة الإنسان و مسخه و اختزال عقلانيته الظاهريّة و الباطنية التي تتجاوز حدود وأُطُر الإدراك الحسّي, فإن كان الإنسان مادة تنتهي بموت فجائي، فإنما يعني أن حياته تخلو من المعنى والقيمة, وإن كان الواقع يشير إلى هذه القضية، فإنما لنقول بأن ما من شيء يمنع هذا الإنسان من القيام بكل ما يثيره أو يجعله منفعلاً, و عندئذ، يعجز عن مقاومة الرغبات و الشهوات التي تشدّه إليها برونق مادتها وتلقائيّتها, و إن كانت الحياة تخلو من غاية؛ فأيّ شيء يُقيِّد الإنسان أو يمنعه؟ وإن كانت حياته تنتهي دون أن تمتد في اللامحدود، أو في الوعي الكونيّ والحقيقة السامية؛ فماذا يعني وجوده؟
و لماذا أساساً وجد في هذا الوجود؟
إن خلو الحياة من غاية علوية، هي تحقيق الوعي الكونيّ و درك العلل الأربعة للوجود؛ قد دفع الإنسان إلى عالم العنف و الفساد, فهو يحارب و يقتل، ذلك لأن الحقيقة، في زعمه، غير موجودة, و هو"يتحرر" من كل مسؤولية لأنه يندفع وراء ذاتيّته و العبث و الحقيقة سواء, و هكذا يكون العنف موجوداً لأنّ الآراء السلبيّة تُعلِّم الإنسان أن حياته تخلو من قاعدة فعل، هي إنسانية عليا، أو من قاعدة ميتافيزيائية توحِّد حياته الزمنية الحاضرة وحياته الأبديّة اللازمانية. وتحرمه الآراء السلبية من إدراك حقيقة الوجود ككل. وإذ يدرك الإنسان حقيقة اتصاله مع الكون قاطبة، يعلن: لا معنى للماوراء بمعزل عن هذا العالم؛ الكون كلٌّ متحد، تتكامل فيه الأزمنة والأمكنة؛ وإن ما نفعله هنا، أو نكونه هنا، نفعله ونكونه في كل مكان كوني. لذا، يكون الماوراء حضوراً تاماً ووجوداً بكل معناه، هو الكل في الكل, يؤسفنا أن نقول: إن الآراء السلبية فصلت بين زمانية الوجود الأرضي و أبديَّته، تماماً كما فصلت الآراءُ المذهبيّة والطائفيّة الضيقة الحقيقةَ الأزليّة الساميّة والوعي الكونيّ والاتّصالية عن الإنسان، فجرَّدته من نعمة الوجود المتكامل في ذاته في حضور كامل.
لما كانت الآراء السلبية تعلِّم الإنسان بأنّ حياته تخلو من القيمة و المعنى – المفهومين اللذين يعلمانه بأنه غاية بذاته؛ غاية تسمو على الغايات الأخرى – فإنه يندفع نتيجة لهذا التعليم الخطير وراء الأهداف الدّنيا: كالملكية، و المال و الشهوة، و الوضع الاقتصادي و الاجتماعي، و التعبير المباشر عن رغبته الحسية ... إلخ.
و لما كانت هذه الأهداف الدّنيا تشكل معنى معيشته؛ فإنه يتمسك بها ويعتبرها الجوهر، و يتجاهل حياته المثالية الكامنة في العقل الفوقي المتَّجه إلى غائية الوجود, هكذا، أعدَّت الآراء السلبية و العلمية التقنية غير الناضجة، تقويماً جديداً للإنسان، و دفعته إلى إشباع أهدافه الدنيا الثانوية, فقد أصبح الإنسان يقوِّم نفسه، في كل نظام اجتماعي، حسب وضعه الاقتصادي. فهو يشعل الثورات، و يعلن أنواع تمرُّده، يقتل البشر الذين يتنازعون على سُبُل العيش, و تتسلم الفئات الضعيفة السلطة، و يهدف هذا الوضع السلبي إلى إجراء تحسين في وضع الإنسان المالي و الاقتصادي بمفهومه الضيق, و عندئذٍ، يسود العنف في إطار المعيشة الخالي من الغاية السامية، و ينشأ صراع بين دولة و دولة؛ بين فئة وفئة؛ بين فرد وفرد, وليس جوهر الموضوع أكثر من وجود (معدة) تشير إلى تحسين وضع اقتصادي تحسيناً لا يستدعي هذا الصراع العنيف.
مع ذلك لم تفعل و لم تُحقق الآراء الرّوحية التقليدية و المذهبية شيئاً في هذا المضمار و لم تقدِّم حلاً للمعضلة, خصوصا و قد لاحظنا بأن أهل الدين و مراجعه يلهثون وراء المال و جمع الأخماس و الأسداس و الزكاة .. فكانت سلبية كالآراء السلبية ذاتها. وتحت سلطتها بالأضافة لما أسلفنا اندلعت الحروب و انبثقت أنواع الصراع من أجل الأسباب ذاتها, لذلك لم تكن (روحية) على الرغم من ادعائها بأنها سلطات روحية أو أخلاقية, و قد سادت الأهداف الدّنيا في مملكتها تماماً كما سادت في مملكة الآراء الماديّة السلبية, و تعود المسألة بكلّيتها إلى أن الإنسان لم يتعلَّم كيف يحقق إنسانيّتة في كلتا المملكتين, وعلى غير ذلك، تعلَّم أن يسعى وراء رغباته و شهواته الاقتصاديّة و المادية و التجمُّعية, ولما كان تجسيد العنف قائماً في الرغبات و الشهوات, بأنواعها، فلأنه نتاج لهذه الآراء المادية السلبية و التقاليد المذهبية التي تُلبِس الباطل رداء الحق.
ولا يتوقف الخراب البشري عند هذا الحدّ؛ بل يتعداه لأن يؤثر على حياته الشخصية بشكل سلبيّ من حيث ينتبه أولا ينتبه, لأن حالة القلق المصاحبة لتلك الظروف الغير الطبيعية تسبب في أعراض بدنية و جسدية خطيرة تبدأ بألقرحة و فقدان الاكل و عدم الراحة و غيرها مما يتسبب في النهاية إلى إفراز أمراض عضوية عديدة, و بألتالي لا يعيش أكثر من 50 أو 60 أو 70 عاماً يقضيها في الطبابة و الآلام و العمليات الجراحية.
ليس القوي من يعتمد العنف المادي و يمارسه حتى لو كان رئيساً لدولة أو قائداً عسكرياً؛ بل القويّ هو من يعتمد القوة الفكرية و يتسلط على القلوب، و يُحقق التكامل الداخليّ و الوعي و يحقق الغايات النبيلة في وسط الصعوبات التي تعترضه بقسوة و شدة,

ليس القوي من يعتدي؛ بل هو من يسامح ويتحمل, ليس القوي من يتغلب على غيره بالعنف المادي الغاشم؛ بل هو من ينتصر على أهوائه ورغباته وشهواته, ليس القوي من يستعبد غيره و يفوز بنصيب أوفر من غنائم المال والسلع؛ بل هو من يُعلِّم غيره كيف يحقق إنسانيته و يشاركه في ميراثه و ذكائه الاجتماعي, ليس القوي من يخدع غيره؛ بل من يرشد غيره إلى الحقيقة, ليس القويّ من يُصارع من أجل ألبقاء؛ بل هو من يتكامل مع غيره من أجل البقاء, ليس القوي من يتكبّر على غيره؛ بل هو من يخدمه, ليس القوي من يهزأ بغيره ويلتذُّ بمأساة غيره أو يستضعفه؛ بل هو من يرفع مستوى غيره.
القوي بمادته ضعيف مهما كان، و القوي بوعيه الإنساني - الكوني قويّ؛ الشجاع بمادته عنيف يسيطر عليه الخوف والضعف، والشجاع بروحه قوي بلاعنفه. هكذا، تتحقق الحياة في مبدأ اللاعنف والمحبة، ذلك لأنهما قانون الروح والوعي, و يتمثل كل من السلام والعدالة والسكينة والعلم والمعرفة والأخلاق في قانون الوعي الكونيّ – و هي الرّوح التي تتجاوز غلافات مادتها عبر تطورها باتجاه تحقيق ذاتها, هكذا تكون المحبة الخالصة، الممثَّلة باللاعنف، شريعة الإنسانيّة، القوية بمثاليتها, أما العنف، فإنه يُعبّر عن ذاته بالضعف الذي يدافع عن ذاته في مقاومة تدعى ميكانيزم الدفاع و مقاومة الحقيقة.

لقد أدّت العوامل التي عرضناها أعلاه إلى تشكيل الأحزاب و ألأحلاف و المنظمات المختلفة, و أخطرها هي (المنظمة الأقتصادية العالمية) التي تدير و تدعم و توجه جميع الأحزاب الموجودة في العالم من خلال قياداتها القابعة في عواصم تلك المنظمة .. هذه الظاهرة بتشعباتها تقّض مضجع ألبشريّة المستضعفة في الوقت الحاضر, و إننا نشاهد ملامحها أو ظواهرها التي تدلّ على هذا الواقع في الغرب و الشرق على السواء, ففي كُلٍّ منهما الغرب والشرق والشمال والجنوب قامت دول كبرى تؤكد على وجوب قيام اتحادات إقليمية سُمِيت بأسماء مختلفة، وتدَّعي الدفاع عن ذاتها, و تتخذ هذه الاتحادات مظهراً اقتصادياً، أو مظهراً عقائدياً، أو مظهراً اقتصادياً عقائدياً، أو مظهراً سياسيّاً عقائدياً, وعندما تتوطد هذه الاتحادات، تعود الإمبراطوريات لتُبعَث إلى الوجود مرّة أخرى, و بهذا الصّدد، نبحث هذه الظاهرة من وجهتين:

تتمثل ألأولى في السؤال التالي:
لماذا تشكلت هذه الاتحادات ؟

تتمثل الثانية في السؤال التالي:
كيف أصبحت هذه الاتحادات خطراً على الوجود الإنسانيّ، ألفرديّ و ألجّماعيّ و الدّوليّ؟

تشكّلت هذه الاتحادات بفعل وجود نواة أساسيّة جمعت حولها أفلاكاً, و ليست هذه النواة غير دولة قوية مسيطرة إيديولوجياً أو عقائدياً، تستقطب حولها، و تجذب إليها، دولاً أخرى تدور في فلكها, لقد تشكلت هذه الاتحادات في سبيل الدفاع عن عقيدة معينة في ظاهرها، ومن أجل التسلُّط في واقعها. فهي تعمل على مدِّ سيطرتها إلى جميع أنحاء العالم, و لا تختلف هذه الاتحادات، أو الأحلاف، عن الإمبراطوريات القديمة التي كانت تتركز في نواة، و تسعى إلى التوسع والامتداد في اتجاهات عديدة.
تكون هذه الاتحادات، إن هي اتخذت صفة أحلاف أو معسكرات أو تجمعات، وسيلة احتكارية كبرى. فكما أن الشركات الفردية تشكل فيما بينها احتكارات من نوع التروست والكارتل، هكذا أيضاً تشكل هذه الاتحادات الدولية فيما بينها احتكارات تظهر في شكلين: أولاً، بينها وبين بعضها؛ ثانياً، بينها وبين بعض الدول الأخرى الضعيفة من الوجهة المادية. ففي شكلها الأول تدور الدول الصغرى في فلك الدولة الأم، الكبرى. وفي شكلها الثاني تستثمر الدولة الكبرى الأم، أو تستغل، الدول الصغرى وتسيطر عليها. وإن كانت هذه الاتحادات قوية جداً، عمدت إلى بناء أساطيلها التجارية والحربية، وتقوية جيوشها، لتهيمن على كل الحقول. وتدَّعي هذه الاتحادات بأنها تدافع عن السلام أو تحافظ عليه. لكنها تتجاهل أن "سلامها" المزعوم وسيلة لتحقيق أطماعها. وعلى غير ذلك، يتمثل السلام في تحقيق غاية إنسانية, هذا لأن السلام لا يتحقق بالعنف بل بالمحبة و التواضع, وهكذا، يقع العالم كله فريسة للعنف القائم في ألأحزاب و الاتحادات الدّولية أو في الاتفاقيات التي تحمل بذور الحرب، أو في العقائد التي ترغب السيطرة على العالم, و تحمل هذه الاتحادات بذور العنف لأنّها تسعى إلى تدمير بعضها بأسلوب أو بآخر.

نستطيع بعد هذه المقدمة الوجيزة، أن نسأل: كيف يتحقق ألخير و اللاعنف و المحبة و التواضع إذن؟

إن حلّ مشكلة العنف و الشّر ألمتغلغل في عالم بلغ درجاته العليا من التمزق والصراع و النزاع و الفساد و النهب مسألة صعبة .. بل غاية في الصعوبة, هذا لأنّ العدالة و اللاعنف أصبح بعيد الإحتمال و التطبيق, إذ بلغ العنف أقصاه حين مارس المنادين بألدّين و الدّعوة و المرجعية كل ألوان الفساد و النفاق و بشكل علّني و مقبول لدى السّذج, و تشير الدلائل إلى أنّ العنف قد بلغ هذا الحد الأقصى بسبب العوامل المذكورة التي تُحرِّضه و تثيره, و هكذا، تنبثق العدوانيّة إلى الوجود ليتحقق حالة المسخ (التبدل) بشكل طبيعي, و في عالم العنف هذا تتراجع أخلاقية اللاعنف والمحبة ومثاليتهما, لكن اللاعنف يكون أكثر فعالية في

وضع اجتماعيّ أو فردي لا يكون الخير المسلوب قد طغى تماماً, لذلك يسهل تطبيق اللاعنف في الحالات الفردية أكثر ممّا يسهل تطبيقه في الحالات الاجتماعيّة والدولية.

متطلبات إشاعة الخير و درأ الشّر:

متطلبات إشاعة ألخير و درأ آلشّر:

يتطلب إشاعة و تطبيق آلخير و السّلام .. بدل الشّر و آلعنف أمرآن:

ألأوّل : يتطلب وجود أناس يحملون بذور آلخير و يتزوّدون بمبادئه, إنهم يحملون هذه البذور إلى العالم من أجل زراعتها في المجتمعات العديدة، و يُعلِّمون هذه المبادئ، بمحبّة و تحمُّل لجميع الناس عبر المنتديات و المراكز و المساجد والمعابد و غيرها, و لما كنا نؤمن بتضامن أهل الوعي و الحكمة والخير الذين يزرعون حقل الإنسانيّة ببذور المحبة واللاعنف؛ فإننا نؤمن أيضاً بأنّ اتحادهم يشير إلى تجاوز السلب الذي يستفحل أمره يوماً بعد يوم, و في هذا المنظور، تشتد حاجة العالم إلى أصحاب الرؤى و البصيرة و ذوي المعرفة والوعي و على رأسهم الفلاسفة إن وجدوا ؛ و تزداد هذه الحاجة إلى العاملين في حقل السلام و العدالة, و المصيبة الكبرى أن العدالة تعرّضت إلى أكبر ضربة حين عكس أهل الدّين أسوء صورة عن العدالة و القيم السّماوية خصوصا في أرض الأنبياء و الأئمة ألعراق, فحين إستلم دعاة الجهل الأسلاميين الحكم على مدى عقدين تقريباً ليس فقط لم يحققوا خطوة واحدة في طريق الخير ؛ بل أصبحوا بؤرة للفساد و الشرّ و النهب و تحطيم حياة الفقراء, ممّا عكس صورة سلبيّة للغاية لدى الناس بحيث كفروا بآلدّين و القيم كلها حين رأووا آلدّعاة و مدّعي الأسلام قد سرقوا دولة بأكملها و عطلوا التعليم الهادف و المؤسسات الصّحية و الطاقة الكهربائية التي سرقوا من ورائها لوحدها بحدود 100 مليار دولار أمريكي و هكذا بقية المؤسسات, هذه الأمور عقدّت تحقيق الأهداف إلى حدّ كبير و الله وحده أعلم بآلعواقب التي ستنصب على الأمة بإفرازاتها فيما بعد, حيث تحتاج للخلاص من تلك المنعطفات الخطيرة إلى مناهج كونيّة لتطبيقها لأجل درأ تلك المحنة ألكونيّة ألعظمى.

ألثاني: يتطلّب نشر الخير و الأمان و اللاعنف و المحبة مناهج تربويّة تطبيقية جديدة تقوم على مبادئ التحمل و الصّبر والعطاء و التضحية والتواضع، وتقلص التعصب المذهبي و الطائفي إلى أدناه، و تلطِّف أو التقليل على الأقل من خطورة الفوارق بين الأفراد و آلطبقات و الشعوب, إن تربية من هذا النوع تؤمّن ألأخوة الإنسانيّة وتُبشّر بتضامن الإنسان مع الإنسان، و تدعو إلى إحترام آراء الآخرين و تقدير الشخصيّة الإنسانيّة, ولا يمكن تربية الفرد و المجتمع على تلك المبدئين الآنفين إلا من خلال إقامة المنتديات و المراكز الثقافية و الفكرية(7) التي يجب أن يشرف عليها المفكرون و أساتذة الجامعة و العلماء ألكفوئين الذين يمتازون بمستوى خاص مع المثقفين الكبار لإقامة دورات تثقيفية و فكريّة لدراسة المناهج الكونيّة المطروحة في الشؤون التي عرضناها في فلسفتنا الكونية ألعزيزية مع مختلف المسائل المتعلقة بتنمية الوعي و أسس البحث العلمي.

يتضمن هذا البحث الخير و اللاعنف في قانون الرّوح و غائيّة التطور و التي تلعب الدور الرئيسي لسلامة الروح و النفس التي هي المسؤولة على جذب أو دفع الاسقام الروحية و حتى المادية المختلفة بنسبة تزيد على 99% ..

ويتضمن العنف في قوقعة الأنا التي لا تعي ذاتها و كيفية التخلص منه و إبداله بآلرحمة وآلتواضع و خدمة الآخرين ..

و لقد أخطأ بعض علماء التطور ألذين أبانوا أنّ التطور صراع يهدف إلى بقاء الأقوى لكونه (الأفضل) و كما نسب إلى بعض الفلاسفة كنيتشه, والحق هو أنّ التطور في الجنس البشري و في الطبيعة يتأسس في التكامل, و ليس التكامل سوى وجه آخر للمحبّة و اللاعنف والخير, هذا لأن عالم الإنسانية غاية بذاته, و إذا كان غاية بذاته فإنّ تطوره يبدأ من ذاته لينتهي إلى ذاته، لتحقيق ذاته، بمعنى أن التطور بعد الإنسان يتجه إلى عقلانية أعلى، و وعي أعظم، و روحانية أسمى, لذا، لا يكون التطور صراعاً بل تكاملاً، و تجاوزاً أو تعالياً مستمرين في حقول المعرفة والوعي وسمو و طهارة الروح.

يتحقق ألخير و اللاعنف و التواضع في التضحية التي هي المحبّة المطبقة، أو المحبة المنتجة التي بلغت ذروتها بعكس الشهوة, و إني أفضل الإنسان المُضحّي على غيره لأنه (خادم) أمين و مخلص و متواضع و آدميّ, لذا كان الخير و اللاعنف خدمة و تواضعاً و بساطة؛ هو قانون الإنسان الذي يعني أن الإنسان يرى صورته في الآخر لأنه مرآة أخيه الأنسان، فيحب هذه الصورة كما يحب نفسه، لأنها نفسه في نوع آخر, و إذا كان الإنسان يحب غيره كما يحب نفسه؛ فإنما ليكون اللاعنف قانون البقاء والحياة, والإنسان لا يتمثل بإنسانين، إنه إنسان واحد, و في هذا الإنسان توجد الصورة، المنظورة و غير المنظورة للناس الآخرين. و الإنسان يحب صورته في الإنسان الآخر تماماً كما تحب الحقيقة الساميّة صورتها في الإنسان, وإذا كانت الحقيقة السامية تحب الإنسان، و تمنحه صورتها و جوهر وجودها؛ فحريٌّ بالإنسان أن يحب الإنسان الذي تتجسد فيه صورته ومثاله, وفي هذا المنظور نسأل: (كيف يحب الإنسان نفسه في الآخر؟), و (كيف يُذِلُّ نفسه في الآخر؟) و (كيف يكره نفسه في الآخر؟) و (كيف يرذل نفسه في الآخر؟) و (كيف يتكبر على نفسه في الآخر؟) و (كيف ينبذ نفسه في الآخر؟) و (كيف يعذِّب نفسه في الآخر؟) و (كيف يستغل نفسه في الآخر؟) و (كيف يستعبد نفسه في الآخر؟) و (لماذا يحل الرباط الذي يصله بالآخر؟)!؟؟

تلك هي الأسئلة الخاتمة التي يجب أن تدار في عقول ألمفكريين الساعين في طريق الخير لأجل تحقيق العدالة في الأرض التي لم تعد تطاق بسبب الظلم و النهب و الفساد الذي كرّسه الأحزاب التي عملت ضمن مخطط كبير لاجل ربح سريع أو راتب سريع أو مصلحة طارئة و لم يخطر على بالهم, بأن السعادة لا تتحقق حتى لو وجد مظلوم أو بائس واحد في المجتمع و الحال أن معظم الطبقات الاجتماعية المستضعفة بائسة – هذا بسبب فقدان المعرفة و عمق الجهل و التخلف الذي أحاط بتلك الأحزاب الإسلامية و الوطنية و القومية و الليبرالية و غيرها, فخسروا فرصاً ذهبية كانت يمكن أن تعجل في تطبيق العدالة في الأرض.

(1) لمعرفة التفاصيل راجع:
تحميل كتاب دراسات في فلسفة المادة والروح - ج 3 pdf مكتبة نور(noor-book.com)
(2) لمعرفة حقيقة العقل الظاهر و الباطن ألمتعلقة بآلبصيرة و الوجدان و خصوصيات كل مستوى راجع مباحثنا التفصيلة في كتاب: [أسفارٌ في أسرار الوجود], الفصل المتعلق بآلموضوع في الجزء الثالث.
(3) نفس المصدر السابق: [أسفارٌ في أسرار الوجود], الفصل المتعلق بـ (ألعِلل الكونيّة الأربعة في الوجود) في الجزء الاخير.
(4) لوسيفر :**Lucifer** كلمة لاتينيّة من قسمين(فيرر) و (لوسي) و تعني حامل الضوء, لكن بعض المصادر الأوربية عنت بلوسيفر؛ (الشيطان) الذي يحمل و يجلب الضوء, أما في اللغة اللاتينية فهو مصطلح فلكي روماني يشير إلى (كوكب ألنّهار), أو (الزهرة).
(5) في الفلسفة الكونيّة .. فرضنا وجوب تحقيق الأسفار لكل مدّع للأيمان بآلغيب, و قد فصنا الكلام بمباحثنا في كتاب : [ألأسفار الكونية السّبعة].
(6) يجب على الباحث الكونيّ الكريم أنْ يعرف الفرق بين (البشرية) و (آلأنسانية) و (الآدمية) و هي المرحلة الأخيرة التي يصبح معها الأنسان خليفة لله في الأرض لوجود فروقات كبيرة بينها, للتفاصيل راجع مباحثنا في كتاب [فلسفة الفلسفة الكونيّة].
(7) لمعرفة كيفيّة فتح و إدارة مركز أو منتدى فكري و ثقافي بحسب المواصفات العلمية – الأكاديمية؛ يرجى مراجعة كتابنا:
تحميل كتاب أسس و مبادئ ألمُنتدى آلفكريّ - pdf مكتبة نور(noor-book.com)

حقيقة و دور العرفان في سعادة البشر

حقيقة و دور ألعرفان في سعادة البشر:

بداية يجب أن يعلم القارئ الكريم بأن بقاء البشر في حالته البشرية لا تُحقق سعادته .. ما لم يتخلص من متعلقاتها الشهوية و النفسية التي أشرنا لها تفصيلاً فيما مضى, لأن البشر مع وجود تلك الشهوات في وجوده لا يمكن أن يستوعب العرفان و بآلتالي البدء بآلأسفار العرفانية – الكونية التي تحقق الطبابة الكونيّة بلا طبيب أو علاج ارضي أو تناول المخدرات.

حقيقة و دور العرفان ألذي يُمثل المسار الكوني لمنازل السالكين عبر الفكر الأنساني؛ عميق و مُؤثر للغاية في شفاء الأنسان من الامراض المزمنة(الجسدية و النفسية و الروحية) التي كبّلته بجانب تحريرهم من العبودية للأنظمة الوضعية, و لا يمكن الأستغناء عنه للشفاء وآلخلاص لتحقيق السعادة, و لولاه ما صبر الأسير في سجنه سنين طويلة و السجين في زنزانة إنفراديّة لأيام و أشهر و سنوات في مكان ضيق للغاية لا يستطيع الوقوف فيه على رجليه, في حالة مؤلمة لا يستطيع حتى الحيوانات تحملها, لكنها قوة و سرّ العرفان في وجوده الذي يجعل الأنسان الواعي ألسّالك المنفتح على الغيب إيجابياً لئن يصبر بل و يستشهد من أجل معشوقه الأزلي حتى النهاية.

و في عصرنا و بسبب إنتشار الظلم المقنن المطرّز بآلدّيمقراطية و الدِّين التقليديّ الشائع يواجه الأنسان حالة من الإحساس بآلقهر و الضياع و الأهانة و التفاهة والعبودية لغير الله من أجل راتب و كسب حرام, لهذا توجّهنا منذ تقريرنا للفلسفة الكونيّة إلى الأهتمام بعلم النفس و قضايا المعرفة الكونيّة كوسيلة للمعالجة, و قد سبقنا في مجال علم النفس العالم (دايل كار نيجي) و (يونج) سبقهم إبن عربي و إبن سينا و أبو سعيد و البسطامي و العطار و السهروردي و الخواجة الانصاري و الصدر و روح الله وغيرهم ممّن كان لهم دور كبير في العرفان و الطب النفسي, حيث إتّفقوا: [بإن أحدث العلوم هو الطب النفسيّ و يُبشّر بآلمعرفة التي أهم منابعها هو الدّين الذي لوحده يحلّ معظم المشاكل الأنسانيّة و الأجتماعيّة و الإقتصادية.

فأصحاب الفكر السليم خصوصاً الذين خاضوا (الأسفار) يُمكنهم بسهولة ألابتعاد عن ألرّذائل كآلحسد والحرص على الدّنيا و الفضول و الغيبة و الكذب و حُبّ التسلط و العنف و الظهور على حساب حقّ الآخرين, و السعي و التمهيد بآلمقابل لزرع قيم الخير و المحبة و التواضع بدل ذلك بقوة العشق ألإلهي الذي يتحقق في وجوده بسبب الأسفار و الأيمان بآلغيب الذي يخنق كل تلك الصفات السيئة خصوصا لقمة الحرام التي تمسخ الأنسان و تقلب وجوده رأسا على عقب .. حيث تمنع وصول السالك إلى مدينة السلام ؛ مدينة الفناء في الله حتى لو بدأ أسفاره لأنه سيترك المسير في منزل من منازل السالكين بسهولة.

هذا الطريق بات لا مناص منه اليوم بعد ما ألقت ألمحن و المآسي القديمة و الجديدة و التأثيرات السلبية للتكنولوجيا كآلسباق النووي و أخيراً حرب الفايروسات التي بدأت ب(كورنا) التي ستنتهي و غيرها بغضون سنوات قادمة 4 – 5 مليار من البشر حسب ما تمّ التخطيط له قبل عقدين.

كل هذا لتحقيق مصالح المنظمة الأقتصادية العالمية التي تسعى للتسلط على كلّ شيئ في عالمنا لرفاه مجموعة محدودة فقط! إن تلك الأزمات الخانقة – المدمرة للناس قد ألقت بضلالها على الفكر الأنساني للأسف, و هي حال لا يمكن علاجها إلا بآلفكر العرفاني الكوني كعلاج وحيد, و إليكم أبرز المشكلات المعاصرة التي تعاظمت ضمن المحاور الخطيرة ألتالية بإيجاز إلى جانب ما أوردناه أعلاه من المحن و المشاكل التي واجهت وتواجه البشرية لتمييعها وإنحرافها عن الهدف الذي وجد لأجله لمنفعة المتسلطين في الأحزاب و الإئتلافات و الكيانات المختلفة التي تحاصصت و توافقت لنهب الفقراء, وهي بإختصار:

1- أزمة التوسع السكاني, مقابل محدودية الأرض و سعتها و إمكاناتها.
2- أزمة التوسع العلمي لسوء الأستفادة من التكنولوجيا و صناعة الأسلحة ألمدمرة بما فيها الفايروسات.
3- أزمة العولمة التي من أهم إفرازاتها غلاء الأسعار لتحكم أصحاب المنظمة بآلطاقة و الموارد في العالم.
4- ألأبتعاد عن الدّين .. و أدلجته لأجل مصالح حزبية و شخصية و فئوية لتنمر الشهوات بدل العرفانيات.
5- ألجهل بقيمة المحبة و دورها لتحقيق السعادة, فتسبب بإبقاء البشر في العشوق المجازية و عدم تحقق ألعشق الحقيقي.
6- فقدان معايير الجمال و دوره في تحقيق فلسفة الوجود, حيث تشوهت المقايس و فسر بشكل مغايير للحقيقة.
7- ألتّلوث البيئي.
8- تصحر الأراضي الزراعية.

9- عدم الاستقرار.
10- ألتفكك الأسري و قلة ألزواج الطبيعي و حلول المثلية بدل ذلك.
11- ألاجحاف بحق الوالدين و ترك الأبناء لآوليائهم.
12- ضمور العلاقات العائلية و المحبة و الأنسانية و أمثالها.
13- ألأحساس بآلعدم و الفراغ أو ما يسمى بآلنهيلزم.
14- فقدان الثقة بآلنفس و بآلآخرين نتيجة الثقافة الحزبية الأنانية.
15- هبوط القيم المعنوية.
16- ألأنغماس في الشهوات.
17- إزدياد ألعنف و الأنهيار.
18- إزدياد الجرائم و القتل.
19- ألأدمان على المخدرات.
20- إزدياد العادات و المظاهرات السيئة.
21- شيوع الغيبة و النفاق.
22- زوال الصّبر و قلة التّحمل الذي هو من آلأيمان.
23- شيوع الكفر و عدم الأهتمام بآلتنمية البشرية و الفطرة.
24- ألأفراط و التفريط بآلآثار و القيم القومية و الأنسانية.
25- شيوع زنا المحارم و الشذوذ الجنسي و الخيانة الزوجية.
26- شيوع السِّحر و الشعوذة.
27- العزوف عن القراءة, و هذه من أعظم المصائب التي تواجه البشرية.
28- - و أخيراً تشوّه الدّين(ألأديان) بعد تدخّل الأهواء و الحزبيات و المرجعيات المختلفة فيها و تحوّلها إلى مصيدة و مسار آخر يصبّ لصالح مدّعيه و الملتزمين به كغطاء لأجل دكاكينهم بعيداً عن الأهداف الكونيّة المرسومة من الله تعالى و لعلّ هذا الأمر هو السبب الأساسي لتلك الأفرازات مجتمعة في بلادنا خصوصاً, فحزب الدعوة الأسلامية العراقية و نتيجة شهادة جميع أعضائه السابقين نرى اليوم تلبس معظم إن لم أقل كل المنتمين لهذا الحزب للتستر على سوابقهم و إنتماآتهم المخزية لتحقيق مصالح مادية شخصيّة و ضيقة.
29- بدائل الطاقة و الإستغناء عن النفط, حيث ستقلب الكثير من المعادلات, خصوصا في بلادنا التي تعتمد على النفط في إقتصادها!
30- كثرة الأحزاب و بآلتالي الآراء و البيانات التي تجرّ الفئات و الناس مرة شرقا و أخرى غرباً و هكذا من دون بيانات واضحة تحقق ولو السعادة النسبية للفرد أو المجتمع.
خطورة ما نمر به من محن تتطلب ملامسة الواقع والمستقبل الحقيقي فيقول فيه ، لا أعتقد أننا ندرك تماما تأثير (القفزات العلمية والتقنية) على حياة الشعوب ، فلو لاحظنا مثلاً كيف اختفت الصناعات التقليدية البسيطة بعد اكتشاف البلاستيك والبترو كيمياويات والألياف الزجاجية ، وظهور البلاستيك مثلا دمّر صناعات والفخار وحاويات الصفيح في أفريقيا وأواني الألمنيوم هنا وهناك ، وظهور الألياف الزجاجية دمّر صناعة القوارب الخشبية في قرى الصيد الفقيرة ، واكتشاف المطاط الصناعي دمّر صناعات المطاط الطبيعي في تايلاند وماليزيا وأميركا الجنوبية ، ونجاح اليابانيين في تربية المحار دمّر صناعة اللؤلؤ الطبيعي في دول الخليج العربي ، وانتهى عصر الاستعمار برمته لأن أوروبا (مع احترامنا لنضال الشعوب المقهورة) ، ابتكرت بدائل للقطن والقصدير والزيت والكاكاو والمواد الخام التي كانت تسرقها من الشعوب المستضعفة.

وفي واقع الحال فان في كل سنة جديدة تحقق الدول المتقدمة قفزات علمية وصناعية تترك تأثيراتها السلبية على المجتمعات المتخلفة ، وفي المستقبل القريب سيستغني العالم عن النفط أيضاً كما استغنى عن البخار والفحم ، فالطاقة المتجددة بدأت تحل مكان النفط والغاز والفحم ، ودول مثل ألمانيا والدنمرك والسويد أصبحت تولد معظم طاقتها الكهربائية من الرياح والخلايا الشمسية (رغم ضعف الشمس في أوروبا) ، ودول مثل فرنسا واليابان وكوريا الجنوبية تعتمد الآن على الطاقة النووية لتزويد منازلها وطرقاتها بالكهرباء ، وتطور تقنيات النفط الصخري (لم يهوِ فقط بأسعار البترول) بل نقل أميركا وكندا من خانة الدول المستوردة إلى خانة الدول المصدرة للنفط.

أما الكارثة الجديدة فهي الانتشار السريع للسيارات الكهربائية في معظم الدول ، فقد أصبحت شركة تسلا الأميركية (لصناعة السيارات الكهربائية) الأكثر نمواً في قطاع السيارات ، وتحاول جميع الشركات التقليدية (مثل تويوتا وهونداي ومرسيدس وفورد) اللحاق بها خشية توقفها عن العمل حين يتوقف العالم عن استهلاك النفط ، والذين يسافرون لها للخارج يلحظون في كل سنة ارتفاعاً مطرداً في أعداد السيارات الكهربائية والهايبر (التي تجمع بين النفط والكهرباء) ، ففي النرويج هناك حياً كاملاً تصطف فيه سيارات كهربائية تشحن نفسها خلال الليل (سيارات مألوفة ـ ومن شركات معروفة) ، وفي بلد يعد من أكبر الدول المنتجة للنفط ، لاحظوا في البرازيل أن محطات الوقود تملك رائحة غريبة (تختلف عن رائحة البنزين التي تفوح من محطاتنا) وقد علموا أنه نفط عضوي مستخرج من زيت الذرة تسير عليه نسبة كبيرة من السيارات هناك ، ومن السذاجة فعلاً أن نطمئن لوجود النفط حتى لو كنا نشكل ثالث احتياطي مؤكد وامتلكنا منه مخزونا لألف عام لأن الخطر قادم من جهة غير متوقعة ، ربما تأتي من خلال قفزة تقنية قد تكون محركاً جديداً ، أو بطارية خارقة ، أو اكتشاف غير مسبوق ، أو طاقة بديلة أرخص من النفط ، وقفزة كهذه ستكون بلا شك نعمة للدول المستوردة ولكنها بالنسبة لنا قفزة تجعلنا في القعر ، فنحن ببساطة شعوب غير مُصنعة ولا منتجة لأي من هذه التقنيات ، لذا يشكل استغناء العالم عن النفط كارثة حقيقية بالنسبة لنا ، واحتمال مثل هذا لا يستدعي منا فقط تنويع مصادر الدخل, و لكن كيف و حكوماتنا غبيّة مع أحزابها إلى جانب النظام الأداري الفاشل و التناحر على المناصب و الأموال!؟

و بملاحظة تلك الأفرازات الخطيرة و التّمعن فيها و بآثارها التخريبيّة بروح علميّة و تصور المستقبل الخطير الذي سيواجه الأجيال القادمة بعيداً عن التعصب و التّحزب؛ يتبيّن بأن علة العلل في نشوئها هي عدم تنمية الفكر و الروح و الجهل بألنفس و ضمور الوعي و فقدان قوانين معرفة الجمال و عمل الخير, و معرفة الله الذي هو الجمال و الكمال.

و رغم تنبّه الناس لتلك المحن التي وصلت للعظم كما يقولون, إلّا أن علاجها لا يتحقق بسبب تعمقها و هندستها المحكمة من قبل حكومة المنظمة الأقتصادية التي تسيطر على حكومات العالم و تحدد مسارها, حتى الأطباء و الروحانيون الذين لهم يد في مأساة البشرية لا يستطيعون شفاء المليارات من الناس, لأنّ مصالحهم ستتضرر في حال لو سعوا مخلصين لحل تلك الأزمات, القضية تحتاج إلى نهضة إنسانية مفعمة بألحيوية و الأخلاص و التواضع بعد السيطرة على الأفكار المشؤومة ذات البعد النفعي الأناني و الحزبي و القومي و العشائري خصوصا و قد تعرض الجميع لمحن قد تسبب قتل 5 مليارات من البشر بسهولة ويسر, ولا يتحقق هذا إلا بألطبابة العرفانية الكونيّة التي بإمكانها حلّ مشكلة العالم, عبر تأسيس المنتديات الفكرية و الثقافية في المدن و الأمصار و المؤسسات و الوزارات و حتى في البيت و ذلك أضعف الأيمان, و سنبيّن في هذا الكتاب الذي حدّدت ملامحه و أسسه و هدفه خلال فترة رقودي لثلاثة أشهر مسجى على ظهري لإنجاح عملية زرع القرنية التي هي من أصعب و أتعس العلميات الجراحية, و رأيت من الواجب بيان حقيقة و أبعاد الطبابة الكونية و مسالكها كبديل للخلاص من تلك المحن إن شاء الله.

لهذا كله لم يبق أمامنا سوى اللجوء و التأكيد على الطبابة العرفانية الكونية للشفاء و الخلاص من تلك المعوقات التي أبعدت الناس عن الهدف الذي وجدوا له جملةً و تفصيلاً.

أسأل الله أن يوفقي و يُسدّدني بألصّحة و القوّة و البصيرة لإكمال هذا البحث المُكمّل للفلسفة الكونيّة التي هي ختام الفلسفة في العالم و مقدمة لكتاب هام و عدّتكم بنشره إن شاء الله, إنّهُ من سليمان و أنه بسم الله الرّحمن الرّحيم.
حكمة كونيّة: [لا يُمكن أن يُسعد مجتمع فيه شقيّ واحد, فكيف الحال و المجتمعات كلّها تشقى؟]
ألعارف الحكيم.

بعض ألأسفار ألرّوحيّة للعرفاء ألحكماء

بعض الأسفار ألرّوحيّة للعرفاء ألحُكماء:

قلنا في مباحث سابقة و كتب و مقالات عدّيدة .. في باب معرفة الأنسان؛ [عدم وجود خط فاصل مرسوم بين البدن و الفكر و الرّوح] و إنّما تتداخل بعضها ببعض لأداء وظائف معينة في نظام معقد لا يعرف كنهه و قوانينه إلا الخالق تعالى , لعدم قدرة أيّ منها العمل على إنفراد بدون الآخر و بدون الطاقة الكونيّة التي نحن بسبب حفظها و بيانها, فآلجّميع يعمل ضمن نظام معقد مشترك لأداء وظائف خاصة تنتهي إمّا بعمل الخير أو الشرّ, و بذلك فإنّ ردود أفعال أي شخص مقابل الوقائع تُبيّن شخصية أو جزء من شخصية الفاعل.

شخصيّت أيّ إنسان تتكوّن من قسمين أساسيين؛
- العقل الواعي أو الظاهر. conscious mind,
- العقل أللاواعي أو الباطن. unconscious mind,
و آخرين أضافوا (الوجدان) Conscience كبعد ثالث في تشكيل الشخصيّة.
و المشكلة أن البشر حتى المتعلمين و المثقفين و المفكريين و الأكاديميين عادة ما يتميّزون بشخصيّتين في حياتهم و تعاملهم اليوميّ بحسب الظاهر و هما؛
الأولى : الشخصية الظاهرية و يسعى صاحبها الظهور بمظهر حسن و لائق و مقدّس أمام الناس للتستر على ذاته.
ألثانية : ألشخصيّة الحقيقيّة : و هي التي يخفيها صاحبها خلف الأولى و لا تظهر إلا عند الأمتحان أو فلتات اللسان.
و علة هذا النفاق هو عدم سعيه لكشف ذاته و معرفته و بآلتالي ألسعي و الجهاد لتطهيرها من الخبائث ليعيش كما هو و بإرتياح أمام الناس و خلفهم و في كل الاحوال.

فآلعقل ألواعي أو ألظاهر مسؤول عن كلّ نشاط فكريّ و عقليّ و إداركيّ, حيث يعي الشخص كلّ تلك الفعاليات بشكل مباشر و في مجال و موضوع محدود و معروف له قواعد رياضيّة و حسابيّة و منطقيّة, و تخضع لإرادة و سيطرة الفاعل.
أما العقل الغير الواعي أو الظاهر(الباطن) و يصطف معه الضمير المكون لشخصية الأنسان ألسالك؛ يتحقق كلّ عمليّة تفكير أو تقرير بلا سيطرة أو تفكير مُركّز لسعة المساحات المتحركة التي تشمل الموضوع و التي تصل لمدار الكون كلّه لوحدة الوجود, لذلك من الصعب وعي جميع الفعاليّات و الجزئيّات .. حيث أنّ التقريرات و المواقف ألنّاتجة من هذا آلمنطلق يكون عميقاً و هامّاً و مصيرياً, لهذا فإنّ العقل الظاهر ليس بمقدوره حلّ مثل تلك المعضلات, بل العقل الباطن اللاواعي الذي يكتنز المعارف الكثيرة و المتنوعة, و لهذا فإن عبادة الله الصادقة لا تتحقق في وجودنا ما لم نعي حقيقة الآية القرآنية التي تقول : [ما خلقت الجن و الأنس إلّا ليعبدون .. ليعرفون كما يقول الأمام الصادق(ع)], فآلمعرفة هي المحرك لتفعيل العقل الباطن الذي يحدد النوايا و الأعمال و المصير من خلال ثلاثة أركان معرفيّة واجبة هي (ألجّمال) و (آلعلم) و (عمل الخير)!
و لو فقدنا أيٍّ من تلك الأسس الكونيّة التي تُحدّد سعادة الأنسان في الوجود بتوفيق الله و رعايته؛ فإنّ آلعناء و آلشقاء و المحن ستحكم حياتنا التي تتحول إلى عبث و تكرار مملّ و كما هو حال البشر اليوم للأسف!

فآلجمال : لا يتحدّد بآلقواعد و الألوان الصريحة التي أشيعت منذ أزمان؛ إنّما الجّمال عبارة عن ألوان وحالات غير صريحة يختبئ ورائها عوالم شفافة و مسحة لا يراها سوى من تسلّح بالمعارف ألمُمتدة في أعماق الوجود و المخلوقات و يحتاج هذه النظرة الكاشفة إلى رؤية جميلة لا عينيين جميلتين؛ رؤية عميقة تخترق الظواهر نحو بواطن النفوس والمخلوقات.

و العلم : هو العلم الذي يجعل الكَوانتوم أهم معادلة في تحديد المسار أو الكشف العلمي, وبدون الكَوانتوم يبقى العلم محدوداً بقوانين نيوتن و كوبرنيكوس و غاليلو .. و لعل آينشتاين هو أوّل من أشار لهذا العلم قبل قرن تقريباً, حيث صرّح بأننا لا يمكن أن نحقق المزيد في مجال العلم ما لم نستخدم قوانين الكَوانتوم التي تضفي بُعداً كونياً على الموضوع المراد بحثه.
فمثلاً الأيمان بآلله يحتاج إلكثير من البحث و التحقيق و الصبر ليتحقق علم اليقين ثم عين اليقين ثمّ حقّ اليقين, بحيث لو كُشف له الغطاء ما إزداد صاحبه يقيناً بعدها.

و عمل الخير : هو آلعمل الذي لا يستفيد صاحبه (عامله) من أيّة منفعة ماديّة أو معنوية أو مصلحة إجتماعية للظهور أمام الناس أو أمام شخص معيّن .. بمعنى يكون خالصا لوجه الله تعالى المعشوق الأزلي ولا ينتظر عامله أية نتيجة من المنتفع بذلك العمل, فآلمعروف في هذا المجال؛ هو أنّ كل عملِ معروف إنما يكون معظمه لدوافع مادية أو شهوية أو سلطوية وإن كان أحياناً يتحقق باسم الله و أوليائه في الظاهر, بينما الحقيقة غير ذلك في نفس فاعله للأسف لهذا فإن الصدقات و أعمال الخير لا تنفع عموماً فاعليها لأنها لا تكون خالصة لوجه الله ويشوبه جماح النفوس و المنة و الأذى و غيرها.

إنّ العرفاء ألحُكماء قد حدّدوا لنا طرقاً و مسالك للوصول إلى تلك المعرفة اليقينيّة التي معها يتحقق المطلوب, و أبرزها:

- **أسفار الشيخ (إبن عربيّ) : الذي لقبه الأمام الرّاحل(رض) بآلشيخ الأكبر, حيث حدّد 27 مرحلة بحسب رسالات الأنبياء الذين ذكرهم الباري في القرآن الكريم بآلأسم, حيث يجب دركها لتحقيق المطلوب و الهدف من الحياة الدّنيا و كما جاءت تفاصيل ذلك في كتابه المعروف (فصوص الحكم)(1), حيث يقول عن قصّة (الكتاب)؛ بأنّ الرسول(ص) هو الذي علّمني في آلرّؤيا ذلك و أمرني بكتابته, و يبدأ بـ :**

ألفصّ الأوّل؛ حكمة إلهية في كلمة آدميّة .. و ينتهي بـرسولنا الخاتم بتسلسل 27 وهي (حكمة فرديّة في كلمة محمديّة), ثمّ؛
ألفصّ الثاني؛ حكمة نفثيّةٌ في كلمة شيثيّة.

و هكذا تتوالي الفصوص كما عرضناها أدناه حتى آلفصّ الأخير ..
حيث ينتهي كلّ فصّ بحكمة ألكلمة التي تُنسب إليها, فإختصر الشيخ الأكبر على ما ذكرنا من هذه الحكم في ذلك الكتاب على حدّ ما ثبت في امّ الكتاب بحسب تقريره, الذي يدعي بأنه أورده بحسب ما رسمه له الرسول الكريم(ص) و إمتثل لوصيته.

1- ألفصّ الأوّل؛ حكمة إلهية في كلمة آدميّة .. و ينتهي بـرسولنا الخاتم بتسلسل 27 بـ (حكمة فرديّة في كلمة محمديّة).
2- ألفصّ الثاني؛ حكمة نفثيّةٌ في كلمة شيثيّة .
3- ألفصّ الثالث؛ حكمة سبّوحية في كلمة نوحيّة.
4- ألفصّ الرابع؛ حكمة قدّوسيّة في كلمة إدريسيّة.
5- ألفصّ الخامس؛ حكمة مُهيميّة في كلمة إبراهيمية.
6- ألفصّ السادس؛ حكمة حقيّة في كلمة إسحاقيّة.
7- ألفصّ السّابع؛ حكمة عليَّة في كلمة إسماعيليّة.
8- ألفصّ الثامن؛ حكمة روحيّة في كلمة يعقوبيّة.
9- ألفصّ التايع؛ حكمة نوريّة في كلمة يوسفيّة.
10- ألفصّ العاشر؛ حكمة أحديّة في كلمة هوديّة.
11- ألفصّ الحادي عشر؛ حكمة فاتحية في كلمة صالحية.
12- ألفصّ الثاني عشر؛ حكمة قلبية في كلمة شُعيّبيّة.
13- ألفصّ الثالث عشر؛ حكمة ملكية في كلمة لوطيّة.
14- ألفصّ الرّابع عشر؛ حكمة قدريّة في كلمة عُزيّريّة.
15- ألفصّ الخامس عشر؛ حكمة نبويّة في كلمة عيسوية.
16- ألفصّ السادس عشر؛ حكمة رحمانيّة في كلمة سُليمانيّة.
17- ألفصّ السّابع عشر؛ حكمة وجوديّة في كلمة داووديّة.
18- ألفصّ الثامن عشر؛ حكمة نفسيّة في كلمة يونسية.
19- الفصّ التاسع عشر؛ حكمة غيبيّة في كلمة أيوبيّة.
20- ألفصّ العشرون ؛ حكمة جلاليّة في كلمة يحياويّة.
21- ألفصّ الواحد و العشرون؛ حكمة مالكية في كلمة زكرياويّة.
22- ألفصّ الثاني و العشرون؛ حكمةٌ إيناسيّة في كلمة إلياسية.
23- ألفصّ الثالث و العشرون؛ حكمة إحسانيّة في كلمة لقمانية.
24- ألفصّ الرابع و العشرون؛ حكمة إماميّة في كلمة هارونيّة.
25- ألفصّ الخامس و العشرون؛ حكمة عُلويّة في كلمة موسوية.
26 ألفصّ السادس و العشرون؛ حكمة صمدية في كلمة خالدية.
27 ألفصّ ألسّابع و العشرون؛ حكمة فردية في كلمة محمدية.

و فصّ كل حكمة تتبع صفة ألكلمة المنسوبة لها, فإختصر الشيخ الأكبر على ما ذكرنا من هذه الحكم في هذا الكتاب على حدّ ما ثبت في امّ الكتاب بحسب رؤياه, و يدّعي بأنه أوردها إمتثالاً لما سمعه و رسمه له الرسول الكريم(ص).

- **أسفار ألملا صدرا : و هو صاحب الأسفار ألأربعة(2) و التي ضمّت الحكمة المتعالية و تتحقّق بعد تحقق أربعة مراتب, هي :**

1- سير آلخلق إلى الحقّ؛ و هو آلسّير و السّعي لطلب المعشوق الحقيقي بديلاً عن العشوق المجازية بالتجرد عن الماديات.
2- سيّر بآلحقّ في الحقّ؛ و هو السّير عبر أسفار الأنسان لمعرفة الحقّ بشكلٍ مُبرهن و مشهود ليكون مؤهلاً لهداية الناس.
3- سيّر من الحقّ إلى الخلق بآلحق؛ و هي العودة إلى الخلق بعد معرفة الحقّ بشكل واضح و مبرهن.
4- سيّرٌ في الحقّ بآلحقّ؛ و هو الذوبان في المعشوق و الرجوع بعد نهاية الأسفار الكونية التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم.
بإختصار شديد لقد عرض بوضوح (الحكمة آلمتعالية) عبر الأسفار العقلية الأربعة, و كان صدر الدّين محمد الشيرازي (1572-1640م) بحقّ عارفاً حكيماً جمع أسفاره الأربعة العظيمة في 9 مجلّدات.

- أسفار فريد آلدّين العطار النيشابوري : و يتحدّد أسفارهُ بسبعة مراحل جمعها في كتابه المشهور بين العرفاء بمدن أو أسفار العطار ألسّبعة, و هي:

ألطلب – العشق – ألمعرفة – ألتوحيد – ألتوحيد – ألأستغناء – الحيرة - ثم الفقر و الفناء,
و لمعرفة حقيقة و تفاصيل كلّ مرحلة(مدينة)؛ راجعوا كتابنا الموسوم بـ [ألأسفار الكونية السّبعة] للتفاصيل(3).

- أسفار ألشيخ ألخواجة عبد الله الأنصاري(4), و قد حدّدها بإثنين و خمسين مرتبة تيمّناً بعدد الركات اليومية و نوافلها والمعروفة بصلاة 52 أو 51 بإعتبار ركعتيّ (الوتيرة) بواحدة لأنها تُؤدّى جلوساً, و ليس سهلا أن يُداوم الطالب على النوافل اليومية.

- أسفار ألحكيم محمد باقر الصدر : حيث حدّد مراحل السّفر بثلاثة شروط هي:
- معرفة الله - ألتوحيد – ثمّ حُبّ الله(5).

و لكل مرحلة تفاصيل و شروط خصوصاً ألتوحيد الذي إقترنه بآلمعرفة و طبقه عملياً و لم يتنازل لواغيت و لم يرهبه أساليبهم بل واجههم بصلابة على عكس الآخرين الذين ذهبوا بأرجلهم على أعتاب قصورهم, حيث إعتبر(رض) مُجرّد الأبتسامة بوجه الظالم شِركٌ بآلله تعالى ناهيك عن زيارتهم أو أفعال الذين باعوا دينهم بمنصب أو براتب حرام!
و لمعرفة نهجه الكونيّ الذي جدّد به نهج و دين الحوزة التقليدية؛ لا بد من دراسة سيرته و مسيرته و كتبه حتى شهادته و أخته المظلومة بنت الهدى فكانا بحق حسين العصر و زينب العصر.

و لكل إنسان نهج و طريق للسفر و معرفة الله, لأن (الطرق إلى الله بقدر أنفاس الخلائق) كما يقول الحديث ألقدسيّ الشريف, لكن الحقائق الكبيرة التي أوردناها لا تتحقق مضامينها في الأنسان السالك؛ ما لم يتجاوز آلذات و يخلص لله سبحانه من خلال إخلاصه للخلق دون أية توقعات منهم كما يحب لنفسه و صدقه مع الذّات, و ليس سهلاً أن تكون صادقاً مع ذاتك, لأنه يحتاج إلى قتل الذات و هدم اللذات بداخلك لتُصانع وجهاً واحداً هو الله من دون كلّ الوجوه لأجل المنافع و المطامع, و لم أرَ هذا المستوى يتجسد حتى بين مراجع الدِّين إلا عند نوادر مثل أستاذنا الشهيد الصدر الفيلسوف و الشيخ عبد الله الأنصاري و روح الله و الشهداء الذين صدقوا مع الله و مع أنفسهم و تسلحوا بالنهج الذي يستند على الولاية .. ليكون خليفة الله في الأرض بحقّ, و لهذا فإنّ الحكماء العرفاء يحدّدون معايير خاصّة للسائرين تتجاوز أن يكون قدّيساً و إنساناً حرّاً و له ملكات فقط, فلا بد أن يكون متصلاً بآلله عن طريق ولاية محمد المهدي الذي هو خاتم الأولياء و الأنبياء!

نتيجة البحث؛ هي أنّ الأسفار تؤدي إلى سريان صفات الحقّ تعالى في الأنسان بإستثناء الصفاء الثبوتية الذاتية, ليكتمل من كل الوجوه, ليعود إلى الأصل الذي تفرّق عنه فتحقق وحدة الوجود, بعد ما يتمثّل ا لحق في صور الموجودات, و يمكننا التعبير عن حقيقة وحدة الوجود من خلال صورتين: الأولى؛ لو رأينا الحقّ ظاهراً فإننا نرى الخلق قد تستر فيه, و لو رأينا الخلق ظاهراً فإن الحقّ يكون مستوراً و مخفياً فيه, بمعنى وجود علاقة موحدة و متداخلة بين الحقّ و الخلق, بإستثناء آلصّفات الذاتية الثلاثة(6) التي تختصّ بآلحقّ تعالى, و من هنا أثبتنا خطأ و نفاق مذهب واصل بن عطاء تلميذ البصري الذي إبتدع مذهب التفويض بخلاف إستاذه الذي كان يؤمن بآلجبر, و قد إستغل سلاطين بني أمية هذا المذهب لمنافعهم الشخصية السلطوية, بكون حكمهم مفروض الطاعة و لا يجوز القيام ضدهم و الأيمان بآلقلب يجزي و يستوجب الجنة, و صفات الله .. بل القرآن كله مخلوق ولا إصالة له, بمعنى أنها قابلة للتغيير و لا يلزم التمسك و العمل بها, لأنها قابلة للتغيير و قد تنقلب بأمر الله تعالى , هذه العقائد الفاسدة هي السبب في تحريف مسار الأمة و عن هدفها للوصول إلى الحق, و إن الله تعالى لا يمكن أن يكون له وجود في الأرض و الكون ما لم يتصف المخلوق بصفاته!

و إعتقد (كانت) في فلسفته، بأنّ [المعرفة نتاج العلاقة بين الذّهن والأحساس في زمكاني مُعَيَّن]، لذلك إتّخذتْ فلسفتهِ من (العقل والأدراك) أصلاً لكلّ الفلسفة على مذهب (هيوم) إلى يومنا هذا وحاول تطبيق الأشياء عليها وليس العكس كما ادّعى الفلاسفة من قبله و

ربما من بعده، و بذلك أبْطَلَ البراهين التقليديّة التي ما زالَ بعض العُلماء يعتقدون بها، مُعتبراً كُلّ الأدلة الواردة حول إثبات (الله)و من ثم الوصول إليه ليست تامّة وليست حُجّة، ومن المستحيل (إثبات أصل الذات – الدّليل الوجوديّ – الذّهنيّ أو بقاء النفس أو الأختيار)؛ عن طريق الأستدلال العقليّ، لذا حين لا يكون الذّهن و الوجود دليل كافٍ على الله، فلا بُدّ من وجود دليل ثالث وهو الأخلاق!

فما هي الأخلاق التي تكون مقدمة للتّدين و لوجود الله؟

هذا سؤآل صعب .. و ليس بآلأمكان الأجابة عليه بسطر أو كتاب أو حتى مجلدات, بل يحتاج لمعرفة و دراسة الهدف من الرسالات و روح القرآن بآلذات, و الغاية من بعث الرسالات بآلأساس, و دراسة العِلل الأربعة للوجود ككل, و هي : العلة (الشكلية و الفاعلية و المادية و الغائية) .. للتفاصيل راجع (فلسفتنا الكونية).

لذلك لا تتحقق الأسفار في وجود السالك ما لم يتحلى و يتصف بالفضائل و آلأخلاق الحسنة – بعد التّجرّد من الخبائث والتّحلي بالطيّبات لنكون مُتديّنين، وهذا يعني بطلان إدّعاء الدِّين مِنْ أيّ كان حتى لو كان شعباً أو مرجعاً دينيّاً وهو لم يُهذّب أخلاقهُ – ألعملية – و سيرته و رزقه بعد تطهير ذاته من النّفاق والكذب والنّميمة والفساد والتكبر و لقمة الحرام و المناصب الحرام، و بالتّالي و بحسب نظر هذا الفيلسوف الكبير يُعتبر كلّ مُتديّن لم يُزكيّ نفسه و لم يعرف حدودهُ و روح ارسالات السّماويّة – كلّ الرّسالات لا فرق – خارج عن التّديّن و الدِّين!

و مجمل هذه الفلسفة تتوافق مع النّبأ العظيم على لسان الخاتم (ص)؛ [إنّما بُعِثْتُ لأتمّمَ مكارم الأخلاق].
هكذا اعتقد (كانت) بأنّ الأخلاق(7) هي التي تصنع الدِّين و تعكس وجود الله تعالى، والعقل العمليّ(8) هو الذي يصنع الأخلاق و التي بها يكون الله موجوداً على الأرض من خلال الملتزمين بها و الدّاعين لها!

خلاصة نظريّة هذا الفيلسوف هي: [بدون اعْمالِ الأخلاق(9) في الحياة يغدو كلّ ما يتظاهر به ويدّعيه أو يُمارسه الأنسان في مرضاة الرّب زَعْماً دينيّاً وعبوديّةً كاذبة ومُفتعلة]، و هذا هو حال المُدّعين اليوم.

و سنُبين مستقبلاً في فصول هذا آلكتاب شروط تحرير الطاقة آلخفيّة و تنميتها في الأنسان و كيفيّة إستخدامها في الطبابة العرفانيّة بحسب قواعد ألفلسفة الكونيّة إن كان في العمر بقيّة بإذن الله, لنُبيّن للناس كيفيّة تجاوز ألدِّين القشري السائد اليوم.
ألعارف الحكيم

---

(1) (محي الدِّين بن عربي 1165- 1240م), فصوص الحكم – منظمة الطباعة و النشر, إيران/طهران, 2000م, ط2 ص 530 و 531.
(2) راجع الأسفار الأربعة لصدر الدين محمد الشيرازي. (1572 – 1640م), دار إحياء التراث الإسلامي 9 أجزاء.
(3) راجع: كتاب الأسفار الكونية السبعة في الرابط أدناه, لمعرفة كيف إن الوصال مع المعشوق لا يتحقق بسهولة :
https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A-%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%B3-%D8%A8%D8%B9%D9%87-pdf
(4) (الأنصاري, عبد الله 1640م-1572م), كتاب منازل السائرين, دار الكتب العلمية, 1988م. ط1.
(5) ورد مضمون تلك المراحل في كتاب المدرسة الإسلامية.
(6) و هي؛ (العلم و البقاء و القدرة).
(7) لأخلاق؛ هي دراسة معياريّة للخير والشّر تهتمّ بالقيم المُثلى، وتصلُ بالإنسان إلى الارتقاء عن السّلوك الغريزي بمحض إرادته ألحرّة؛ بعكس الّذين قالوا؛ بأنّ الأخلاق ترتبط بما يُحدّدهُ ويفرضهُ الآخرون، وترى أنّها تخصّ الإنسان وحده، ومصدرها ضميره ووعيه، ويعتقد أفلاطون بأنّ الأخلاق تتمثّل في كبح شهوات الإنسان، والتّسامي فوق مطالب الجسد بالالتفات إلى النفس والرّوح وتوجيههما لتحصيل الخير والمعرفة ومحاربة الجهل، أمّا (الأخلاق) بنظر الأنبياء وأئمة المسلمين (ع)، فإنّها تُوجه عقل وروح الأنسان لأن تحفظ في النهاية الكرامة الأنسانية، من خلال القول والفعل والنيّة، ولهذا يمكن إعتبار تعريف (أفلاطون) ثمّ (كانت) و(شوبنهاور) وغيرهم: بأنها خلاصة ما جاء به العرفاء والأئمة والأنبياء وهي

(إتمام مكارم الأخلاق)، لكن مع فاصل الزمن بين الفئتين.
(8) العقل النظري والعقل العملي، مصطلحان يُستخدمان في بعض العلوم؛ فالعقل العمليّ في اصطلاح المناطقة هو المعبَّر عنه (بالحسن والقبح) عند المتكلّمين، والمعبَّر عنه (بالخير والشرّ) عند الفلاسفة، والمعبَّر عنه (بالفضيلة والرّذيلة) في اصطلاح علماء وأئمة الأخلاق، أما المراد من العقل النظري فهو العقل المُدرك للواقعيات التي ليس لها تأثير في مقام العمل إلاّ بتوسّط مقدّمة اخرى، كإدراك العقل لوجود الله، فإنَّ هذا الإدراك لا يستتبع أثراً عملياً دون توسّط مقدّمة اخرى كإدراك حقّ المولويّة وانَّ آلله هو المولى الجدير بالطاعة، والمراد من العقل العمليّ هو المُدرك لما ينبغي فعله وايقاعه أو تركه والتحفّظ عن ايقاعه، فالعدل مثلا ممّا يُدرك العقل حُسنهُ وانبغاء فعله والظلم ممّا يُدرك العقل قبحه وانبغاء تركه، وهذا ما يُعبّر عن إنّ (حسن العدل وقبح الظلم) من مُدركات أو بديهيات العقل العملي وذلك لأنَّ المُمَيّز للعقل العمليّ هو نوع المدرَك فلمَّا كان المُدرك من قبيل ما ينبغي فعله أو تركه فهذا يعني انَّه مدرك بالعقل العمليّ هذا ما هو متداول في تعريف العقل العملي، وجاء السيد الصدر بصياغة اخرى لتعريف العقل العملي وحاصلها؛ إنَّ العقل العملي هو ما يكون لمُدركه تأثير عملي مباشر دون الحاجة لتوسّط مقدّمة خارجيّة.
(9) ألأخلاق؛ هي هدف الرسالة الأسلامية و يتحقق في وجود المؤمن بعد قتل الذات, و من مصاديقه السلوكية محبة الناس و الصدق معهم و التواضع لهم و خدمتهم و عدم إستغلالهم حتى لأتفه الأشياء, و جعلهم يحبون العشرة معكم لان وجودك معهم مفيد و مثمر و ينمي الفرد و يقدّم المجتمع, و الأخلاق مدار واسع لكن الأخلاق العملية التي تتداخل مع الناس و حقوقهم هي الأولى من الفرعيات و الشكليات التي عادة ما يتمسك بها رجال الدين لمحدودية تفكيرهم.

ألطريق للطبابة ألكونيّة:

ألطريق للطبابة ألكونية:

ألطريق للطبابة ألكونية يكون عبر منهج آلمعرفة ألكونيّة؛ وألطريق الوحيد هو العلم و المعرفة التي حدّدها المعشوق تعالى بقوله في القرآن ألكريم: [ما خلقتُ الجّن و آلإنس إلّا ليعبدون] أيّ [ليعرفون] بعد ما [يتفكّرون و يتأمّلون] بحسب تفسير إمام المذاهب الإسلاميّة جعفر الصادق(ع), و آلحكمة آلكونيّة بإتفاق ألحُكماء العرفاء تقول : [لا عِلْمَ مثل التّفكر], بل أفضل عمل في أفضل ساعة من ساعات العمر و هي ساعة السّحر في ليلة القدر الكبرى التي يتحدد فيها أقدار الناس؛ هو طلب العلم, و آلتّفكر ألذي يُعادل 70 عاما من آلعبادة أي بمقدار عمر ألأنسان, و التفكر له قواعد و أصول وليس مجرد الجلوس والسكوت المحدود!

يقول الأمام الباقر(ع): [ألعلم ثلاث درجات, أوّلها تكبّر و ثانيها تواضع و ثالثها؛ علم أنّه لا يعلم شيئاً]. والعلم وحده مهما بلغ لا يُحقّق ألعرفان ما لم يقترن بآلتعبّد والتبتل وآلتواضع والعمل الصالح, حيث قال تعالى: [ما تقرّب إلَيَّ عبد إلا بما فرضته عليه من العبادة, و ما زال يتقرّب إليَّ بآلنوافل حتى أكون عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها].

هذا كله لتحقيق السعادة التي هي الهدف المنشود – أو التي يجب أن تكون الهدف المنشود في وجودنا – لا بد من زرع ثقافة كونيّة عابرة للحدود و الدّول و آلقارات و الأكوان و المذاهب و الأديان و الأحزاب و التخلص من حالة الجمود و التقوقع و آلأجترار الفكريّ و تمزيق الشرانق التقليدية الحزبيّة و الفئويّة و المذهبية و تسوية ألتّراكمات التأريخيّة التي عكستها العقول المتحجرة بإصدارات تقليديّة نتيجة الجّهل و التعصب و عبادة الذّات و تأثير المصالح الخاصة التي عمّقت الأمراض والفقر و الأميّة الفكريّة و الفساد كنتيجة طبيعية للعزوف عن القراءة بعد ما ملأت رفوف المكتبات بآلكتب التقليدية و الرّوايات التي تؤكد في نهايتها زواج العاشق من معشوقه في نهاية المطاف ليلدوا أمثالهم كما تلد الحيوانات و الحشرات ليبدأ و يتكرر التوالد السلبي بلا فائدة عمليّة, بينما الفيلسوف (راسل) يقول: [عليكم بترك الأنسانية خلفكم لا الأنسان, فجميع المخلوقات تعرف كيف تتوالد]!؟

و لتحقيق هذا آلسّفر ألعظيم في رحاب الفكر عبر الأسفار الكونيّة بنجاح تامّ ؛ نُقدم لكم مجموعة من تلك الكتب التي تبحث في المسائل الوجوديّة ألمصيريّة آلتي لم يطرق أبوابها غير (آلعارف ألحكيم) لأجل الأنفتاح الكونيّ في أقصى مدى ممكن و الأندماج في حركة الأفلاك و نغمة الوجود و موسيقى الخلود و معرفة آلحُبّ و الهدف من الخلق والكون وآلأنسان, و بآلتالي التخلص من أن نكون فضلات كونيّة, أتمنى لكم قراءة ماتعة و مُركّزة و واعية لضمان ألسّعادة و الخلود, وذلك بنقل خبراتنا وملامح ولو بعض أسرارنا ألتي عشناها لإنقاذ الناس و آلسّلام أبداً على العاشقين في كلّ زمان و مكان و آن!

كما أتمنى من إخوتي و أبنائي بعد وعيها؛ نشرها إنْ أعجبهم لدرء الشّر وتعميم الفائدة لرضا المعشوق الازلي؟

و هذه هي بشارتنا للمُحبين للحُب و آلفكر الكونيّ عن صفحة جديدة في رحاب الفكر و القلب إنشاء الله لكنها تحتاج إلى المفاتيح المعرفية:

حكمة كونيّة : [الأشجار تتّكأ على آلأرض لتعلوا و تُثمر؛ بينما الأنسان يتّكأ على الحُب و المعرفة ليُبدع]!

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A-%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B2%D8%B1%D8%AC%D9%8A-pdf

ألمفاتيح ألمعرفيّة ـ الكونية

ألمفاتيح ألمعرفيّة - الكونية:

ألمفاتيج المعرفية التي بها ندخل بوابة الكون اللامتناهي يؤدي لأبواب عديدة كمراتب لا بدّ للسالك إقتحامها و دخول أروقتها لمعرفة سرّ الوجود التي معها ينتهي التكبر و العُجب و الحيرة و الألغاز, ففي عصرنا الراهن إزدادت الأمور تعقيداً و إنتشر البلاء و الفتن و الامراض و ماتت قلوب الرّجال كما تموت أبدانهم, (يُمسي فيه مؤمناً و يصبح كافراً و يصبح فيه مؤمناً و يمسي كافراً), و من هوان الدّنيا على الله أنه سبحانه يُجيع المؤمن مع نفاسته, و يشبع الكلب مع خساسته و الكافر و المنافق يأكل و يشرب و يلبس و يتمتع و يحكم و المؤمن ألصّادق يجوع و يُعرى و يُشرّد لحكمة إقتضتها حكمة أحكم الحاكمين!

لكن و بعد عرضنا فيما مضى لعشرات المحن و تفاقم المنكرات و القبائح التي ألّمت بآلبشرية, ترد (أسئلة) مُحيّرة عن سبب الخلق إذن و فلسفة الوجود مع إستمرار الظلم؟ و سنبدء بتلك آلأسئلة الكونيّة التي قد تُفسّر في نهاية المطاف بشكلٍ طبيعيّ سبب خلقنا و وجودنا و محنتنا و مصيرنا:
ألسؤآل ألأوّل : ما هو ألقضاء و القدر و كيف يُعادله الجّبر و الأختيار؟
ألسؤآل الثاني : ألوقوف على شبهات إبليس السّبعة و تشمل البشريّة أيضاً؛ فعندما إعترض الملائكة على إبليس لموقفه السلبي بحسب ما ورد في الكتب السماوية, قال : [إني سلمت أن الباري تعالى إلهي و إله الخلق عالم و قادر و لا يسأل عن قدرته و مشيئته, و أنه مهما أراد شيئا فأنه يقول له (كُن فيكون) و هو حكيم, إلّا أنّهُ يتوجّه على مساق حكمته أسئلةٌ مصيريّة!؟
قالت الملائكة؛ ما هي؟ و كم هي؟ قال (لع) : سبعة :
ألأوّل : إنّهُ قد عَلِمَ قبل خلقيّ أيّ شيئ يصدر عنيّ و يحصل منيّ حتّى نتائجها؛ فَلِمَ خلقني أوّلاً؟ و ما الحكمةُ في خلقه إيّاي؟
ألثّانيّ : إذْ خلقني على مقتضى إرادته و مشيئته؛ فَلِمَ كلّفني بمعرفته و طاعته؟ و ما الحكمة في هذا آلتّكليف الذي لا ينتفع بطاعته و لا يتضرّر بمعصيته, لأنه هو الغنيّ عن العالمين؟
ألثّالث : إذا خلقني و كلّفني فإلتزمتُ تكليفهُ بآلمعرفة و الطاعة, فعرفت و أطعتْ؛ فَلِمَ كلّفني بإطاعة آدم و السّجود له؟ و ما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص, بعد ما علمنا أنه لا يزيد ذلك في معرفتي و طاعتي إيّاه؟
ألرّابع : إذْ خلقني و كلّفني على الأطلاق, و كلفني بهذا التكليف على الخصوص, فإذا لم أسجد لآدم؛ فَلِمَ لعنني و أخرجني من الجّنة؟ و ما الحكمة في ذلك, بعد أن لم أرتكب قبحاً, إلّا قوليّ : [لا أسجد إلّا لله ربيّ]؟
ألخامس : إذا خلقني و كلّفني مطلقاً و خصوصاً فلم أطع فلعنني و طردني .. فَلِمَ طرقني إلى آدم حتى دخلت الجَّنة ثانياً و غررته بوسوستي, فأكل من الشجرة المنهي عنها, و أخرجه من الجنة معي؟ و ما الحكمة في ذلك كلّه بعد أن لو منعني من دخول الجنة لإسْتَرِاحَ بني آدم و بقي خالداً فيها و بآلتالي ما كان يُجرى عليه ما يجري من المحن و البلاء و إلى يومنا هذا؟
ألسّادس : إذ خلقني و كلّفني عموماً و خصوصاً, و لعَنَني ثمّ طرقني إلى الجّنة, و كانت الخصومة بيني و بين آدم؛ فَلِمَ سلّطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروني, و تُؤثّر فيهم وسوستي, و لا يُؤثّر فيَّ حولهم و قوتّهم و قدرتهم و إستطاعتهم؟ وما الحكمة في ذلك وقد خلقهم على الفطرة دون مَنْ يحيدهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين وهو أحرى بهم وأليق؟
ألسّابع : سلمت هذا كلّه؛ خلقني و كلفني مطلقاً و مقيداً, و إذا لم أطع لعنني و طردني, و إذا أردت دخول الجّنة مكّنني و طرقني, و إذا عملت عملي أخرجني ثم سلّطني على إبن آدم أخيراً؛ فَلِمَ إذ إستمهلتهُ أمهلنيّ؟ حين قلت : [إنظرني إلى يوم يُبعثون, قال: فإنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم]؟ و ما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال لكان إستراح آدم و الخلق مني, و ما بقي شرٌّ ما في العالم بعدي؟ ثمّ أ لَيس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من إمتزاجه بآلشّر في دار الذنوب؟

فهذه حُجّتي على ما إدّعيته في كلّ مسألة! قال شارح الأنجيل : فأوحى الله تعالى إلى الملائكة(ع) : قولوا لهُ: [إنّك في تسليمك ألأوّل؛ (إني إلهك و إله الخلق غير صادق و لا مخلص, إذ لو صدقت إني إله العالمين؛ ما إحتكمتَ عليَّ بـ (لِمَ), فأنا الله الذي لا إله إلّا أنا, (لا أسأل عمّا أفعل و الخلق مسؤولون و يُسألون)]!؟
و (إن الذي ذكرته مذكور في التوراة و سطور و إشارات في الأنجيل على الوجه الذي ذكرته)(1).

و الحجج الواردة لو تمعّنا بها ملفوفة في صيغة منطقيّة بتلبيسات فلسفيّة و حجج قويّة, ثم إيراد الأجابة عليها بحجج ضعيفة, وبراهين مهزوزة خافتة ينتهي بآلقارئ إو السامع الحاذق إلى تثبيث وجه الأعتراض في نفسه وتعميق الشك والريب حول الموضوع قيد البحث, و أسوء شيئ يؤثر سلبياً في عقيدة معينة هو الدّفاع السيئ و الضعيف عنه, لأنه يُمهّد لأنتصار المخالفين, و كما حدث للأسباب التي ذكرناها, و ليس هذا فقط, بل تسببت تلك الأسئلة الخطيرة من خلق أقوى حزب مخرّب للبشرية يدعى بحزب الشيطان المدعوم بلا حدود من قبل المستكبرين برعاية دولتهم القائمة وسط الأمة الأسلامية و عبر حكومات العالم , و يعتقد الحزب بأنه كلما نشروا الظلم و القتل و الفساد يزداد قدرتهم و حتى خلودهم, لهذا نرى إن قتل الشعوب بما فيهم الأطفال و العجزة و النساء بات أفضل وسيلة لتسلطهم و خلودهم كعقيدة راسخة, و لذلك نرى حكوماتنا

تسرق حقوق الناس و الأجيال و تقتل بدم بارد و تجتهد بحسب مصالحها في تلك الأموال المنهوبة و تدعي الأنسانية!
و حقاً هي إشكالات عميقة لم يُجب عليها بشفافية سوى (الفلسفة الكونيّة) في مباحث على أساتذة الفلسفة بيانها لزرع العقيدة الكونيّة بين الناس بدل الدِّين القشري الذي فشل في مقاومة الظلم و الشهوات فإنتشر الفساد بين الناس, لأنّ :
- ألأسئلة السبعة و متعلقاتها تدور حول معرفة الحكمة من بيان إرادة الله تعالى و الهدف من خلق الوجود و الخلق.
- ألأسئلة إستفسارية و ليست للمُحاسبة و المحاكمة , فهو ليس من قبيل؛ لِمَ فعلت كذا و لم تفعل كذا وغيرها!؟
حيث جاءت بصيغ إستفسارية من قبيل؛ (مألحكمة من فعلك هذا)؟
و السؤآل المشترك بين تلك الأسئلة يُمكن خلاصته؛ أنهُ لو كان الله تعالى يعلم بأنّ الشيطان أو أي مخلوق تابع له كآلأنسان سيدخل جهنم في نهاية المطاف فلماذا خلقه ليواجه هذا المصير الخطير وهو الرّحمن الرحيم و العادل المطلق كما يُوصف!؟
بل ذهب البعض إلى ما هو أبعد من ذلك متطرفاً بآلقول: بعدم وجود جهنم إطلاقاً لأن حرق الناس و المخلوقات المسكينة التي أتت للدّنيا بلا إختيار و خرجت منها مكرهة و عاشت معذبة؛ لهذا يتنافى وجود جهنم مع صفة الرحمانية والرحيمة جملة و تفصيلاً, و ما جاء في القرآن من وجود لجهنم و سقايتهم من آلشراب الحميم وغيره؛ هو لتخويف الناس لأجل الأستقامة!
و هناك مذهب آخر ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك و هم (المرجئة) بكون الأيمان القلبي مجزئ و مبرئ للذمة حتى لو أطعت الحاكم الفاسد, و هذا ما آمن به واصل بن عطاء بعد أن خالف إستاذه الحسن البصري المعتزلي الذي آمن بآلتفويض و الجبر, و هو و تلامذته يعتبرون أوّل من أسس لعلم الكلام الذي يعادله الفلسفة التي راجت بعد الأنفتاح على الحضارة اليونانية.
فالتوراة و الأنجيل و ما سبقها من كتب يُوعزون ذلك بجواب عام بكونها قدرة الله تعالى ورحمته! و هذا ليس جواباً شافياً و مقنعاً للباحث خصوصا العرفاء و الحكماء بشكلٍ أخصّ! و لعلّ إنهماك الفلاسفة بجميع أصنافهم و مستوياتهم في العهد اليوناني و ما بعده حتى ثورة الرينوسانس؛ كان لهذا السبب .. بعد ما رآوا ضعفاً في تلك الأجوبة التوراتية والإنجيليّة.

و حتى القرآن الكريم لم ينفع للآن لأنهُ لم يُفسّر تفسيراً موضوعيّاً منصفاً و كاشفاً؛ رغم إنهُ ضمّ بين سوره وآياته الأجابة الحقّة الكاملة على أسئلة إبليس و جنده, و على كل ما أشكل عليه أبالسة الشّر من ملاحدة وشكاكين و أعداء الادب والأيمان.
و أجوبة القرآن على ذلك يولّد في نفس الوقت الأطمئنان في القلب و ينور الطريق أمام السالكين ويبرهن على عظمة وعدالة الله المطلقة لدرجة حقّ اليقين بعد علم و عين اليقين, و أساس التضليل يكمن في شبهة إبليس الواردة في الشبهة الرابعة بقوله: [فإذا لم أسجد لآدم فلم لعنني و أخرجني من الجنة بينما أثبتتُ لله بأني سيّد الموحدين؟ و ما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلا قولي : (لا أسجد إلّا لك)]؟ وإن ألقرآن و كما بيّنا في (الفلسفة الكونية العزيزية) قد أجاب و فصّل الكلام على:
1- ألحكمة من خلق الله تعالى لإبليس كمصدر للشر.
2- سبب تكليفه بآلسّجود لآدم (ع).
3- ألحكمة أو سبب خلق آدم (ع) و أبنائه.
4- ألحكمة أو علّة تمكين إبليس من الوسوسة له في الجّنة.
5- ألحكمة من إنظار إبليس أو إعطائه الفرصة إلى يوم يُبعثون.
6- ألحكمة من إعطاء الله القدرة لإبليس و سائر الشّياطين للوسوسة لآدم و أبنائه و الأيعاز لهم بآلشّر.
7- و أخيراً ألحكمة التي لأجلها أَذِنَ الله تعالى بوقوع الشّر في آلحياة الدّنيا بعد رفض إبليس السجود.
حيث ردّ الباري تعالى دعوى إبليس و مَنْ تبعه بحسب ما جاء في القرآن, بكون: [إبليس لم يرفض السّجود لأنهُ إختار أ لَا يسجد لغير الله, كما يدّعي جنود إبليس اليوم بكونه(لع) لم يسجد لإصراره على التوحيد, بل بيّن تعالى حقيقة كبره و إستعلائه على آدم(ع) و حقده عليه حتى جعله يرتكب المعصية, فعليه ألمعصية كانت ذاتية و ليست شيئا خارجا عنها, و صفة ألتّكبر و العلوّ وحُبّ الرئاسة و الظهور دوافع خطيرة تلازم النفوس في حال عدم ردعها و تهذيبها بقوّة على الدّوام وقد أشار الباري بقوله: [و إذا قلنا للملائكة إسجدوا لآدم, فسجدوا إلّا إبليس أبى و إستكبر و كان من الكافرين](2).
و هذا واضح أنّهُ لم يقل؛ [لا أسجد إلّا لك يا إلهي], و الدّليل على ذلك قوله تعالى في موضع آخر؛ [ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثم قلنا للملائكة إسجدوا لآدم, فسجدوا إلّا إبليس لم يكن من الساجدين, قالَ ما منعك أ لا تسجد إذ أمرتك, قال: (أنا خير منه, خلقتني من نار و خلقته من طين)](3).
لهذا فآلعلّة كانت من نفس إبليس ألمتعالية الرافضة للإقرار بآلأفضلية لآدم عليه السلام, و قد شهد إبليس على نفسه في موضع آخر عندما سأله الله عز وجل, قائلاً: [يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي , إستكبرت أم كنت من العالين, قال: أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين](4), إن تلك الكذبة أصبحت في مجال الفكر البشري حجر الزاوية في الضّلالات و الشّبهات التي ينسجونها حول مسألة القضاء و القدر و مسألة الجبر و الأختيار, لأنها تتضمن زعماً خطيراً أثّرَ سلبياً في التفكير البشري, و ذلك أن إبليس عندما امره الله بآلسجود لأدم وُ ضِعَ بين أمرين متعارضين: إنْ أطاع الله في إحداها أصبح عاصياً له في الآخر فآثر أ لَا يسجد لآدم إبقاءاً على توحيده لله تعالى بينما يعلم أن مصيره النار, ثم يبدو إبليس – حسب هذا الزّعم كاذب – و إن بدى في موقف البطل المأساوي أو شهيد التوحيد المظلوم, و بآلمثل يحاول الكفار و الفساق أن يصدروا

أنفسهم في مثل موقف إبليس المزعوم, فيزعمون أنّهم حينما يعصون الله تعالى في مثل موقف إبليس المزعوم, فيزعمون أنهم حينما يعصون الله تعالى يكونون – حسب زعم الجبريّة – خاضعين للأمر والقدر الإلهي الذي لا يحدث شيئ في الوجود إلا بمقتضاه, و مع ذلك فإنّ هذا الجّبر و ما قدّره الله تعالى عليهم يتعارض مع الأمر الشرعيّ ألمُتمثل في التكاليف النازلة بآلوحيّ, أيّ إنّهم يزعمون أنّ الله يكلّفهم بتكليفيين مُتعارضين و يأمرهم بأمرين متناقضين , كما هو الحال بآلنسبة لإبليس , و في هذا التعارض تكمن علّة مأساة الأنسان في نظرهم القاصر, لقد كان لهذا الزعم الكاذب تأثير كبير على إنحراف الفكر البشري في شتى مناحيه, و بخاصة في مجالي الأدب و الفلسفة و إختيار النظام الأجتماعي الأمثل للتحكم بحياة البشريّة.
و الموضوع ألأهمّ بعد هذا العرض و الذي يجب بيانه بوضوح هو حقيقة وعلّة خلق الله للخلق, لأنه السّؤآل المحوريّ الذي يُراود كل عقل واع و منفتح و يؤسس لعقيدة راسخة لا يمكن للمال أو الشهوة أو السلطة إزالتها, و لا يوجد جواب قاطع بحسب فلسفتنا الكونية العزيزية سوى (العشق) ألّذي أشار لهُ الباري تعالى في حديث قدسيّ بقوله :
[كنتُ كنزاً مخفيّاً فأردت أن أُعرف فخلقت الخلق], إذن أحد أهم محاور الوجود هو آلعشق الذي لا يُولد إلا بعد معرفة الجّمال!
ختاماً؛ هناك ثلاثة ركائز محوريّة لتفسير الوجود, و الحكمة من خلق الأنسان و آلأكوان وهي: [ألجّمال و العِلم و عمل الخيرِ] و بمعرفتها يتحقق خلودنا بعد نجاح الأسفار(5) للوصول إلى الله كفصل من كتاب [الطبابة الكونيّة] إنه هو الرّحمن الرّحيم. و الشافي و المعافي من كل داء و سقم .. و هو الطبّ الكونيّ - ألرّوحي الذي لا يحتاج للأقراص و الحقن و العمليات الجراحيّة ألتي تجرى في الأبدان, ولا سبيل لها في الروح التي هي من أمر الله تعالى, فما هو الطب الكوني أو أسفار الروح؟

---

(1) ألشّهرستاني : ألملل و النّحل , تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل – نشر مؤسسة الحلبي/القاهرة, ج1 ص14.
(2) سورة البقرة/34.
(3) سورة الأعراف/11 و 12.
(4) ص/75.
(5) هناك حديث يقول : [ألطرق إلى الله بقدر أنفاس الخلائق], و هذا صحيح لكون كل إنسان له تجربته الخاصة للوصول, لكن هناك تجارب مشهودة لعرفاء و حكماء لا بدّ من معرفتها لكونها مفاتيح معرفية لا يمكن الإستغناء عنها.

ألطّب الكونـيّ أو أسفار الرّوح

ألطّب ألكونـيّ أو أسفار ألرُّوح :
ألطب آلكونـيّ يتحقّق بأسفار ألرّوح ؛
مُقدّمات و وصايا واجبة لإجراء آلطب ألكونـيّ :

خصوصيات القدرة الخارقة للضمير ألّلاواعي و كيفيّة التعامل والأستفادة منهُ في الطبابة الكونيّة؟

قبل آلبدء بتفاصيل هذه الحلقة لا بُدّ من بيان أمور هامّة يجب التركيز و الوقوف عندها, من قبل ألمثقفين و الباحثين, و هي:
أولاً : همساتنا صدى للمعرفة و عناوين لـ (فلسفتنا الكونيّة) التي تُمثّل ألمرحلة آلسّابعة و آلأخيرة لقصّة آلفلسفة آلتي بدأها آلأنبياء ألسّماويّون وآلأرضيّون بدءاً بآلفلاسفة السبعة القدماء ثمّ أوغسطين كأنبياء أرضيّون و بسيدنا آدم(ع) و من بعده أكثر من 124 ألف نبي سماويّ و ختمناها بآلفلسفة الكونيّة العزيزيّة لتكون نظاما للكون بإذن الله لنجاة ألعالم والمخلوقات.
ثانياً : فتح المزيد من المراكز و المنتديات الفكرية و الثقافية من قبل الباحثين و المفكريين إن وجدوا لنشر الثقافة التي وحدها تستطيع دحر الجهل و الفقر و الظلم.
ثالثاً : النقطة المركزية في (الفلسفة الكونية) هي أنّ معرفةَ الأنسانُ الجوهرّية (ألجانب آلأنساني) خصوصاً .. و العَرَضيّة (ألجانب ألبشري) عموماً .. يُعْتبران من أكبر و أعقد أسرار الوجود و التي على كل باحث و مفكر معرفتها بدقة كون هذا آلمخلوق ألمجهول ألمُعقّد التفكير و آلتكوين و التّركيب - ألّلوِلَبُ و آلمحورُ الذي وُجِدَ لأجلِهِ آلوجود - على الأقل في مدار الدّنيا التي فتحنا فيها أعيننا لنحيا فيها, و لكن لمرة واحدة للأنتقال إلى الحياة آلأبدية, فبمعرفتهِ تتلاشى أمامنا جميع آلمعارف و العوالم و العلوم الأخرى خصوصاً الطبيعية منها و تصبح لا شئ في مقابلها , و نحنُ لا ننكر من وجودِ عَوَالمَ و مخلوقاتَ أخرى في مراتب و أطوار مُختلفة تضمّ أنواعاً عديدة و مُتنوعة لم يَحْصَلَ البشر على معلومات كثيرة عنها سوى ما وَصَلَنا من تحقيقاتٍ و حوادثَ ضُبطتْ خلال القرن الماضي من قبل عُلماء الفضاء في مركز ناسا الفضائي في كليفورنيا بأمريكا, بجانب سعة الكون و ُطرقه و مدى عظمتهُ, حيث لا نعرف عن مداراتهِ و مجراتهِ و حجمهِ سوى القليل, و قد أخبرنا القرآن بوجود مخلوقات عديدة في بعض آلإشارات آلواضحة, و منها ما جاء في سورة آلإسراء آية 70 : (... و فضّلناهم على كثيرٍ مِمّنْ خلقنا تفضيلاً) مُدلّاً تعالى بذلك على تفضلينا على الكثير من مخلوقاته ألكثيرة –و ليست كلّها - و التي تتقاربُ و تتداخلُ الكثير منها في تكويناتها و هيئتها الظاهرية معنا نحن البشر و الله الأعلم.

لذلك فأنّ تلك المعرفة (معرفة الأنسان) ليست قليلة أو سهلة, و لو وقفنا عليها و لو لبعض الحدود قدر المستطاع ستجرّنا لمعرفة أعلى تختزن سرّ الوجود .. و بالتالي سرّ الله تعالى ألمكنون, أو على أقل تقدير نتعلّم كيف يتعامل بعضنا مع البعض الآخر؟ خصوصاً مع عوائلنا و أبنائنا و شُركائنا و أنفسنا قبل كل ذلك!

و قد أشار عارف حكيم كبير بحسّاسيّةٍ مُرهفة في و قفةٍ عملاقةٍ, لذلك السّر الكبير, رغم عدم تصريحهِ و بيانهِ للمغزى و التفاصيل بالقول :
[أنا في حَيْرَةٍ .. كيف أنّ سرّ الله الذي لم يُبْح بهِ العارف .. قدْ سمعهُ بائعُ الشراب .. تَعَالَ أيّها السّاقيّ .. ألعشق يُناديكَ عالياً ؛ أنّ الذي أباحَ قصّتنا قدْ سمعها هو آلآخر منا].

إن آلأنسان يحوي سرّ الله تعالى و جماله في باطنه, لذلك .. فمعرفتهُ تعني ؛ معرفة مُعظم أسرار الوُجود, إنْ لمْ نقل كلّها. و السؤآل آلأهمّ و آلأكبر للذين يُريدون معرفة الحقيقــة أكثر هو :
لماذا ألعثور على الذّات، و اكتشافها، تتطلب اكتشاف العديد من الدروس والوصايا؟
لماذاعلى إنسان تحمّل مسؤولية إنسانيته و إبتكار هويته الخاصة؟
و هو معرفة لماذا خلق الله الكون و الأنسان و كما أشرنا؟
و هلْ كانَ بإمكان الله تعالى أنْ يخلق أفضلَ منَ الأنسان؟
و لو كان بإمكانهِ و هو - الخلّاق العظيم, فلماذا لم يفعلْ؟
و إذا كان (الأنسان الكامل) هو آلأفضل لأنه خليفة الله في الوجود, فما هي مُواصفاته, خصوصاً في هذا العصر المجنون؟
و ما هي تلك المواصفات الكاملة التي تفضّله على الكثير من المخلوقات الألهية؟

هل هو الجَّمال الظاهري(البدني)؟ و يستحيل ذلك؟ كونه يلغي التنافس العادل و الشريف للفوز بالدرجات العلا يوم القيامة, كون الأنسان نفسه لا يتدخل في تحديد هذا الأمر, من جانب آخر هناك مخلوقات أخرى تفوق بجمالها أضعافاً ملكات جمال العالم.
هل هو حجم الجسم؟ و هذا لا يمكن ان يكون لأنّ هناك الكثير من الحيوانات التي سخرها الله لنا أكبر حجماً منا عدة اضعاف!
هل هو المال أو الرئاسة؟
و هذا بلا شكٍ من سابع المستحيلات, بل إن صاحب المال والسلطة و المقام يكون ممسوخاً قلباً و قالباً و حسابه عسير جداً و صعب و مُرّ يوم القيامة, حيث سيُسئل عن كل قرش و صغيرةٍ و كبيرةٍ, و اين صرف أمواله و بماذا سخّر رئاسته و قدراته وقرارته و نتائجها .. و يُسأل عن جميع المظالم التي وقعت في دائرة سلطته, بل أعتقد يدخل من يرزقه الله ذلك ضمن الأبتلاآت التي يبتلى بها الأنسان في حياته ليرى ما يفعل هل هو خيرٌ أم شرّ؟

و الامرّ من كل ذلك, هو: محاكمته على تسلمه لتلك المهام و المسؤوليات بينما كان هناك من هم أولى وأعلم و أتقى و أقدم, و هنا تكمن المصيبة العظمى يوم القيامة, و قد نبّهنا الباري عن طريق الأنبياء و الأئمة على ذلك تفصيلاً.
و هكذا كثرة الأبناء والعشيرة, ليس فقد لا أثر و لا مكان لها في المعيار التفاضلي الألهي بل سيكون على الجاني حساباً عسيراً لعدم تربيتهم و هدايتهم للطريق القويم لأنشغاله بشهوات نفسه, بحسب ما دلت و أشارت لذلك آلروايات والأحداث التأريخية, ليكون المعيار التفاضلي الوحيد هو التقوى, الذي يختصّ بضمير و جوهر الانسان, و هنا بيت القصيد كما يقولون!
فهل هو طيبة و جمال الضّمير(ألّلاواعي) الذي نحن بصدد معرفته و دراسته, و هذا هو الأحتمال آلأكبر بتقديرنا؟
فالعقل الظاهر (الواعي) لا يمكن أن يكون المعيار التفاضلي بين المخلوقات كما إعتقد ذلك كل الفلاسفة و الأئمة, و لو كان كذلك لفازت مخلوقات من أصناف أخرى على الانسان, كالنملة على صغر حجمها لكن قدرتها العقلية و حتى الجسمية النسبيّة تفوق على ما موجود لدى الأنسان بعشرات الأضعاف.

و العلم كذلك لوحده لا يمكن أن يكون المعيار التفاضلي بين المخلوقات, و لو كان كذلك لكان الشيطان هو الفائز و المتقدم الأول وآلأفضل على جميع المخلوقات بلا مُنازع لما يَمْلكَه من العلم والقدرة والسلطة على الناس؟ لكنّ عِلمه ذاك لم ينفعهُ يوم لم يستطع كبح جماح التكبر في نفسه للسيطرة عليها أمام خالقه العظيم القادر المتعال فإستأسد ضميره الباطن بتكبرٍ وعلوٍ مخالفته لأمر الباري؛ مُسْتدِلّاً بأفضليته على الأنسان بلا حق, كونهُ مَخلوقٌ من نار! فلماذا النار أفضل من التراب؟
أَ ليست السموات و آلأرض و المجرات التي نعيش عليها كلها مُكونة من التراب الذي يحوي العناصر الكيمياوية المختلفة؟
و أ لسنا نعيش اليوم بسبب الرزق الذي يخرجه الله تعالى من هذه الأرض؟
لا أدري كيف إستدل الشيطان بذلك و هو قد وصل إلى مرتبة علميّة دون الله بقليل؟ لكنه لم يهذب نفسه و ضميره الباطن رغم كل ذلك العلم و القدرة و حتى العبادة التي كانت يمكن أن تفيده لو كان قد تسلح بآلأخلاق و الادب, حيث يقال بأنّه عَبَدَ الله تعالى أربعة آلاف عام و ما نفعه, كما ورد في نهج البلاغة؟
و لذلك كلّه فإنها لخسارةٌ كبرى أن يأتي أحَدَنا إلى آلدنيا ثم يُغادرها و هو لا يعرفُ من أسراره و من أسرار الوجود شيئاً, أو حتى عن نفسهُ, فيصاب بأنواع الامراض النفسية و البدنية و الروحية التي علاجها الأمثل يكون في الطبابة العرفانية الكونية.

في هذه الحلقة نريد التركيز لتبسيط معرفة تلك القدرة المعرفية الباطنية ألخفية, و إسلوب اللقاء و طرق التعارف مع الضمير اللّاواعي المُستوطن في جوهرنا لأنهُ هو الأنسان لا غير, و على أساسه يكون قادراً لبدء الأسفار و يتمّ التعامل معه يوم القيامة بناءاً على ما قدمه إنْ شراً أو خيراً, و بالتالي طريقة و إسلوب و كيفية تحرير تلك القدرة العظيمة آلإلهية ألمُكبّلة بأكوامٍ من الذنوب و آلجّهل و الظلامات, لتفعيلها و إستثمارها, حيث ستمكّننا من إضافة قدرة عظيمة و خارقة في وجودنا, و التي عند آلإرتكاز عليها .. نُحقّقُ في وجودنا ألسلامة و النشاط و آلأبداع و السعادة و العلم والأمان و المحبة و الثروة لتكون طوع أيدينا و بخدمتنا.

إنّ تلك القدرة ليست بعيدة عن مُتناول أيدينا, بلْ هي بأيدينا .. بداخلنا, كلّ ما يتطلبُ الأمر ؛ هو آلسعي لكشفها و فهمها و تعلّم كيفية إستخدامها و الإستفادة منها في جميع آلأزمان و الأتجاهات و التخصصات في آلزّمكانيّ ألمناسب.

أما العقل الظاهر (الواعي) فقد أشرنا لهُ في حلقاتٍ سابقةٍ, و هو بمثابة الكشّاف و السائح و المُحاسب في القوانين و الوقائع و العلوم و المنطقيات و آلأمكنة و آلأشياء لضبطها و معرفتها و دراستها مُستعينةً بالحواس الخمسة المعروفة على تحقيق ذلك – اي إنها تستأنس بالماديات و آلأرقام, و لو أردنا آلأستفادة من طاقته القصوى عملياً و بكفاءة عالية فإنه يحتاج إلى التوفيق بين إرادتنا و محبة البشر و خدمته, بعد التصميم على ذلك عبر تهيئة الأجواء و المقدمات آللازمة للتركيز على العقل

الباطن (ألّلاواعي), كي نجعلهُ واعياً حراً يقضاً لإصدار التقريرات النهائية والتي سرعان ما تتجسد عملياً عبر سلوكنا اليومي التفصيلي بعد سلسلةٍ من التحقيقات والدراسات المعقدة مع آلكشف و التدقيق و التمحيص من قبل العقل الباطن (اللّاواعي) لما ورد إليها عن طريق العقل الظاهر بمعاونة الحواس الظاهرية, و هذا ما إصطلحنا عليه في بحوث سابقة بكلام القلب و ليس اللّسان أو العقل ألظاهر ألمُجرد.

إن مأخذنا على الغرب و بعض الشرق يأتي من هنا, ففي الوقت الذي حقّقوا نجاحات باهرة في مسير العقل الظاهرَ – خصوصاً بعد منتصف القرن الماضي - فصنعوا به الذرة و الكومبيوتر و الصاروخ وغيرها, لكن و بسبب إهمالهم للعقل الباطن (الضمير) أو (آلوجدان) الذي وحده يمثل حقيقة الأنسان؛ إنقلبت الأمور عندهم و تشابكت القضايا الأنسانية و إخْتلّت الموازين آلأجتماعية خصوصا العائلية و قوانين العدالة و الشرف و آلكرامة لديهم إلى الحدّ الذي بات معها الأنسان الغربي أسيراً و خادماً للتكنولوجيا و الثروة التي يتحكّم بها أصحاب البنوك و الشركات .. بَدَلَ أنْ تكونَ التكنولوجيا و الثروة في خدمتهِ, فأحدث هذا التوجه الخطير في الجانب آلآخر من الأنسان خللاً كبيراً و عميقاً في التوازن بين البُعد البشري (المادي) و بين البُعد الأنساني (الوجداني) في الشخصية و في المجتمع آلغربي.

بالمقابل ليس المجتمع الشرقي بأفضلِ حالٍ من المجتمع الغربي, بل للأسف الشديد حالهم أسوء بكثير من أهل الغرب, كونهم فقدوا البُعدين معاً في الحياة بسبب تعاطيهم الخاطئ مع أهداف الدين الأسلامي و أصوله من جهة, و تخلّفهم عن ركب المدنية الحديثة من الجهة الأخرى بسبب التطاحن و الحروب و آلأزمات, بينما كان يُفترض بأهل الشرق خصوصاً مراجعهم الفكرية و الدّينية و حكوماتهم أنْ يتعاطوا مع الفكرالأسلامي بطريقة أخرى, و بخلاف ما هم عليه الآن كون آلأسلام يختزن النظام الأجتماعي الأصلح وآلأمثل للحياة لأنه من خالق الخلق و هو أدرى به من الجميع.

و رغم إلتفات علماء الغرب إلى ذلك ألخطأ الكبير في المنعطف آلأجتماعي و السياسي خصوصاً بسبب ما نتج من المشاكل الأجتماعية و العائلية و الأمراض النفسية و الجسدية بين المواطنين الغربيين, إلّا أنّهم باتوا شبه عاجزين على إيجاد حلٍ جذريّ لتلك الأزمات, لأن الخطأ ليس في النتائج بل في النظام آلمُتّبع نفسه, هذا مع إزدياد الهوة مع تقادم الزمن و بإضطّراد, بين التقدم العلمي التكنولوجي المادي و بين البُعد الأنساني و العلاقات الأجتماعية.

و الجدير بالذكر, و مع كلّ هذا أنّه حتىّ العقل الظاهر(ألمُخ) لا يَسْتَفيدُ منهُ البشر إلاّ بنسبة قليلة جدّاً, فقد بيّنت الدّراسات الحديثة بأنّ الناس عموماً يستخدمون بين واحد إلى إثنان بالمائة من الطاقة العقلية الظاهرية لديهم, و إنّ آينشتاين و أمثاله فقط من إستخدم ما نسْبَتهُ بحدودِ ثلاثة بالمئة و نصف من الطاقة العقلية الهائلة, و مع إنّها نسبة مئوية ضئيلة جداً إلّا أنّه إستطاع بذلك القليل كشف الكثير من القوانين الطبيعية و الفيزيائية المعقدة كالنظرية النسبية ألمعروفة لآينشتاين, أو قانون الجاذبية لنيوتن و غيرها.

أمّا بالنسبة إلى رجال الله من الأنبياء و المعصومين وآلفلاسفة آلكونيين فالأمر يختلف معهم, حيث تمّ التعامل من قبلهم مع العقل الباطن بجانب العقل الظاهر بنسبة توافقية عالية نسبيّاً, لذلك تمكّنوا من أداءِ دورهم بأمانةٍ و إخلاصٍ و ذكاءٍ عندما بيّنوا بوضوح و يُسر آلأصول و القوانين الصحيحة لحياة الأنسان و هدفه في الوجود من خلال تقريراتهم و بُحوثهم و بغضّ النظر عن إعْمالِها أو عدم إعْمالِها من قبل المُسلمين, أو غيرهم لنسيانهم لأنفسهم ألمتمثلة بـ(ألضمير – سيرتهم الباطن) و جهلهم بها, و تسلّط الطواغيت عليهم دوماً ألذين يسعون لتجهيلهم وإبقائهم في وحل الأمية الفكرية.
و تجدر آلأشارة إلى أنّهُ لم يستطع تطورالزمن ولا التكنولوجيا ولا الفكر الأنساني آلغربي بكلّ إتجاهاته, و رغم مرور مئات السنين على نهضتهم من تخطئتها و لو بنسبة قليلة أو ضعيفة, ناهيك عن عجزها من إيجاد قوانين أفضل منها تُناسب فطرة الأنسان و تُسعدهُ و تحفظ كرامته و شرفهُ, و ما تمّ من بعد الرسل والأنبياء والمعصومين من إضافة بعض القوانين و الرؤى ألمستحدثة في المجالات الأجتماعية و التربوية الأسلامية الحديثة من قبل بعض المفكرين آلأسلاميين, إنّما كانت مُجرّد إضافاتٌ طبيعية و حاجات عصرية لتطور الفكر البشري و إزدياد نفوسهم ممّا أدّى بشكل طبيعي إلى تنوع العلاقات و التأثيرات و تشابك المصالح و تعقد السياسات بين بني البشر و الجماعات و الشعوب و الحكومات ممّا فرض تلك آلاضافات والملاحق والدراسات لمواكبة التقدم البشري.
و سنُبيّن في الفصل القادم أسفار ألعرفاء الحُكماء الذين فتحوا لنا آفاق المعرفة و سبلها, و حريٌّ بنا ذلك فقد فات على وقوعها قروناً و نحن للآن ما زلنا نسعى و نغذي و ندور حول جسد سيتعفّن و سيبلى بعيداً عن أسفار ألرّوح التي ستخلد.

ملاحظة: قبل أعوام قال لي صديقي المرحوم البروفسور يوسف مروّة الذي عمل مع منظمة ناسا الأمريكية للفضاء, معلقاً على فلسفتي الكونيّة و آلنظرية العرفانيّة ؛ [كتاباتك رائعة و عميقة و شافية لكل العالم لكن العرب لا يُحبّون و لا يقرؤون مثل

هذه المقالات لأسباب معروفة , كما إنها بحاجة إلى مقدمات و ثقافة و فكر و هذا أساساً مفقود في أوساطهم و كما تشهد أعمال حكوماتهم و أحزابهم و منظماتهم و حكوماتهم و جامعاتهم], لكني لم أوافقه كثيراً رغم دقته لأنه كان عالماً فريداً خصوصا في القسم الأول من تعليقه و إن كان محقاً في أكثره و الدليل نشركم أيّها الأحبة المسؤولون عن المواقع و تأسيسكم للمنتديات الفكرية لدراسة الأفكار الكونية الجديدة لنجاتكم من الجهل و المرض و آلمحن, لأن الأنسان ليس بطنا أو ما يخرج منه كما ليست شهوة ماديّة فقط .. بل هو روحاً و فكراً قبل كل شيئ, لهذا يجب معرفة كيفيّة بناء الفكر أوّلاً للحفاظ على الروح.

ألبناء الفكري أوّلاً

ألبنـاء آلفكريّ أوّلاً:

قد يكون الأنسان إستاذاً أو متخصصاً في علم من العلوم ؛ لكن لا يمكن أن يكون منتجاً للفكر ثمّ فيلسوفاً كونيّاً أو عارفاً حكيماً(1) من دون المعرفة الكونيّة التي يحصل عليها بآلقراءة و البحث و المطالعة و التفكّر العميق و خوض التجارب و الرياضات مقروناً بآلتقوى لإنتاج العلم من أصوله و منابعه الغيبيّة و ألذاتية ثمّ آلتربيّة و التعليم و الأعلام الذي يشرف و يؤثر عليه ماهيّة النظام ألأجتماعي ألحاكم و بآلتالي لا يُمكن للأنسان بناء القواعد الفكريّة ألكونيّة كمقدمات لتفعيل دور الخيال لأنتاج العلم و تفعيله عبر البرامج و السياسات التي نبني بهاالحضارة و المدنيّة؛

ما لم يكن بشرطها و شروطها و النظام العادل من أهم شروطها, لذا تقوية و تفعيل دور الخيال, الذي يتغذى من خلال آلبصيرة أو العقل الباطن؛ هو آلأهم في وجود الأنسان و سعادة المجتمع!

فكيف نبني ألفكر أوّلاً لنُمهد إلى بناء الرّوح و سلامته؟
و ما آلموانع التي تُضعف ألفكر ثانياً ثمّ الرّوح؟
و ما آلفرق بين آلفكر و آلرّؤيا و آلخيال ثالثاً؟

و إليكم كيفية بناء الفكر و تحصينه بآلمبادئ الكونيّة:
بداية .. يجب التفريق بين (الفكر و الخيال) .. لنكون على دراية بذلك لبحث و تركيز العلاج الكونيّ ليس فقط للشفاء من الأمراض الرّوحيّة و النفسيّة و الجّسديّة ؛ بل للأنتاج العلميّ و لبناء الحضارة و المدنية أيضاً.

يعتقد البعض غالباً ما بسبب الخلط و التشابه الظاهر بينهما ؛ أنّ (الفكر) يُقابل (الخيال), و هذا ليس صحيحاً, بل هناك زاوية كونيّة - فنيّة تُحدّد المعنى و المسافة و الوظيفة بينهما, و يجب أن يكون مفهوماً مع الاختلاف, و يشير الفكر إلى الانطباع العقليّ أو العملية العقليّة التي لا تزال تحدث ما لم يتمّ التحكم فيها, من ناحية أخرى الخيال هو التفكير الطوعي الذي يتمّ بَذلَهُ من قِبل مُحاولهِ الذي عليه أن يبذل جُهداً كبيراً لتخيّل ألأشياء, إما جبراً أو تفويضاً و بسلاسة, و يُمكن القول بأنّ (ألخيال) هو التفكير القويّ المركّز بعد تجميع جزئيات الأفكار إلى قوالب و نظم و مناهج خياليّة, و كما يتمثّل في خيال شخص إعتقد بقوة أنه يطير في السماء, أو كآلتي إعتقدت بأنها تعيش في قصر كبير, أو كآلمهندس الذي يتصوّر بناء مجمع سكني أو مستشفى نتيجة المقدمات الفكرية التي جمعها, المهم ألظاهر هو أن نلاحظ أن الخيال يجب أن ينتهي لنهايته في وقت ما بنتاج عملي يظهر على سلوك أو عمل أو إنتاج أو بناء معيّن.

الأفكار تحدث و تتراكم و تستمر قبل ولادة الجنين و فترة الحمل و حتى إكتمال النمو بعد الولادة و تتم السيطرة عليها – الأفكار - تماماً من خلال التخيّل الذي يعكسه صاحبه لفعل أو مظهر أو سلوك إو إنجاز أمرٍ مّا.

لهذا نرى آلحكماء دائماً يبذلون قصارى جهدهم للسّيطرة على أفكارهم و تقويتها و إستقامتها لتحويل مجرد الفكر (الفكرة) إلى محيط الخيال الخصب ليظهر و يُخلق كواقع نستفيد منه في نهاية المطاف بشكل عملي بعد تحويل النظريّة إلى إنتاج علمي ثم لعمل إيجابي يُفيد البشرية جمعاء.

و قد يكون التفكير أو مقدمات التفكير مبنيّاً على أسس خاطئة و غير عادلة أو إنسانيّة؛ و في هذا الحال يكون الناتج سلبياً بعكس الأول .. لينتهي بصاحبه إلى الفساد و القتل و العنف و الشقاء و الوباء, لهذا نؤكد على البناء الفكري أوّلاً, و يبدأ قبل ولادة الأنسان في الرحم و في مرحلة الحمل ثم الولادة حتى نشأة الطفل التي يجب أن تكون على ثلاث مراحل؛

في السنوات (ألسّبع الأولى) يجب أن يكون فيه الطفل كآلملك يحكم ويفعل ما يشاء و تعطى له الحريّة الكاملة مع حفظ سلامته يرافقه تعليم الأولويات و أسماء الأشياء و هي مرحلة (الروضة).

في السّنوات (السّبع الثانيّة)؛ يكون فيه تلميذاً يتعلّم من المعلمين و المربيين و الأبوين خصوصاً قوانين الحياة الأساسية في التعامل و العشرة و الآداب و غيرها.

في السنوات (ألسبعة الثالثة) يكون فيه وزيراً يُكلّف ببعض الصلاحيات لأنجاز أعمال خاصة بشؤون العائلة و المحيط برعاية و هداية الأبوين و المربيين ليخوض التجارب, و يكتمل عنده الأسس الفكريّة لدخول المجتمع.

كيفية بناء ألفكر :

بما أن الفكر يمثّل أصل و حقيقة وجود الأنسان .. لذلك لا بُدّ من الأعتناء به أكثر و الدقة في رعايته أكثر حتى من الجسد و باقي المهمات في الحياة, لانه الأصل و الأساس الذي يحدد قيمة و مصير البشرية, فكيف نبني الفكر!؟

في البناء العادي الذي نستخدم فيه الطابوق و الطين و الأسمنت و الجص و الحديد و الألمنيوم ؛ هناك مسألة هامّة يلتفت لها بعض الأذكياء ألمُرفّهين ألميسورين و من البداية قبل و أثناء بناء الأساس (Basis) و هو وضع مُضادات كيمياوية و سموم قاتلة للديدان و آلحشرات الضارة و (العث) مع طلاء الأساس بالقير و مواد بلاستيكية مقاومة لحمايته من النخر و الحفر و الدمار و الرطوبة و التكلسات المحتملة بمرور الزمن, و هذه الأحترازات و إن كانت مكلفة قليلاً .. من شأنها إدامة و حفظ عمر البناء لأكثر من قرن كإستندارد و كحدّ أعلى لعمر البناء وهو مستخدم الآن في أكثر بلاد العالم التي تتبع قوانين العلم, و صاحبه – أي الباني - لا يبدل مثل هذا البيت (البناء) ألمُحصّن حتى بـ (آلبنتاكون), لعلمه بتفاصيل الأساس و البناء و الديكورات الجميلة التي أختارها, فيستمر معه و يعيش فيه كل العمر.

هذا الامر يصحّ أيضا في البناء الفكري إلى حدّ بعيد, أي بناء ثقافة مركزة في ضمير الأنسان و عقله الباطن, فكلما كان البناء محصّناً بآلبراهين و مقاوماً؛ كلما كان صاحبه أبعد مدى و نظر, و بآلتالي مركزاً للخير و العطاء و الأنتاج العلمي الذي هو أعلى و أرقى منتوج, لذا يجب أن نراعيه حين نريد بناء عقول أبنائنا الذين هم أنفسنا و هذه أكبر و أكثر صعوبة و حساسية و إرهاقاً من البناء المدني و العمراني و التكنولوجي .. لان التعامل مع الفكر ليس شأن الجّميع و لا يشبه التعامل مع الحجر و الحديد و الحساب و التكنولوجيا التي تحددها قواعد محدودة و معلومة!

ماذا نعمل للفكر ليهبنا آلسّعادة؟

هناك طبقة خاصة مِمّن أحَبّهم الله - و هذا بحدّ ذاته سرّ و كرامة بين (العاشق و المعشوق) لا يصلها و لا يعرف كنهها و قوانينها و كيفية خوضها حتى الأكاديميون و آلعلماء و المراجع ناهيك عن العوام - و العرفاء وحدهم و بعد عبورهم مرحلة الأجتهاد و الفتوى و ما إلى ذلك؛ إنهم وحدهم يعرفون سرّ ذلك و مسالكها بسبب الفيض الكونيّ الذي يلازم الأخلاص ثمّ التسديد الإلهي الذي يتحقق بعد تحقق العشق في وجودهم فيراعونها و يواضبون عليها لأنهم يعرفون قيمتها و دورها و عاقبتها في سعادة الأنسان, لذلك فإن هذا المقال يعني أؤلئك الذين يعرفون قيمة الوجود و العلم و الفلسفة و العرفان و الفرق بينهما .. أيّ الفرق بين (العلم و الثقافة) عموماً, و بين (العلم و الفلسفة) من جهة, و بينها جمعياً و بين (العرفان و الحكمة) من الجهة الأخرى, و قبل هذا كلّه قيمة و معنى (الحُبّ) و دور و قوانين الجّمال الذي بدونه نفقد التقييم و بآلتالي تفقد الحياة معناها و عمقها و فلسفتها, حيث يُمكنهم مطالعة (الفلسفة الكونيّة ألعزيزية) التي هي أمّ الفلسفة و ختامها و بآلتالي العلوم المرتبطة للوقوف على حقيقة ذلك .. بعد كشف تفاصيل هذا الامر الأعظم ودوره في الوجود لتعلقه بسعادة الانسان و مصيره و عاقبته و سبب آلخلق أساساً.

فما هي المقدمات المطلوبة قبل البدء بآلبناء ألعقلي - الفكريّ - ألكونيّ لا نعني العقل الظاهر - لأنّه ليس أكثر من وعاء ظاهري بدائي يعمل مع الحواس الظاهرية الأخرى لتحديد الحساب و الأحجام و الأرقام لوجود الأنسان؛ بل نعني العقل الباطن ألذي يُمثّل أساس حقيقة الأنسان .. لكن هذا العقل الباطن ألذي يسمّيه البعض بـ (ألوجدان) أيضاً, هو أسّ الأساسات و حاضنة و مُختبر معقد لكل السلوك و النتاجات العلمية التي تتداخل معها علم (الكّوانتوم), و لهذا قلنا؛

(ليست حقيقة الأنسان بما يظهره لك .. بل بما يضمره و لا يستطيع إظهاره و البوح به, لهذا لو أردت أن تعرفه, فلا تصغ لما يقوله؛ بل لما لا يقول .. و لا يستطيع إظهاره).

و قبل هذا كله يجب أن نعلم بأن المقدمات الواجبة لتحقيق البناء العقليّ؛ هي الصفات العشر التي وردت في حديث الأمام الرضا(ع) و يمثل تحقيقها حصول العقل الكامل في حياة و مسيرة السّالك:

ألعقلُ آلكامل الكامل في الفلسفة الكونيّة :

قال آلأمام ألرّضا(ع): لا يتمّ عقل امرء إلّا بعشر خصال:
ألأولى؛ الخير منه مأمول, و الثانية؛ الشر منه مأمون، و الثالثة؛ يستكثر قليل الخير من غيره، و الرابعة؛ يستقلّ كثير الخير من نفسه، و الخامسة؛ لا يسأم من طلب الحوائج إليه، و السادسة؛ لا يمل من طلب العلم طول دهره، و السابعة؛ الفقر في الله أحب إليه من الغنى، و الثامنة؛ الذّل في الله أحبّ إليه من العز في عدوه، و التاسعة؛ الخمول أشهى إليه من الشهرة. ثم قال عليه السلام: و العاشرة؛ و ما العاشرة؟ قيل له: ما هي؟
قال عليه السلام: لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان:
رجل خير منه وأتقى، ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال:
خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي، وإذا رأى الذي هو خير منه و أتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره وساد أهل زمانه(2).

بوجود هذه المواصفات العشرة يكتمل العقل و يتأهل لنيل المعارف الكونية التي تجعل بنائه محكماً و مؤهلاً للأسفار الكونيـــة.
كما نُحذّر من خلط الفكر بمواد و مبادئ فاسدة في ذلك المختبر كي لا تُفسد النتائج, و يتحقق البناء على أساس سليم.

ففي البناء العادي الماديّ كما أشرنا آنفاً نضع السموم و المضادات و القير و الموانع الصناعية أحياناً لحماية و منع الحشرات و الرطوبة و غيرها من تدمير أساس البناء و فاعليته و تعريض سلامته للخطر و الهدم .. ذلك الأساس يُعادله في البناء الفكري - العقليّ الباطنيّ؛ ألجمال و ألطهارة و النيّة و العقل الأيجابي و القلب المطهّر من الأدران و الأفكار التي تمنع القوى الشّيطانيّة و أبوابها الرئيسيّة التي هي (الدولار) و (الجنس) من تسميمها حث تدور حول الأنسان على الدوام كل ثانيتين لتحريفه عن مساره, و هذا حال أكثر - إن لم نقل كلّ البشر حتى الذين يحاولون الأنتقال بملل من الحالة البشريّة للحالة الأنسانيّة الأرقى بعض الشيئ - خصوصا في أجواء بلادنا, فحين يكبر آلشّخص و يصل مرحلة الجامعة و تحمل المسؤوليات تراهُ مشحوناً و ملغوما بطاقة منتجة وقودها المبادئ و الأفكار الفاسدة و العنيفة و المتناقضة ذات الأتجاهات المختلفة و العقائد المشوّهة .. فيكون عنصراً هدّاماً لا بنّاءاً.

لذا تراه يتقبّل بسهولة و بلا تردّد ليكون فاسداً و مخرّباً و مجرماً بعثياً أو منتمياً لحزب أو إئتلاف هدفهم السلطة و المال ليكون ذيلاً لتحقيق أطماع الرؤساء بإسم الشيوعية و آلوطنية و الأسلام و الدّعوة لله, لأنه يحمل بوجوده بذور الأنحراف و آلقابليّة على التأقلم مع التقلبات و التبدل السريع لأسباب مادّية على حساب المبادئ, و يتعاظم هذا أيضاً لأسباب مكملة و هي الجينات الوراثية و التربوية لكلّ مذهب و عقيدة و فكرة و نشاط سلبيّ يلتقطه سواءاً كان إيجابيّاً أو سلبياً و ليس من الغرابة أن تره أخيراً يصبح فاسداً بسهولة و يُسر و يسرق حتى حقوق العميان و الثّكلان و العريان و بلا رحمة لخلو قلبه من آلرحمة .. بل فوق كلّ ذلك؛ قد يعتبرها جهاداً في سبيل ربّه الذي يؤمن به و هو لا يعرف حتى صفة واحدة من صفات الربّ الحقيقيّ الذي بات مجهولاً بين البشر اليوم بعد أن حلّ بدله الأرباب!

الذي قد يكون الرّب دقيانوس أو فرعون أو صدام أو نهيان أو محكان او برزان أو رئيساً للحزب الذي يغذيه و قد يكون "آية الله" بآلإسم, ليبقى الرّب الذي يُوثق به هو (الدّولار) كعنوان على العملة [In Gode we trust] !

إذن ألنّية والطهارة و الفكر الإيجابي الذي يُشكّل الضّمير(الوجدان) الواعي مع التواضع و لقمة الحلال متلازمة كمضادات حيويّة تسبق و تدعم البناء الفكريّ في أي مجال لصدّ موجات الفساد و المنكر و العنف و القهر و القسوة و الظلم, و ما يليه من البناء الفوقي المحميّ – الذي يجب تطعيمه بزرع المحبة و الرّحمة و قوانين معرفة الجمال ليحلّ محلّ تلك العقائد و المتبنيات ألتربوية و ألنفسية و الحزبية و القوميّة الجاهليّة المُتنوعة من آلثقافات الشيطانية التي إنتشرت في الأرض, لأنّ المحبة والرّحمة و الجّمال لغة عالميّة لا تحتاج لمترجم ولا تختص بوطن أو حدود أو دين أو مذهب دون آخر, و قد تجده عند ملحد أو كافر أو ممّن لا دين له أساسا, لأنّ الأنسان - أيّ إنسان - يولد على الفطرة ثم التربية من قبل الوالدين هي التي تُحدّد شخصيته و دينه و طبيعة ثقافته و أفكاره.

ألمهم أن يكون أنساناً لا يؤذي الآخرين خصوصاً ألمُقرّبين عبر الأجتهاد برأيه خصوصا في المجال المالي و الأقتصادي و الحقوقي ثم يحسب نفسه أنه يحسن صنعاً, و عليه أن لا يأكل الحرام بل من كدّ يده أو كدّ والديه أو مَنْ يُعيله في حال عجزه, و بعد ما يصل و يُحقّق هذه المرحلة بسلام, يمكنه البحث عن التفاصيل التي تحيط و تصقل تلك ألرّحمة و المحبة و العشق ليكون أساس عقيدته من الأعماق ليشيد فوقها بنائه آلرّاقي السليم و بخطوات و منهج ثابت يكون نافعاً و منتجاً سخياً مع المحبة التي تستحقها العائلة و المقربيّن و كل الخلق, لهذا العرفاء يعرفون طيبة أو فساد الرّجل من خلال تعامله مع عائلته و أهله؛ زوجته أو والديه أو أبنائه أو مقرّبيه, لا مستهلكاً طفيليّاً, كما هو حال معظم شعوبنا الضائعة المستعمرة, و لا مستجدياً للحُب, بل هو مَنْ يعطي و يشع الحُبّ من وجوده ولا يعتمد على جهود الآخرين و لا يهمه كسب ودّهم بسخط الله, و بهذا يؤدي رسالته مقابل هذا الوجود بنحو تام يرضي المعشوق الأزلي.

إنّ ما يجري الآن خصوصا في أوساط مَنْ يُسمّون أنفسهم أو يُسمّيهم النّاس ألجّهلاء بآلقيادات وآلرّؤوساء و المدراء والحكومات في العالم و في بلادنا بلاد الجهل و المآسي بآلذات لا أستثني أحداً كلّ أعضاء الحكومات و الأحزاب؛ هم طفيليون لا يملكون فكراً إنسانياً عادلاً و يبحثون عن مسؤوليّة أو منصب و كرسيّ للسلطة بشتى الوسائل و الواسطات لضمان لقمة أدسم و أموال أكثر بآلفساد و بآلحرام من دون التفكير بآلغد و العاقبة أو العمل المثمر أو أنتاج شيئ مفيد للناس و للأجيال, هذا مع أن أكثرهم قد لُعن لكونه يعلم وجود من هو الأتقى وآلأكفأ منه في الإدارة و العمل!

و الحال أنّ فلسفة الحياة و سبب وجودنا مبنيٌّ أساساً على الأنصاف و آلعدالة و ألمحبّة كمعيار, و لا يتأتى ذلك؛ إلا بآلمعرفة التي تدفع صاحبها و بقوّة نحو النزاهة و الأنتاج و عمل الخير بفعل الوجدان بدل البحث عن حزب أو منفذ أو كرسيّ يستنزف من خلاله قوت أبناء جلدته وأخوته في الدّين أو نظرائه في الخلق بلا رحمة لانه فاقد للرّحمة و هذا هو واقعنا اليوم خصوصاً في الأحزاب و الحكومات التي تحاصصت الحرام و كلّها فاسدة و بكل المقايس و كما ثبت الواقع ذلك ..

حكمة كونية: [ألعمل سبب سعادة الإنسان] الأمام عليّ(ع) .. نعم العمل المنتج ألمفيد لا التخريب والفساد و الدسائس وآلأئتلافات لأجل النهب, كما هو حال حكوماتنا العاطلة إلا عن الفساد.

لذا أوصي جميع أصدقائي و طلّابي؛ بأن يكون كلّ همّهم؛ إرتقاء مجتمعنا و وطننا, وتستوجب بناء آلنّفس عبر بناء الفكر لتنميّة الخيال الخصب على أسس صحيحة و مقاومة, ليتسنى إتّخاذ و تطبيق رسالة العلم و آلمعرفة كما وضّحها المصلحون الألاهيون و الأرضيون أمثال"بيكون" و "آينشتاين" ألذين أكّدو على أهميّة تقوية آلأحساس ألعرفانيّ بالعقل الباطن, لنحقق عملياً الأوبتيمم(الحالة المثلى) لكشف العلوم وتحقيق ألسعادة تسبقها الشفاء من الأمراض.

ملاحظة : يجب معرفة معنى و مواصفات (الأنسان) و فرقه عن مواصفات (البشر) و كذلك فرقهما – أيّ (البشر و الأنسان) - عن (الآدميّ) و مواصفاته , حيث بدون هذه المعرفة الكونيّة .. يستحيل عليك أيّها الباحث ألعزيز و مهما كنت عالماً و بارعاً حتى بمستوى علم إبليس؛ فهم و درك؛ أهمّ آية قرآنية تعتبر بمثابة العمود الفقري لخلق و لوجود الأنسان , و هي :
[و كرّمنا بني آدم], و مرادفاتها من الآيات و الأحاديث بشأن ذلك ليكون خليفة الله و هي أعظم مرتبة في جميع المخلوقات بما فيها الملائكة و الجن و المخلوقات, فحذاراً أن تتجاوز على حقوقه تحت أية مظلة أو سبب !
ولمعرفة الفروقات الجّوهريّة تفصيلا لتلك المراتب؛ راجع فلسفتنا الكونيّة في كتاب [فلسفة الفلسفة الكونية] وغيره.

خلاصة الكلام لا بدّ من بناء الفكر وتنميته أوّلاً بآلمحبة و الأمان و تغذيته بآلمبادئ و المعلومات ثمّ إستثماره بقوّة الخيال لأنتاج العلم و المعرفة و المدنيّة خصوصا معرفة الجّمال و تطبيقه على ارض الواقع كي نُمهّد لحياة طيبة سعيدة خالية من الأمراض و الوباء و الفايروسات و آلعنف و المؤآمرات على أسس كونيّة عادلة و هذا ما سنناقشه في الحلقة القادمة إن شاء الله.

هذا و بعد أن بيّنا كما إطلعتم كيفيّة بناء العقل الكامل بالفكر الكونيّ و تنميته ليكون أساس و مبعث ألخيال؛ نعرض طرق إستثمار الخيال كنتاج للفكر بإذن الله لتحقيق الغاية من وجودنا.

---

(1) مراتب الفكر و العلم في الفلسفة الكونيّة التي من خلالها يتحدّد مستوى الأنسان, هي سبعة مراحل كآلتالي:
قارئ؛ مثقف ؛ كاتب ؛ مُفكّر ؛ فيلسوف ؛ فيلسوف كونيّ ؛ عارف حكيم.
(2) تحف ألعقول عن آل ألرّسول ؛ 326.

دور طبيعة ألفكر في تقويم ألخيال

دور طبيعة ألفكر في تقويم ألخيال:
بقلم ألعارف الحكيم : عزيز حميد مجيد
ألسؤال الأهم الذي ورد في هذا الفصل ضمن الموضوعات الأساسيّة ألمطروحة كقضية (الخيال بين آلحقيقة و الوهم) و غيرها من التي تتعلق بسعادة و رفاه و مستقبل الخلق هو:
[[ما هي الأدلة القرآنيّة و البراهين ألتجريبيّة التي تؤكد أنّ الواقع وحدهُ بما فيه آلغيب كأساس لظهوره؛ مصدر معرفة حقيقية للسنن ألألهية و لواقع و مصير الإنسان و المجتمع كجماعة مشتركة تحصل لها الوقائع و الأحداث و الوعود الإلهيّة بحسب دورها و أن مصداقيّة و صحّة أيّ شيء هي أن تحصل و تتحقق على أرض الواقع بعد تجسيده في الخيال ألمرشّح من العقل الباطن لا الظاهر، و أن حقائق (الإنسان و المجتمع) موجودة في الواقع، لا في تصورات العقل ألظاهر، أو تصورات الناس ألمجرّدة عنك؟]].

نحن نسعى إلى طرح نظريّة جديدة يدعم منهج الأبداع, فما طُرح للآن لم يكن مفيداً و متكاملاً لعلاج أزمات الأنسان المادية و الرّوحية وآلأجتماعية, و كما قلنا: يجب أن يعرف الباحثين بأنه (لا يُمكننا حلّ مشكلة، باستخدام نفس العقلية التي أوجدت المشكلة), لذلك فأنّ أكثر القوانين و في معظم المجالات بجانب التأريخ المؤدلج الذي خطّه الحاكمون يجب أن تحذف أو تصحّح من الجذور على الأقل, لأن إجراء إصلاحات ظاهرية لا تنهي المشكلة لأن الخلل في الجذور و القوانيين.

وهذه الدراسة في الحقيقة تُشكل نظرية باسم (نظرية الخيال) التي تُمهّد بشكل منطقي و فاعل لأنتاج العلم بحسب الفلسفة الكونية.

إبتداءاً ألفكر الكونيّ و لكي يكون مُنتجاً يحتاج لمقومات ترافقه كآلبحث و آلتأمل و آلتّدبر و التفقه و النظر وغيرها؛ لكون العقل الباطن ألذي ينتج الفكر الكوني؛ هو المناخ المطلوب لوعي الوجود و الخلق عبر حقائق آلكتب السّماوية و آلأحداث و الوقائع و القصص التي تكرّرت بعضها في القرآن لدورها الحيوي في بناء و تقويم الفكر و إحياء العقل و إنضاج الخيال لتخصيب الأنتاج و تحقيق فلسفة الوجود بشرط التعمق في المعرفة و أسرار الأنفس و الآفاق, أمّا النصوص ألمقدسة إلى جانب تقريرات الفلاسفة العظام فهي آلمَعين ألذين لا ينضب لإحياء وتجديد و إدامة الحياة ألطيّبة بدل ألماديّة الميّتة التي ليست فيها روح و جمال و قيم تتناغم مع

حركة و موسيقى الوجود, لذا يجب المواظبة على دراستها و كشف المجاهيل و الأسرار للأستفادة منها بعد ترتيبها و شرحها بحسب متطلبات العصر و حيثيات ذلك المشروع ألذي يحتاج الفن و الموسيقى و الشعر لتلطيف أجوائه و مرافقته و بغيرها يستحيل إدامة الحياة المعاصرة ألمعقدة مع هذا البشر الظالم, و سنشير لبعض آلنّصوص ألمُقدّسة لكونها دقيقة و تناسب الرّوح ألعصرية الأنسانيّة, لأنها بآلنتيجة صادرة من خالق الروح و العقل و الحكمة و العشق, ليمكننا التركيز على تحقيق الهدف ألمنشود عبر الأنتاج العلمي و الفني بطاقة الفكر المُولّدة للخيال - نقصد الفكر الباطن - للطبابة الكونيّة, و ألفكر ألباطن يُمثل الحركة آلأنتقاليّة للذهن من المجهولات(الخام) إلى فلاتر العقل الباطن لتحليل تلك المعلومات بعد الدراسات و المقارنات لتحقيق المقاصد التي ترتبط من جانب بآلنية و من الجانب الآخر تنتهي بآلكمال, و لا بدّ من تكريرها بواسطة العقل الباطن لتقويمها و إستعمالها بشكل أنفع و أجمل وأوفر, ليتحقق على أتمّ وجه, و هذه هي [عملية سير الباطن من المبادئ(المقدمات) إلى المقاصد(ألأهداف) و هو قريب من النظر و لا يرتقى أحدٌ من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير التفاعلي](1) , و لنا في قصص العرفاء و الأولياء عبرة و كما بيّنا ذلك سابقاً, حيث لا يدرك ولا يكتمل معاني و أسرار الوجود و تحقق الوصال مع ا لمعشوق إلا بآلفكر و التفكر الباطني – القلبي ألذي يتأتى بآلعبادة و خلوص النّية و العمل الصّالح ألذي يتطلب التضحية بدون مقابل ..

بحسب أوامر المعشوق ألذي قال في حديث قدسي:

[مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ], حديث متفق عليه و قد ورد ضمن الأحاديث القدسية, و أداء النوافل يكون بعد طهارة القلب الذي وحده يربط العبد بربه لا العقل الذي يفيد للحساب و الكتاب فقط.

يقول الباري تعالى: [أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ](2), و قوله تعالى؛ [و نزّلنا إليك الذّكر لتُبيّن للنّاس ما نُزّل إليهم و لعلّهم يتفكّرون](3).

وعن عليّ(ع) ؛ [فكر المرء مرآة تُريه حُسن عمله من قُبحه](4).

و قال(ع) ؛ [مَنْ كثرت فكرته حسنت عاقبته, و الفكر مرآة صافية و ا لفكر ينير اللبو الفكر جلاء العقول](5).

و عنه(ع) ؛ [فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة](6).

و عنه(ع) ؛ [أصل العقل ألفكرو ثمرته السلامة](7).
و عنه(ع) ؛ [ألفكر في غير الحكمة هوس](8).
و عنه(ع) ؛ [من ترك الإستماع من ذوي العقول مات عقله](9).
و عنه(ع) ؛ [إضربوا بعض الرأي ببعض يتوّلد منه الصّواب](10).
و عن عيسى(ع) ؛ [كونوا نُقّاد الكلام](11).
و عن عليّ(ع) ؛ [من شاور الرّجال شاركها في عقولها], وقوله (ع) :
[ما خاب مَنْ إستشار](12).
و عنه(ع) ؛ [لا سُنّة أفضل من التحقيق], و جاء أيضا ؛ [لا عمل كآلتحقيق](13).
و عنه(ع) ؛ [من طالت فكرته حسنت بصيرته](14).
و عنه (ع) ؛ [لا يحرز العلم إلا من يطيل درسه](15).

طبعا هناك تعاريف عديدة .. لكنني إستخلصت تلك التعاريف لتطابقه مع حقيقة الفكر الذي يؤدي إلى تكوين ثقافة ذاتيّة معينة بحسب مراجعها, تُجدّد و تُحدّد مسير الأنسان و سعادته بواسطة القوة الباطنية التي تدفع و تُحرك آلذّهن بإتّجاه كشف معلومات جديدة و بآلتالي التخلص من الجمود و الركود لإيجاد حضارة راقية تحدّد ملامح المدنيّة.
و يوعز سيجموند فرويد نشأة الحضارة التي هي نتاج الفكر .. ثمّ الخيال؛ بكونها :

[بدأت عندما قام رجل غاضب لأوّل مرّة بإلقاء كلمة بدلاً من حجر].

و [الثقافة هو ما يبقى في آلفكر بعد ما ينسى آلأنسان كلّ شيئ](16).

فآلفكر الواعي و التأمل و التدبر ألعميق يُولّد ألخيال ألّذي يؤدي إلى آلمعرفة ثمّ الأيمان بوجود خالق عظيم يستحق أكثر من مجرد الأيمان و هو العشق بتطبيق أوامره!

فإما ثقافة إجتماعيّة – إقتصادية – سياسية – تربوية ضمن منظومة أخلاقية كونية متحضرة على أساس الأيمان و الأدب بإتجاه بناء الأنسان داخلياً لدفعه و المجتمع نحو الخير و العمل الصالح لتحقيق العدالة و الرّفاه؟

- شكليّ مبتذل بإتجاه دفع الأنسان نحو الطمع و الشهوة ~أو ثقافة و دِين طقوسي

و التسلط و آلرّذيلة, و كما هو حال الأنسان المعاصر الذي لا يستسيغ سوى الحرام و الجشع و الطمع و التكبر و النهب, بعكس المفاهيم العلوية التي كانت وحدها تمثل الثقافة الكونيّة.

لهذا نطلق صفة الفيلسوف الكونيّ و العارف و آلحكيم(17) - كآخر صفة للمسافر ألكوني - على المميّزين الذين يقتلون ذاتهم و يصمدون أمام المغريبات و يُشغلون أذهانهم على الدوام بمسائل فلسفيّة و حكميّة هامّة تُحدّد بآلنتيجة القوانين المدنية و التكنولوجية و الاقتصادية والسياسيّة والتربويّة والأجتماعيّة والحقوقيّة والقضائية وغيرها لتحقيق الوصال مع المعشوق.

و الجدير ذكره أنّ ألذي يُسرع و يُفعّل عمليّة التفكير ثم التخيّل ثمّ الأنتقال إلى مرحلة الأنتاج العلمي المفيد لتحقيق ألوصال؛ هي التقوى و الورع لأسباب كونيّة بحثها القرآن في منظومته العقائدية الأيمانية و الأخلاقية .. أهمها؛

إبعاد العقل عن الأصابة بآلأمراض و عن الأجواء العنيفة لتمكينه من السفر الكوني لأستحالة السفر حتى الأرضي للمريض الذي يعاني القهر و حفظ مقادير كبيرة من الذاكرة لتعبئتها بآلأشياء المفيدة التي تفيد و تنقذ البشر من محنتها و مما إبتليت به من آلشّر و الشهوات, بعد تحصين العقل من الصور و المناظر و الأحاديث و الأفلام الفاسدة التي لا تغني و لا تنفع سوى آلظواهر وآللذات ألطارئة ألتي سرعان ما تزول و تترك ورائها آلآلام و الحسرة و حساب عسير في الدارين.

لذلك أوجب الله تعالى التفكير على المؤمنين و بشّرَ المتقين لأنه تعالى سيُريهم آياته العظام في الآفاق و في أنفسهم(18)؛ يعني فيما يخصّ الأسرار الخفية في الأنسان و آفاق الوجود في حال تحقق الأيمان بآلله تعالى والسلامة من الأمراض و حلول و ترسيخ الرحمة فيما بينهم كشرط للسفر الكوني ألذي لا يناله إلا ذو حظ عظيم.

يقول الباري تعالى : [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ](19).

و بذلك يكون العكس هو آلصحيح تماماً.

و لعل تلك الآية التي طبقها قوم سلمان المحمدي بعد الثورة ألأسلامية بدقة و ذكاء و إخلاص ؛ هي السّبب في نصرهم و تخطيّهم و إختزالهم لقرون و مراحل عديدة تحققت خلالها نهضة أوربا؛ ليتمّ إختزالها بعقود قليلة ما جاوزت الأربعة عقود إستطاعوا خلالها تحقيق ما حقّقه الغرب كلّه بأربعة قرون كتخصيب الذّرة و التقدم في الفضاء و الصناعة و الزراعة و غيرها!

إن هذا النوع من الفكر ألمرتكز على القواعد العلويّة – الكونيّة أفقياً من شأنه تحقيق المعجزات أفقياً بسبب السّعة و القابليّة و الشمولية و الخيال اللامحدود و الخصب المنتج الذي يمنحه العقل(الفكر السليم) لا (الفكر المريض) لحامله , و و على باقي المسلمين ألأنتباه لمسالة هامّة و هي ألتفريق بين آلخيال الحقيقيّ ألذي منبعه ذلك الذي يتصف بالرّحمانيّة و الرّحيميّة و صفة التواضع و المحبة التي تدلّل على(الحقّ) و حامله و تؤدي إلى الوحدة و التآلف و المحبة بين الناس من جهة؛ و بين (الوهم) الذي منبعه وسوسة النفس و الشيطان ألرّجيم الذي يُريد زرع العداوة و الفرقة و الكراهية و الفتن و الغيبة لتحريف الناس عن عبادة الله لغيره من الآلهة, لهذا حين تشهد عائلة أو جماعة أو أمّة موحدة مسالمة متحابّة رحيمة أسعارها رخيصة تنبذ الغيبة و الكذب و النفاق و زرع العداوات؛ فإعلم بأنها من أهل الرّحمن يقودهم أولياء الله, و إذا رأيت العكس فإعلم بأنها من أهل الشيطان و يقودهم أعداء الله من الكفار و المنافقين, و هذا وضع معظم دول و مجتمعات العالم اليوم بقيادة حكومات و قيادات همّها الأول و الأخير سرقة الفقراء بكافة الأساليب و الوسائل الممكنة, و سنبيّن لكم الفرق بين [(الخيال الخصب) و بين (الوهم)] أو [ألخيال بين الحقيقة و الوهم] ألذي يصيب الكثير من الناس بسبب الأمراض العقلية و القلبية و الرّوحية الغيبة و تفاقم الفتن و حُبّ الدنيا بشكل جنوني في هذا الزمن, حتى إختلطت الحقائق بآلأوهام و الصدق بآلكذب و الفساد بآلصلاح و المعروف بآلمنكر , لذلك لا بد لنا من معرفة الخطوط الفاصلة بين الحقيقة و الوهم لكي لا تختلط علينا الأمور و نفقد البصيرة و بآلتالي معرفة الحقيقة من الوهم الذي يتوسطه الخيال بشكل ضبابيّ غير شفاف!

---

(1) (مجلسي, محمد باقر), بحار الأنوار, مؤسسة الوفاء, لبنان – بيروت, ج68, ص319 ط1.

(2) سورة الحج/46.

(3) (النحل/44).

(4) غرر الحكم و درر ألكلم آمدي, شرح و ترجمة سيد هاشم رسولي محلاتي, دفتر نشر فرهنك إسلامي, مجلد2, ط2.

(5) نفس المصدر السابق, حديث 9/7955.

(6) نفس المصدر السابق, ص295, حديث 51/7997.

(7) نفس المصدر السابق, ص 293, حديث 26/7969.

(8) نفس المصدر السابق.

(9) المجلسي, بحار الأنوار, ج1, ص 60.

(10) غرر الحكم و درر الكلم آمدي, ص 254, حديث 3/3466.

(11) عن الأنجيل _ العهد الجديد.

(12) غرر الحكم و درر الكلم آمدي؛ ج1, ص 589, حديث 41/4630 ط2.

(13) نفس المصدر السابق؛ ج1, ص 283, حديث 3/2044.

(14) نفس المصدر السابق, ص 297, حديث 67/8013.

(15) نفس المصدر السابق, ص 358, حديث 5/2729.

(16) بحسب تعبير تايلور.

(17) ألقيمة آلكونيّة للأنسان في فلسفتنا هي: قارئ – مثقّف – كاتب – مُفكّر – فيلسوف – فيلسوف كوني – عارف حكيم.

(18) [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...] سورة فصّلت/52.

(19) سورة الأعراف/ 96.

كيف نستثمر ألخيال؟

كيف نستثمر الخيال؟

بعد أن بيّنا كما إطلعتم في عرضنا السابق؛ كيفية بناء الفكر و تنميته ليكون أساس الخيال؛ سنعرض لكم طرق إستثمار الخيال كنتاج للفكر بإذن الله.

يكون إبتداءاً بناء و تنمية و تفعيل الخيال على أساس المحبة و دافع العشق الحقيقي ألذي يمدّه بفضاء واسع خصب يصل أللانهاية و بآلتالي إستثمار ذلك الخيال ألذي نتاجه يكون على أساس طبيعة ألفكر ألذي له درجات و مراتب أيضاً في المقايس الكونية و يُفعّل عن طريق الأرادة التي تتغذى هي الأخرى على الأيمان و العمل الصالح و التوفيق الألهي و يُقوّم بطريق فلتر الصّمت الهادف و التأمل ألعميق و التربية المنتجة في الأجواء الآمنة المستقرة سياسياً و أمنياً و إقتصادياً, و آلتي تحدّد مدى آلتدبر و (ألتأمل) لأعداد الخطط ثم إنجاز المشاريع على أتمّ و أكمل وجه, و قوة الأرادة و التصميم تتوقف على مدى التأنيد و التوفيق الألهي و الإنسجام المجتمعي و قبله ألأعداد العائلي الذي يتوقف أيضاً بدوره على مدى إيمان الخلق أو المعنيين و تبحرهم في العِلم .. و العلم يتوقف بدوره على المعلوم, و المعلوم بدوره يتوقف على الأمكانات المتيسرة و سبل أعمالها ..

ألفرق بين السكوت و آلصّمت:

كتبت مقالاً عن السكوت و فرقه عن الصمت قبل أعوام بعنوان :

لماذا لا يسمع العراقي – بل معظم الناس اليوم إلا أنفسهم .. لأنّهم مبهتون و مصدومين من حكوماتهم و أساليب السيطرة لإستغلالهم و نهب حقوقهم و إبقائهم في الجهل, و الصدمة تتسبّب بحالة مرضيّة تؤدي لإيجاد خلل كبير في تفكير الأنسان؟

و هذه الحالة ألخطيرة تتسبب بأمراض عدّة منها ألـ (ألأيسكتوفرينا)(1) و قد يصيب أفراد المجتمع ككل بنسب متفاوتة نتيجة الضغوط النفسية و المعيشيّة و شيوع حالة العنف و الظلم و التربية الفاشلة و قلة أو فقدان الحياء و الأدب و كثرة التنابز بآلألقاب, حيث يتصف المصاب بحالة الذهول و الترقب و الترصد عند الكلام معه بحيث لا يسمعك و لا يثقّ بك بتاتاً, لتشتت فكره و الخوف و حالة التمرد التي إتخذها مسبقاً .. فيبقى شبه ساكت كصندوق مغلق لا يتفاعل مع المحيط و لا يُحرّك شيئا و لا يتناقش معك و يعتبر الجميع منحرفيين و متآمرين عليه, و هذا من شأنه سدّ أبواب المعرفة و عملية الأنتقال و التبادل الفكري و تلاقح الأفكـــار ثم الأنتاج العلمي فآلبناء ألأقتصادي - المدني و التكنولوجي!

بداية يجب أن نُفرّق بين (آلصّمت) و (آلسّكوت)!

و الصّمت أولاً على نوعين:

صمتٌ إيجابي؛ يكون منتجاً و معبّراً يحصل من ورائه الصّامت على معناهُ و مبغاه.

صمتٌ سلبيّ غير منتج بسبب الضغوط والقهر و الحرمان والظلم و الكآبة لا خير فيه بل يتسبب بآلقهر و المرض.

و يكون الصمت السلبي عادة حالة مرضيّة تصاحب الأنسان المقهور لأسباب و ضغوط نفسية لكنه أقل وطأة و تبعات من ذلك الذي يُعبّر عنه بآلعنف والضرب و الثورة ليس ضد الزوجات و آلوالدين و آلأبناء و الغير بل حتى مع النفس بأساليب شتى فيتولد حالة أطلق عليها علماء النفس (النكوص) أو (الأرتداد) و هي محاولة تكتيكية للتكيف كآلية دفاعية يلجأ إليها الإنسان في مواقف .. حينما تشتد الأزمات و يحاول إعادة التوازن النفسي، يلجأ ليخفف من شدة الضربات القوية على مركز التوازن

الداخلي لديه. والنكوص حيلة دفاعية يعود بها الفرد إلى اساليب طفلية في سلوكه، وثورة أنفعاله حين يعترضه موقف سبب أزمة أو مشكلة تستعصي على الحل، أو احباط شديد لرغباته تثير لديه قلقًا شديدًا. والبعض من الناس يلجأ إلى اساليب – حيل مختلفة منها الكبت، النقل، الإزاحة، التعويض، الاسقاط، التحويل، التقمص" التوحد – التعيين والتعيين الذاتي"، الاستدخال، التبرير، التكوين العكسي، الاستدماج، الانكار ..الخ لكي يعيد التوازن لنفسه، وهذه الحيل- الآليات- الميكانزمات الدفاعية ما هي إلا وسيلة "وسائل" مؤقتة لحل أشكال وقتي لصاحبها، وإن تعود عليها أصبحت مثل الادمان عليها ويكون تأثيرها سلبيًا، ومن الصعب التخلص منها بسهولة.

Defence Mechanisms ميكانزمات الدفاع :

الميكانزم – الحيلة الدفاعية - آلية الدفاع وهي التسميات التي تطلق على الوسيلة أو الوسائل التي يتخذها الأنا لا شعوريا لتجنب التعبير المباشر عن النزعات و الوجدانات التي تُهدد أتزانه و كأن ميكانزم الدفاع يعُبر عن دافع لا شعوري و يهدف لتخفيف الحصر أو الدفاع ضد خطر ما، و يمكن ربط طبيعة الدفاع المتكرر بسلم الاضطرابات النفسية والعقلية(2).

لذا فإن النكوص أو الكبت أو التوحد، التقمص"التعيين والتعيين الذاتي، أو الانكار، أو الاسقاط ما هي إلا وسائل دفاعية نستخدمها نحن الأسوياء لمواجهة ضغوط الحياة والآزمات، ولا يقتصر استخدام آلية النكوص على الكبار فقط، بل يستخدمها الأطفال أيضا، فالطفل الذي يبلغ السادسة من عمره ربما يأخذ في مص أصبعه ويكثر من العناد ولا يطيع أوامر والديه، أما الرجل المسنّ الذي يعاني من مرض جسمي نجد أنه في حالة مستمرة من استدرار العطف، آخذا في البكاء أو الغضب أو العناد وربما يكون سريع الاهتياج.
وأحسن تطبيق لآلية النكوص والأكثر شيوعًا في الاوساط الشعبيّة هو المثل المعروف بين الناس؛ (إذا ضاقت بك الدنيا، تذكر أيام عرسك "زواجك" أو العكس زر القبور لترى أن مصير الأنسان هو الموت).

تؤكد الدّراسات الكلينيكية أن النكوص أكثر ظهوراً في حالة الاضطرابات النفسيّة و العقليّة، و إن كان في الاضطرابات العقلية يبدو في صورة تجهم و صراخ و غيرة عنيفه و غضب شديد، يتبول و يتبرز علناً، وكل هذا تسيطر عليه الأساليب الطفلية.
أن كل حيلة "ميكانزم دفاعي" يختص بمرض نفسي أو عقلي، ومن هنا كانت إمكانية ربط دفاع بعينه بمرض نفسي أو عقلي بعينه وهو ربط دينامي يتحدد بطبيعة المرحلة التي نكص إليها (الأنا) ومراكز التثبيت وطبيعة الدفاع ونوعه، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة الشخصية ومراحل تطورها.
يقول "د.حسين عبد القادر" في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي هكذا وجدنا ميكانزم الكبت في الهستيريا والإزاحة (النقل) في المخاوف المرضية- الفوبيا والتكوين العكسي العزل أو الفعل ومحوه في الحواز، وبالمثل نجد الاستدماج في الاكتئاب والإنكار في الهوس، بينما يكون الأمر في الانحرافات تعبيرًا فعليًا واقعيًا، وهكذا تقدم لنا الدراسات الميدانية الكلينيكية المرضية عن سيكوباثولوجية المرض أن النكوص في الفصام هو وسيلة تكيف، وهو في الوقت ذاته وسيلة لحماية نفسه "الفصامي" من الموقف، و بدلا من مجابهة معركته التكيفية فهو يتراجع إلى الخلف ويمارس وجوده على مستوى أكثر بدائية ويعود إلى حالة تطور نفسي مبكرة كما يرى (د. محمد شعلان)، و هو يفعل ذلك بهدف إحداث التكيف مع الموقف، وهنا النكوص يحد من قدرته على المجابهة والمواجهة وربما تكون هذه المواجهة خسرانه، لأن مريض الفصام يكون فاقد الحيلة و ربما قليل القدرة في المواجهة، لذا فهو يفضل المزيد من النكوص والارتداد و يدخل في فشل في المواجهة و يبقى يدور في حلقة مفرغة.
يقول الطبيب النفسي (سيلفانو آريتي) و كما ورد في موسوعة الفلسفة؛ [إنّ المريض كلّما فشل بالمواجهة عاد إلى الخلف، و كلما عاد إلى الخلف زاد فشله ممّا يجعله يستمر في العودة إلى الخلف].

نستخدم نحن الاسوياء الحيل الدفاعية في مواقف عديدة من مواقف حياتنا اليومية ومنها التعويض في الخجل والذي يسبقه الكف الشعوري لافكاره، والمعروف أن الكف يحبس الطاقة عند الإنسان، فالكف يدمر الذاكرة ويسبب التلعثم واللجلجة أو في آحيان آخرى الخرس، ويصبح الكف كبتًا "الكبت" بمرور الزمن. ويلجأ البعض منا إلى النكوص أيضًا بغية التخفيف من القلق، أو من البخار الزائد الذي ينتج من الصراع في حياتنا اليومية، أو من الاحباط الذي اصبح سمة واضحة في ثقافتنا وحضارتنا المعاصرة، فقد يلجأ البعض منا إلى الافراط في التدخين أو الافراط في شرب الخمر حتى الثمالة والفقدان، أو ممن

يفرط في الأكل أو قضم الاظافر، والبعض منا يفقد السيطرة على انفعالاته فيقوم بخروقات كثيرة للقانون ومخالفة الاعراف السائدة في المجتمع، والبعض الآخر يكثر من الممارسة الجنسية الشرعية بنهم وشراهة وغير الشرعية أيضًا، ويجد تبريرًا لافعاله و ممارساته تحت مسميات حيل تكتيكية أو شرعيّة وما أكثرها هذه الأيام.

لقد إنتقدت في مقالات عدّة ذلك التعامل ألسّلبي و اللامبالاة مع هذا الموضوع الحساس و الخطير في نفس الوقت و الذي قد يُرافق أعراضه الأنسان حتى آخر العمر, نتيجة الظلم و الحروب و العنف و القسوة في التعامل و الوضع المزري الذي عاشه البشر خصوصا ما حدث و يحدث في العراق و الكثير من الشعوب المنكوبة إلى جانب الأزمات الأجتماعية و الاقتصادية و الروحية التي يعانونها على كل صعيد؛ للأسباب الثلاثة التي طالما أشرنا لها في مقالاتنا و هي :

- سوء التعليم
- سوء الأعلام
- سوء المسجد؛ بسبب ثقافة الحشو الفارغ و الشكليات و التقليد الظاهري من دون آلبحث عن الجوهر و في مقابل ذلك نشر مبادئ العنف و الجهل ألتي إنتشرت في العراق و بلادنا الأسلامية و غيرها و التي تسببت بفقدان الثقة حتى بآلمسلّمات و بكل ما يتعلق بآلمحبة و العلاقات الأنسانية و التعامل الأجتماعي و الأنصاف و التواضع ؛ حتى عاد العراقي و ا لمسلم لا يثق بنفسه و بأقرب المقربيين له .. بل بايّ متحدث حتى لو كان نبي أو إمام معصوم(ع), فهناك دائماً درجات من الحذر و الشك تفصله مع المقابل .. لذلك لم يعد يسمع ألبشر إلّا نفسهُ؟

و فوق هذا قد يبدو أمامك مستمعاً هادئاً و كأنّه ينظر إليك بتفحص .. لكنه لا يستمع ولا يتأمل ليتعلم الحقائق و القيم الكونيّة الكبرى؛ بل يستمع لك علّه يتعلم شيئا يُفيده شخصياً فقط في أحسن الأحوال أو لعله يكشف شيئا سلبيّاً منك ليحاكمك عليه و يُشهّر بك أمام الناس بغيابك, كآلمتصيّد في الماء العكر أو الباحث عن أبرة وسط كومة من التبن ..

ظاهرة غريبة شدّت إنتباهي و حيّرتني حتى غيّرت عقيدتي كلّياً تجاه آلوضع في ألعراق و تعامل ألعراقيين و الشعوب المماثلة ... أ لا و هي مسألة عدم ألأنصات و آلفهم حين تتكلّم معهم أو تكتب لهم رغم أنهم ينظرون إليك, و هُم عادة ما لا يقرؤون .. و إن قرؤا مؤلفاتك أو مقالاتكَ أو سمعوا خطابك و فلسفتك أو سكتوا متظاهرين بآلأنصات أثناءَ حديثكَ في أفضل ألحالات؛ فأنّهم إنّما يفعلونَ ذلكَ؛ لا لحبهم للمعرفة أو لفهم و وعي أبعاد و أسرار ما تقولهُ أو تكتبهُ ؛ بلْ يسمعكَ لأجل أنْ يكتشف نقطةَ ضعفٍ أو ثغرةٍ أو شكّ أو ربما خطأ في مجالٍ أو جانب فرعيّ أو شكلي من حديثك ليهجم و يردّ عليكَ كلّ دعوتك أو ما تُريد قولهُ جملةً و تفصيلاً, و لا يستحي لو إستشهد بعناده بموقف إنسان معاند أو منحرف أو مُغرض!؟

و لهذا ترى أكثر الناس قد فقدوا آلتّأمل أو الصّمت الأيجابي فخسروا كسب المعرفة التي لا تتأتى إلا بآلتفكر و التأمل و التواضع والأنصات, يقول الصدر الأول (رض): [لقد إعتمدت على التفكير بنسبة 99% لكتابة مؤلفاتي ألمعروفة, بإستثناء الرسالة العملية فقد إعتمدت على النصوص فقط لتحريرها], يضاف لذلك أن الناس أساساً لا يستخدمون طاقاتهم العقلية إلّا بنسبة 2 – 3% بآلمئة, و آلباقي تصرف في القضايا الجانبية و التافهة و الصور المختلفة التي تأخذ الكثير من الذاكرة الأنسانية التي تتسع لـ 29 مليون كَيكَابايت, لذلك نرى إن ملء تلك السعة بآلصور و المقولات الغير ألمفيدة تُفقد الأنسان القابلية على الحفظ و التذكر في المراحل المتقدمة في السن !

هذا آلوضع ألعقلي و ألنّفسيّ ألمُتأزم ذات آلطابع ألعنيف و الخبيث و ألهجوميّ قد سبّبَ فساد آلقلوب و إنتشار ألشّك و آلكذب و آلتدليس و فقدان الثقة و نكران كلّ جميل .. بعد ما أشاعَت الحكومات النهب و الفساد خصوصا الجاهل صدام حسين و حزبه كما الأحزاب الأخرى بعد 2003م, فصارت الغيبة و النفاق و الكذب وكتابة التقارير مسألة عادية .. و بآلتالي تعطيل الأنتاج العلمي و الزراعي و الصناعي الذي تسبب في نشر ألفقر و آلحرب و آلعنف بين آلعراقيين حتى شاعتْ ألفوضى و عدم ألأنسجام بين آلجّميع .. بدءاً بذاتِ آلعراقيّ ثمّ آلعوائل فيما بينها و حتى المؤسسات الحكوم نفسها بل حتى الدائرة المحيطة بها حيث بات كل واحد يتآمر و يتجسس على صديقه و حتى أبوه فالهيئات و آلجّماعات و آلكتل و آلكيانات ألدّينيّة و آلسّياسيّة ووو كلّ أصناف ألمجتمع ألعراقيّ اليوم تسير و تتعامل و للأسف ألشّديد على هذا الأساس ممّا عمقّت الطبقية و الإستعمار و شيوع الرذيلة!

و آلسّبب هو تعاظم الإنّية و طغيان ألذّاتيّة حتى بات ألعراقيّ - و العربيّ و كثير من الناس لا يسمعْ و لا يرتاح إلّا لمكنونِ هوى نفسهِ و ما توحيها ذاته فيتقوقع على نفسه .. ويحاول آلأنتصار لها في كلّ ألأحوال و بكل السّبل الممكنة كآلكذب و آلنّفاق و الحيلة في حال الأضطرار و نادراً ما تجد من يستسلم للحقيقة معترفاً؛ و لعلّ السبب الأكبر هو؛ كونه لمْ يتربّى أساساً

على التعليم و التربية الصحيحة و ألقيم ألصّالحة و آلمُثل ألأنسانيّة ألعُليا و آلمنطق و آلرّحمة و آلشّفقة و حبّ آلخير و آلأيثار و التواضع بسبب فقدان الوالدين أو مناهج الأنظمة الجاهلية الإرهابية و الأسباب الثلاثة التي ذكرناها آنفاً .. إلى جانب الوضع الأجتماعي و الأقتصادي كآلفقر و آلحرب و العنف الذي يعانيه الشعوب المسكينة, مُتحسّساً على آلدّوام ألشّعور بآلنّقص و آلضّعف و آلمهانة و إنحطاط آلشّخصيّة .. نتيجة لذلك و آلضّغوط آلتي واجهها في آلبيت و آلمدرسة و آلقوانين ألمجحفة و إنعكاس الشخصيّة الصداميّة ـ ألبعثيّة و ألعشائريّة و آلنّظريّات ألخاطئة في العراق على طبيعة الحياة ألّتي تربّى عليها مُذ كان جنيناً في بطن أمّه حتى المراحل اللاحقة حين كان يسمع صرخاتها بسبب العراك و الضرب و وحشيّة ألأب و قسوتهِ و آلعُنف ألأسريّ ألذي سادَ و لا يزال في كلّ ألمُجتمع حتّى صاحَ آلجميع؛ (ياحوم إتّبع لو جرينه لكن لا على الاعداء الحقيقيين؛ بل فيما بينهم .. على الزوجة أو العامل و الخادم الذي تحت يديه أو على إبنه و أرحامه و جيرانه) و هكذا تعاظم هذا الامر الأخلاقي خصوصاً بعد رحيل ألبعث ألجّاهل ألمجرم عام 2003م و حصول الناس على الحرية النسبية .. لذلكَ و بسبب جُبن ألعراقيّ و خنوعه و بُعده عن ألحقّ و تكوره على ذاته نتيجة تلك التربية توسّل أخيراً بآلعشيرة و آلحزب و آلخلايا ألأرهابيّة و آلعصابات و المليشيات و آلمحسوبيّة و آلمنسوبيّة بعيداً عن الحقّ و القيم و المنطق و ولاية الله و آلمُؤمنين و شرع الله الذي للأسف لا يعلم أسراره و عرفانه حتى مراجعهم لأنهم لا يدرسون من كتابه سوى 300 إلى 500 آية فقط تخصّ ألأحكام العباديّة, و كأنّ معظم القرآن لم ينزل لهدايتهم ولا يختصّ بهم .. كل هذا ليُحقّق مبغاهُ ألشّخصيّ و أهدافه الخاصة بتبريرات جاهليّة, مُحطّماً آخر ما تبقى من آلقيم و آلأسلام ألمُغيب أساساً, و ألّذي حاول يائساً مخلصين معدودين ممّن تبقى لإحيائه و لو بشكل محدود!

و لا أجانب الحقيقة لو قلت بأن تلك آلقيم أصبحتْ آلآن عاراً على كلّ من يُنادي بها أو يريد تطبيقها في العراق و آلّتي تأمرنا أوّل ما تأمرنا بآلتواضع و الصدق و آلمحبّة و آلتّسامح و آلإيثار و آلشّرع و آلأخلاق ألفاضلة و حمل آلأخوان على محامل ألحسن فيما لو أخطؤوا و إحترام آلأنسان و ألقانون و آلتي جميعها باتتْ للأسف لا تتطابق مع نَفَسِ و روح ألعراقي و البشر – ألغالبيّة ألعُظمى منهم – بسبب تشبّع أرواحهم بآلظلم و آلحُقد و آلكراهيّة و آلقسوة و آلفساد و الخيانة و آلأنحراف و آلضّعف و آلأستعداد ألكامل لإرتكاب آلجرائم و آلسّرقات و النصب و الغيبة و الكذب و النفاق الذي بات زادهم اليومي, بآلطبع نستثني منهم ألثّلة ألقليلة ممّن قد تبقى من ألمؤمنين ألّذين بقوا و ثبتوا على إيمانهم و لم يأكلوا الحرام و لم يشتركوا بهذا الدمار و آلإرهاب خصوصا أن بعضهم تغرّب في بلاد العالم و لم يشارك العراقيين في الظلم و الفساد و الحروب!

و هذا هو سبب تفاقم و شيوع الفساد و ألظلم و القتل و آلأرهاب و آلذبح و الطلاق و حتى زنا المحارم و اللواط و المثليّة الجنسية و رمي الأطفال في البحر من قبل الأمهات و حتى قتلهم من قبل آلآباء و رجوعهم للوراء و تعصّبهم للعشيرة و آلحزب و آلقبيلة بدل مبادئ الأمام الحسين(ع) العادلة و مبادئ آلأسلام ألحقيقيّة ألتي تمسكوا بظاهره فقط, و إنغلقوا عن ألحقّ و آلتّواضع و آلرّحمة و آلأنسانيّة و التضحية لأنقاذ مظلوم أو الدفاع عنه لإبتعادهم عن العشق و المعرفة و حقائق الوجود و غايته, لهذا إستحقوا عملية الإستبدال التي وصلت لأشواطها الأخيرة و لا حول و لا قوّة إلّا بآلله.

ألحل الوحيد للقضاء على هذا المسخ الشامل ألذي حلّ بآلعالم, و عملية الإستبدال بآلأستخلاف هو نشر المعارف الكونيّة و الدّين الحقيقيّ بدل الدِّين ألشكليّ التقليديّ الرائج الآن في بلادنا و العالم, و يتمّ هذا بآلتأمل و التفكر و إستيطان النفس على المعارف و القيم و ذلك :
بتفعيل برامج تعليمية في المدارس و الجامعات بدءاً بآلروضة و بفتح المراكز الأعلامية الهادفة و المنتديات و الندوات الفكريّة و الثّقافيّة و مشاركة الناس الفعالة في إحيائها بشرطها و شروطها و أولها تطبيق العدالة و دفع المجتمع عبر مؤسساتها الأعلاميّة و التربويّة و الدينيّة إلى التفكر و التامل و البحث عن الجّوهر وقد بيّناها في السلسلة الكونيّة و منها:

[أسس و مبادئ المنتدى الفكري], [محنة الفكر الأنساني], [نظرية المعرفة الكونيّة], [فلسفة الفلسفة الكونيّة] و غيرها.

---

(1) Ichizophernia.
من علاماته: تحدّث المريض مع نفسه سرّاً و علانية؛ يسأل نفسه و يجيبها؛ يتكلّم و كأنه أمام الطلاب؛ يكون عنيفاً مع المقربيين و ودودا مع الغرباء بسبب الخوف؛ متقلّب ألمزاج؛ يخاف المستقبل؛ يخاف النور و يحب الظلام؛ يتحذر من قبول الرأي الآخر؛ قليل التجربة بسبب إنعزاله عن المجتمع؛ ينتصر لذاته للحق, كل هذا بسبب ما واجهه من ظلم و ضغوط نفسية.
(2) للمزيد من المعلومات؛ يرجى الاطلاع على (موسوعة علم النفس و التحليل النفسي) للاستاذ الدكتور فرج عبد القادر طه و آخرون، أو كتاب (ألأنا و ميكانيزمات ألدفاع) تأليف: آنا فرويد.

ألخيال بين آلحقيقة و آلوهم :

ألخيال بين آلحقيقة و آلوهم :
معايير وملاك الحقائق والأوهام :

تمهيد:

لقد طال الحوار محتدماً بين أنصار الحقائق و الأوهام ، و كان لكلٍّ أعوان ، فلم يبرح الحِجاج قائماً على ساق عبر قرون متطاولة بين الطرفين, فإذا كانت الحال هذه؛ فيجب فعلى كل ذي لبّ أن يتعرف على ملاك الحقيقة ما هو؟
و ملاك الوهم ما هو؟
وأنّه كيف توصف قضية بكونها حقة، و أُخرى بكونها باطلة؟
أو يحكم على فكر بالصواب، و على آخر بالخطإ؟ أو على خبر بأنّه صادق، و على آخر بأنّه كاذب؟

ثمّ بعد التعرف على (القاعدة) أو الملاك الّذي يكون به الشيء حقّاً أو باطلاً، لا بدّ من معرفة الطريق الّذي نستكشف به وجود ذلك الملاك، ليكون سلوكه موصلاً إلى ما نتطلبه من حقيقةٍ و صدقٍ و صواب.

والبحث الأول بحث ثبوتي؛ نبحث فيه عن الملاك الواقعي لاتّصاف القضايا في نفسها بالحقيقة أو البطلان، سواء أكانت هناك معرفة أم لا.
و أمّا البحث في الثاني فإثباتي؛ و هو طريق معرفتنا باتّصاف القضيّة المطروحة أمامنا بأحد ذينك الوصفين.

و إن شئت فعبّر عن البحث الأول بقولك : ما هو ملاك كون شيء حقيقة أو وهماً؟

وعن الثاني بقولك: ما هو ملاك معرفة الحقيقة و تمييزها عن خلافها؟

و يمكن القول بعبارة ثالثة: البحث في الأوّل بحث كليٌّ، لا يمت إلى قضية خاصة بصلة، و إنّما العقل يقسّم الأفكار و القضايا إلى حقّة و باطلة، فنسعى إلى معرفة الملاك الّذي به تنقسم القضايا إلى ذينك القسمين.
ولكن البحث في الثاني بحث عن قضية شخصية مطروحة في باب فلسفي أو علمي ، نريد أن نعرف أنّها قضية حقيقية أو باطلة، فنسعى إلى إثبات وجود ملاك الحقيقة أو ضدّها فيها.

و لنمثل لذلك بالعالم الطبيعي الّذي يبحث عن حقيقة الذهب و الفضة ، فبعد البحث والتحليل يتوصل إلى أنّ الذهب هو عنصر طبيعي؛ معدني؛ أصغر اللون؛ رنّان؛ يذوب عند درجة (١٠٦٣) سانتيغراد؛ و يغلي عند درجة (٢٩٧٠)؛ و الفضة عنصر طبيعي؛ معدني رمادي اللون ، يذوب عند درجة (٨ و ٩٧٠) سانتيغراد؛ و يغلي عند درجة (٢٢١٠).

ثمّ بعد ما تبينت له الحقيقة بصورتها العلمية ، ربما يواجه قضية جزئية ، كتشخيص هذا الخاتم الّذي يلبسه ، هل هو ذهب أو فضة، فهنا يحتاج إلى ملاك آخر ، يوصله إلى معرفة أيٍّ من ملاكات حقيقة الذهب والفضة موجودة فيه.

و لأجل ذلك فصلنا البحث الثاني عن الأول ، وهما من المباحث المهمّة في نظرية المعرفة الكونيّة، و في هذا الفصل نبحث في المجال الأول ، ونستعرض آراء الفلاسفة القدامى و الجدد فيه.

يرى الفلاسفة الإسلاميّون أنّ القضية الصادقة هي المطابقة للواقع ، و الكاذبة هي المخالفة له.
وإليك توضيح نظريتهم :

إذا قيس موجود إلى موجود آخر ، فإمّا أن ينطبق أحدهما على الآخر ، كالذراع على الذراع ، والمتر على مثله ، فعندئذٍ يرى بينهما التوافق والانطباق ، والوئام والتآلف.
أو لا ، كما لو لوحظ كلّ منهما مع النقطة الهندسية (آخر الخط) ، فإنّ الّذي يتراءى حينذاك هو حالة التباين و التخالف ، و فقدان الارتباط والانسجام ، وكل ذلك ضروري.

وهاتان الحالتان (الانطباق وعدمه) لا تختصان بالأمور الخارجية ، بل تتحقق أيضاً في الإدراكات الذهنية إذا نسبت إلى الخارج ، فلا أحد يشك في أنّ قولنا : (الأربعة أكثر من الثلاثة) ، قضية تنطبق على الواقع ، كما أنّ قولنا : (الثلاثة أكثر من الأربعة) ، تباينه و تعانده.

والتدبر في هاتين الحالتين أوجب تقسيم الإدراكات التصديقية إلى صائبة و خاطئة، فيقال : قضية صادقة أو قضية كاذبة.
وعلى ذلك ، فالصّواب والخطأ لا يطلقان إلّا بعد تحقّق أُمور منها:

١. قياس النسبة الموجودة في القضية إلى واقعها.

٢. تحقق الاتّحاد بين المقاس والمقاس عليه ، وعدمه.

٣. الحكم بأنّ هذا ذاك ، أو أنّ هذا ليس بذاك.

وعلى ضوء الأمر الأوّل ، لا يعقل الصواب والخطأ في المعاني المفردة ، والمفاهيم التصورية ، لأنّ المقايسة لا معنى لها إلّا بوجود أمرين : النسبة الموجودة المدرَكة ، وواقعها. والمفهوم المجرّد عن المحمول والنسبة مثل : (زيد) ، لا يقاس إلى شيء آخر, وعلى ضوء الأمر الثاني يظهر لزوم التجانس بين القضية المدركة وواقعها ، فلو لم يكن هناك تجانس وتناسب لما صحّ الوصف بالصواب والخطأ ، لخروج المحل عن قابلية الاتّصاف بأحدهما. فلو لاحظت القضية المتقدمة (الأربعة أكثر من الثلاثة) مع قضية أُخرى غير مجانسة ، كقولنا : (الألماس يقطع الزجاج)، لم تتصف الأُولى بالصواب و الخطأ.
وعلى ضوء الشرط الثالث ، يظهر أنّ التطابق الواقعي وعَدَمه ، لا يكفيان في تحقق الصواب والخطأ ، بل يتوقف تحققهما على الحكم بالاتّصاف أو بسلبه ، وأنّ هذا ذاك أو أنّه ليس بذاك. فلو لم يكن في الوجود متعقِّلٌ ومتصوِّر ، لما حكم على قضية بالصواب والخطأ ، لفقدان الحكم والإذعان والتصديق.

فتلخص من ذلك أنّ ميزان الصواب والخطأ في الفلسفة الإسلامية إنطباق القضية المدركة مع واقعها.

أقسام القضايا و وقائعها :

لما كان ملاك الصحة و البطلان؛ و الخطأ و الصواب؛ والخير و الشّر، انطباق القضايا على واقعها .. فلا بُدّ من بيان أقسام القضايا و واقع كل منها ، و كيفية انطباقها عليه، فنقول :

تنقسم القضايا إلى ثلاثة أقسام رئيسية : خارجية ، و حقيقية و ذهنية.

فالقضية تتصف بالخارجية ، إذا كان الحكم فيها على موضوع لا ينطبق إلّا على الأفراد الموجودة في زمان الحكم فقط. كقولنا: (هلكت المواشي) ، و (قُتل من في المعسكر).

وتتصف بالحقيقية ، إذا كان الحكم فيها ناظراً إلى الأفراد المحققة حال الحكم والآتية بعده ، كقولنا : «كل جسم متناه ، أو متحيّز ، أو منقسم إلى غير النهاية».

وتتصف بالذهنية ، إذا كان الحكم فيها على الأفراد الذهنية ، كقولنا : «الكلي إما ذاتي (كالحيوان) أو عرضي (كالضاحك). والذاتي إمّا جنس أو فصل».

أمّا ملاك الصدق والانطباق في القضايا الخارجية ، فهو باعتبار نسبتها إلى ما في الخارج حال الحكم ، فإذا هلكت جميع المواشي في المرعى ، أو جميع من كان في المعسكر ، كانت القضيتان صادقتين ، وإلّا فكاذبتان.

ومثل ذلك القضايا الحقيقية ، فهي صادقة إذا طابقت نسبتها الخارج الفعلي والمستقبلي. أمّا في جانب الأفراد الموجودة بالفعل ، فواضح. وأمّا في جانب الأفراد المقدّرة فإنّا نفرضها موجودة ، ثمّ نحكم على الكلّ بأنّها كذا أو كذا. فإذا طابقتها النسبة كانت القضية صادقة ، وإلّا فكاذبة.

وأمّا القضايا الذهنية ، فالصدق فيها باعتبار مطابقة نسبتها لما في نفس الأمر ، إذ لا خارج لها حتّى تطابقه أو لا تطابقه. والمراد من نفس الأمر ، ما يقابل فرض الفارض. فقولنا : الإنسان كلي ، أو الإنسان نوع ، أو : الحيوان ذاتي للإنسان ، أو : الضاحك عرضي للإنسان ، كلها قضايا ليس لها مصاديق خارجية ملموسة حتّى تطابقها أو لا تطابقها. ومع هذا ، فلتلك القضايا واقعية في نفس الأمر ، وليست واقعيتها حسب فرض الفارض واعتبار المعتبر ، بدليل أنّ قولنا : «الإنسان جزئي» ، أو «ليس بنوع» ، باطل. وهذا يكشف عن أنّ هنا واقعية تفرض علينا صدق البعض وكذب البعض الآخر. فانطباقها على نفس الأمر ملاك الصدق ، وعدمها ملاك الكذب.

ومن هنا يعلم أنّ ملاك الصدق في القضايا الذهنية وفي جميع القضايا المعنونة في المنطق هو الانطباق على نفس الأمر الّذي هو أعمّ من الوجود الخارجي الملموس. فنفس الأمر في القضايا الخارجية هو خارجها ، وأمّا في القضايا الذهنية فهو واقعها، و إن لم يكن لها خارج ملموس.

فلو كنّا في مقام تحديد الإنسان بما هو هو ، من دون نظر إلى الخارج ، نقول : الإنسان حيوان ناطق ، فهي مطابقة لنفس الأمر وإن لم يكن لها خارج ملموس.

و يقابله القضايا الكاذبة ، كقولنا : «(لأربعة فرد)، فإنها ليس لها خارج و لا واقع.

و لأجل مزيد من الإيضاح نقول :

إنّ كثيراً من القضايا المنطقية والرياضية والهندسية تفقد المصاديق الخارجية ، ومع ذلك فليست فاقدة للواقع المسمّى بنفس الأمر ، وذلك لأنّ القضايا المنطقية كقولنا : «الإنسان نوع» أو «الإنسان كليّ» ، وإن لم يكن لها مصداق في الخارج ، إلّا أنّ الخارج على وجه يصحح انتزاع هذه القضايا منه ، وانتقال الذهن منه إليها. فبما أنّه يرى أنّ زيداً وعمراً وبكراً يشتركون

في الإنسانية ، و أنّ مفهومها مطرد فيهم وصادق عليهم صدقاً متواطئاً ، ينتقل من تلك الحقيقة الملموسة إلى مسألة منطقية ويقول : (الإنسان نوع) ، أو : إنّه (كليّ) ، على ما مرّ توضيحه.

فالخارج منصّة لانطلاق الفكر إلى تلك القضية الكلية الّتي يتخيل أنّها ليس لها مصداق في الخارج ، إلّا أنّ هناك حقيقة خارجية تصحح تلك القضية الكليّة.

وبذلك يعلم حال القضايا الحسابية ، إذ ليس لموضوعاتها وجود في الخارج. فليس في الخارج عشرة ولا مائة ولا ألف ، بل الموجود في الخارج هو الوحدات ، ولكن تلك الوحدات تصحح لنا انتزاع هذه المفاهيم والأعداد ، بل صنع قضايا كليّة منها ، الّتي منها جدول الضرب الّذي ابتكره «فيثاغورس» اليوناني ، فإنّك لا تجد في الخارج مصداقاً لقولنا سبعة مضروبة في سبعة تساوي تسعة وأربعين إلّا أنّ هناك واقعية تصحح تلك القضية وتعد منشأ انتزاع لها ، وهي أنا إذا كررنا سبعة أشياء سبع مرّات نصل إلى تلك النتيجة.

ومثله القضايا الهندسية ، وما يرجع إلى الأشكال الهندسية من مربع ومثلث ودائرة ، وقواعدها وضوابطها ، فإنّها كلها لا مصاديق لها في الخارج. خذ الدائرة مثلاً ، فإنّها على التحقيق ليست موجودة في الخارج ، و إنّما الموجود هو الجسم المادي و هكذا المربع - مثلاً - فإنّما هو مشكّل من خطوط ، والخط - بالمعنى الفلسفي (الّذي هو نهاية السطح) لا العرفي - لا وجود له في الخارج ، لأنّها (النهاية) أمر عدمي. ومع ذلك كلّه فالأحكام الواردة على هذه الأشكال بين صحيح وباطل ، وما ذلك إلّا لأنّ لهذه الأشكال مناشئ انتقال تصحح تصويرها ، كما تصحح الأحكام الواردة عليها. وعلى مطابقتها وعدمه يدور مدار صدقها و بطلانها.

وبذلك يعلم حال العلوم النفسية ، فإنّ الحالات الروحية من حسد و بخل ، و كرم ، و يأس ، و ...إلخ ، ليس لها وجود خارجي كالأجسام ، و لكنها بالقياس إلى العدم ، لها واقعيات ، كما أنّ لها آثاراً تصح كشفها والانتقال إليها ، و الحكم بصحة أو بطلان ما نقضي عليها من أحكام.

ومن هنا نرى أنّ الفلاسفة الكونيين يجعلون ملاك كون الشيء حقيقة أو وهماً ، أحد أمرين :
١- أن تكون القضية مطابقة للعينية الخارجية أو مخالفة لها.

٢- أن تكون القضية مطابقة للواقعية الّتي تناسب تلك القضية ، كما هو الحال في القضايا المبحوث عنها في المنطق وعلم النفس و العلوم الحسابيّة و الهندسية ، على ما مرّ من نماذج.

شبهات و حلول:

بعد أن اتّضح لك معيار و ملاك الصدق و الكذب و الخير و الشّر ، و الصواب و الخطأ عند الفلاسفة الكونيين ، يمكنك أن تدفع كل ما أُثير حوله من شبهات، من قبل بعض الغربيين أمثال فيليسين شاله eyallahC neicileF. في كتابه الفلسفة العلمية وغيره, ونحن نذكر هنا بعضها ليعلم مدى ضالتها و تفاهتها.

الشبهة الأُولى : إنّ هذا التعريف لا ينطبق على الحقائق الرياضية ، إذ ليس لموضوعاتها وجود خارجي.

الشبهة الثانية : إنّه لا ينطبق على الحقائق النفسانية لأنّها أمور نفسية وذهنية ليس لها وراء الذهن وجود خارجي حتّى يكون الانطباق ملاك الصدق وعدمه ملاك الكذب.

و يظهر الجواب عنهما بوضوح ممّا قدّمناه.

الشبهة الثالثة : إنّ التعريف لا ينطبق على القضايا التاريخية المندثرة لزوال موضوعاتها ، فلم يبق منها شيء في زمان الإدراك حتّى تطابقه أو لا تطابقه.

و هذه الشبهة بمكان من الضعف ، وذلك لأنّ القضايا التاريخية وإن لم تكن موجودة في ظرف الإدراك والحكم ، إلّا أنّها موجودة في ظروفها. فإذا قلنا : (أرسطو تلميذ أفلاطون) كان صحيحاً ، وإذا قلنا : (أفلاطون تلميذ أرسطو) كان كذباً ، و ما ذاك إلّا لأنّ الأول مطابق للواقع المتحقق في ظرفه ، والآخر مخالف له.
وكون شيء غير موجود في زمان الإدراك لا يجوّز إنكار وجوده مطلقاً حتّى في ظرفه.

فالإنسان الحاكم بالحكم في قضية تاريخية ، يعطف نظره إلى الوقائع السابقة المندثرة ، فيحكي عنها حكاية صادقة أو كاذبة,
هذه الإشكالات الثلاثة ذكرها «فيليسين شاله» في كتابه «الفلسفة العلمية» ، الفصل العاشر في قيمة العلوم وحدودها

الشبهة الرابعة : إنّ هذا التعريف ينبع من النظر إلى الكون نظرة جامدة فيتخيل أنّ عالم الطبيعة جامد ، و ثابت غير متغير ، و لذلك عرفوا الحقيقة بأنّها عبارة عن مطابقة الذّهن للعين كحاسة واقعية و ملموسة.

وأمّا على القول الّذي تتبناه الفلسفة الديالكتيكية من أنّ الكون لما يزل متبدلاً متغيّراً ، و أنّه لا يبقى على حالة واحدة ، فكيف يمكن أن يكون ملاك الحقيقة تطابق الذهن والعين ، فإنّ العين يذهب أو يتغيّر و يتبدّل ولا يبقى حتّى تطابقه القضية الموجودة في الذهن.

والجواب عنها بوجهين :

1- لو صحّ هذا الإشكال ، للزم بطلان جميع القضايا الحاكية عن الخارج ، إذ لا شكّ أنّ هناك قضايا علمية وعرفية يريد الإنسان بها شرح الخارج وبيانه ، فلو كان الخارج على وجه لا يستطيع الذهن أن يحكم عليه بشيء ، للزم بطلان كل الأحكام الصادرة عن الإنسان ، لأنّ كل موضوع يتبدل قبل الحكم عليه. فلا معنى لقولنا ـ مثلاً ـ : هذه التفاحة طيبة الرائحة ، لو فرضنا تغيّر الموضوع وتبدّله.

2- إنّ التحول والتغيّر ، ليس بمعنى تبدّل الخارج إلى موضوع مغاير له من جميع الجهات ، وإنّما التغيّر في الطبيعة الثانية أشبه بتعاقب الأمثال. فالتفاحة الثانية استمرار للتفاحة الأولى حسب الوجود ، فهي في حالة البقاء نفس التفاحة في حالة حدوثها ، ولأجل ذلك يصحّ الحكم عليها بالطيب.

و على ضوء ذلك ، فلو كان التغيّر شاملاً للذات و الصفات معاً، كما إذا صار الحطب ناراً، أو في الصفات ، كما إذا تغيّر لون الفاكهة من البياض إلى الحمرة ، فالحكم عندئذٍ على ذلك الموضوع المتغيّر ذاتاً ووصفاً ، أو وصفاً فقط ، إن كان راجعاً إلى حالاته السابقة ، يكون أشبه بالحكم على الموضوعات التاريخية المعدومة ، فالذهن يُحضر الصورة المنطبقة على الحالة الماضية ويحكم عليها بشيء. وأمّا إذا لم يكن متغيّراً في الذات والصفات ، بل بقي على ما كان عليه ، ولو ظاهراً ، فيحكم عليه بأنّه كذا وكذا. فكون الطبيعة متغيّرة ، لا يضرّ الحكم والإذعان به ، لكون اللاحق مماثل للسابق من جميع الجهات.

وهذه الإشكالات وأمثالها تعرب عن أنّ فلاسفة الغرب لم يقفوا على معالم الفلسفة الإسلامية وقوفاً كافياً ، ولم يلمّوا بنظرياتها إلماماً وافياً.

و هكذا عرضنا بوضوح معيار الحقيقة و الوهم في الفلسفة الكونية، و فيما يلي معيارها عند الغربيين, مع ملاحظة أن المنطق المعتمد في الحوزة العلمية و كذا في الأزهر هو المنطق الأرسطوي بمعنى الفضل الأكبر للغربيين في بيان و تحقيق علومنا و شرعنا و هذا في الحقيقة إشكال كبير على الحوزة و مدارسنا الدينية, و قد تمّ إضافة بعض النصوص و الأمثلة لتنسيبها للأسلام, على أية حال الفضل الأول يعود للفلاسفة الغربيين في هذا الباب و سنشرح بعض الملامح المتعلقة بذلك.

نظريات الفلاسفة الغربيين :

جنح عدّة من فلاسفة الغرب إلى معايير أُخرى لتمييز الحقيقة عن الوهم ، نطرحها أمامكم.

النظرية الأولى : الحق هو المقبول والموهوم هو المرفوض

اختار هذه النظرية الفيلسوف الفرنسي [(أوغست كونت ١٧٩٨ ـ ١٨٥٧ م) etmoc etsuguA مؤسس المذهب الوضعي msivitisoP القائل بأنّ الملاحظة و التجربة هما السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة الكاملة التامّة.
و يضيف الحقيقة تارة إلى الفرد وأُخرى إلى المجتمع ، و إليك فيما يلي توضيح تلك النظرية :

إنّ فكرةً ما إنّما تكون حقيقة لدى الفرد ، عند ما تكون موافقة لسائر أفكاره وملائمة لها. وتكون خاطئة إذا كانت هناك مطاردة بينها وبين سائر أفكاره.

وتكون الفكرة حقيقة لدى المجتمع ، إذا كانت مقبولة لدى أبنائه ، يتفقون عليها قولاً وعملاً. فما داموا متفقين عليها فهي موصوفة بالحقيقة ، فإذا تغيّرت آراؤهم إلى فكرة أُخرى ، تكون الأولى خاطئة والأخيرة هي الصائبة.

مثلاً : انّ فرضية (بطليموس) eemelotP (٩٠ ـ ١٦٨ م) القائلة بأنّ الأرض ثابتة لا تتحرك ، والأفلاك تدور حولها ، كانت مقبولة لدى الناس والعلماء في العصور الغابرة مدة تمتد أكثر من خمسة عشر قرناً. فهي ـ إذن ـ كانت حقيقة وصحيحة في تلك الأعصار ، ولا يضرها مخالفة عدد قليل من العلماء (٢) لبعض جزئياتها.

و في مطلع الحضارة الحديثة ، تغيّرت هذه الفرضية إلى فرضية أُخرى ساهم في إبداعها أقطاب علم الهيئة الأربعة :

1- كوبرنيك cinrepoC البولوني (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ م) ، فإنّه أنكر كون الأرض مركزاً تدور حوله الشمس والسيارات ، وبرهن على مركزية الشمس ودوران الأرض وسائر الكواكب السيّارة حولها.
2- كپلر relpeK الألماني (١٥٧١ ـ ١٦٣٠ م) ، فإنّه أثبت أنّ كلّ سيّارة تدور حول الشمس في مسار بيضاوي ، و أنّ السيارة القريبة من الشمس أسرع حركة من البعيدة عنها.

في فترات متقاربة من عصر كوبرنيك و كبلر كان أبو الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) في الشرق مخالفاً لسكون الأرض و كونها مركزاً للكون و أشار إلى دوران الأرض, كما كان الشيخ البهائي (المتوفّى ١٠٣٠ ه) قد أشار لها أيضاً.
ولكن لما كانت الأوساط العلمية خاضعة للنظرية؛ لم تخرجها تلك المخالفة عن كونها حقيقة ، على مذهب كانْت.

3- غاليليو oelilaG الإيطالي (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م) ، فإنّه أثبت بمنظاره الفلكي وجود كواكب كثيرة لم تكن معروفة إلى ذلك العصر.
4- نيوتن notweN الإنكليزي (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧ م) ، فإنّه أثبت تماسك النظام الشمسي بفضل قوتي الجذب والطرد المركزيتين عن الشمس وإليها ، فكل سيارة تدور على مدار فيها قوتان : قوة الطرد عن المركز (الشمس) وقوة الانجذاب إليها ، وفي ظل تعادل القوتين تستقرّ في مدارها.

فهذه النظريات الجديدة التي حلّت محلّ نظرية بطليموس ، حقيقية صادقة ، أيضاً ، و نظرية بطليموس غدت باطلة بعد أن كانت صادقة, و ما دامت هذه النظرية مشهورة مقبولة في الأوساط العلمية ، فهي حقيقة .. إلى أن تحلّ محلّها فرضيات أُخرى.

تحليل هذه النظرية

إنّ القائل بهذه النظرية خلط بين المسائل الاجتماعية والسياسية التي لا مصدر لها سوى تصويب الرأي العام ، والقضايا الكونية الحاكية عن الخارج, فلو صحّ ما ذكره، فإنّما يصحّ في القسم الأول من المسائل ، إذ من الحقوق المسلّمة لكلّ شعب أن يعيّن لون النظام الحاكم عليه ، فكل ما يصوّت له الشعب ، هو الحق ، ما دام الشعب مؤيّداً له ، فإذا تبدّلت رغبتهم إلى نظام آخر ، بطل الأول وكان الثاني هو الحق والحقيقة.

و أمّا القضايا الحاكية عن الكون ، فليست المقبولية فيها ملاك الحقيقة، ولا الرفض ملاك الخطأ ، فملاك الحقيقة في القضايا الرياضية والفيزيائية والكيميائية والفضائية ليس هو تصويت الرأي العام لها ، بل إنّ مجموع زوايا المثلّث تساوي ١٨٠ درجة ، سواء اتّفق الرأي العام والعلمي عليه أم لا ، هو ذلك شاءُوا أم أبوا ، كما أنّ محيط الدائرة يساوي قُطْرَها مضروبٌ في النسبة الثابتة () ، دائماً و أبداً.
وإن شئت قلت : إنّ القضايا على قسمين :

قضايا لا تحكي عن الخارج ، وهذه مثل الحقوق المجعولة للشعوب ، فإنّ لكل شعبٍ ، الحرية في اختيار مصيره ، فإن جنح شعب إلى الاتّحاد مع شعب آخر ليشكّلوا دولة واحدة ، فذلك لهم. وإن جنح إلى الانفصال وترك الحلف ، فذلك له أيضاً, و هو حقّ في كلتا الحالتين، لأنّ الشعب يميل إليه, فهذه القضايا ليست حاكية عن الخارج، فلا مناص من جعل الملاك فيها؛ الإجماع و التصويت ، وعدمهما.

وقضايا حاكيات عن الخارج ، تُري الحقيقة الراهنة وراء الذهن. وبما أنّ الحقيقة ليست متعددة ، بل هي واحدة ، فلا يمكن أن تكون كلتا النظريتين موصوفة بالحقيقة ، فإنّ الأرض إمّا أن تدور حول الشمس ، أو تدور الشمس حول الأرض ، وليست الحقيقة خارجة عنهما. فالقول بأنّ كلتا النظريتين صائبة وحقيقية ، كل في ظرفها الخاص ، يرجع إلى السفسطة وإنكار كاشفية العلم ، فإذا كان المكشوف واحداً ، فأحد العلمين خطأ ليس له كشف ولا إراءة.

فكان الحري بهذا الفيلسوف دراسة المسائل السياسية والمسائل الكونية ، والإمعان في كل منها ، ليعرف الفرق في ملاك الحقيقة والخطأ بينهما.

النظرية الثانية : الحق هو النافع و الموهوم هو الضار.

و هناك نظرية ثانية في تمييز الحقيقة عن الوهم قالت بها الفلسفة البراغماتية MSITAMGARP , و هي أنّ كل ما يكون نافعاً فهو حقّ ، و كل ما كان ضارّاً فهو باطل, فالعدل حقّ إذ به يقوم المجتمع وينسجم ، والظلم باطل لأنّه يهدم المجتمع ويشتت شمله, وهكذا سائر القوانين والسنن الاجتماعية والسياسية, و يلاحظ عليه أمران :

الأوّل : إنّ ما ذكر إنّما يختصّ بالأحكام الكليّة والقوانين العامة ، فالصدق؛

ـ بما هو هو ـ نافع ، والكذب ـ بما هو هو ـ ضارّ, و لكن اتّصاف الصدق بالنفع ، والكذب بالضرر ، إنما يختصّ بالكلي منهما ، وأمّا في موارد التطبيق فربما ينقلبان فيكون الصدق ضاراً والكذب نافعاً. كما لو أُصيب إنسان بذبحة قلبية ، وفي تلك الأثناء مات ولده بحادث ما، فسأل الأب عنه، فإنّ الإخبار عن الحقيقة و الواقع ضارّ لأنّه ربما يؤدّي إلى اشتداد أزمته وموته, والكذب و القول بأنّ ولده حيّ بصحة جيّدة ، نافع.

الثاني : إنّ هذا الملاك يختصّ بما يقع في إطار حياة الإنسان العملية ، وأمّا الأمور الخارجة عن ذلك الإطار ، كالقوانين الفيزيائية والكيميائية والرياضية و ...إلخ ، فإنّ جعل الحقّ والصائب منها ما كان نافعاً ، والباطلِ والخاطئ منها ما كان ضارّاً، بعيد غاية البعد عن التفسير بالواقع.

و إن شئت قلت : إنّ الملاك المذكور يناسب المسائل الأخلاقية والاجتماعية والاعتقادية ، فيفسَّر فيها الحق بالنافع ، والباطل بالضارّ ، لا المسائل العلمية الّتي يدور الصواب والبطلان فيها مدار مطابقة الواقع ومخالفته ، كما تقدّم.

نعم ، إنّ الذكر الحكيم ، عند ما يصوّر نزاع الحق والباطل ، ينسب الحق إلى ما ينفع ، والباطل إلى ما يضرّ ، يقول : (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ)(1).
ولكنها لا تناقض ما ذكرناه ، وذلك لأنّ الآية في مجال بيان الاعتقادات الدينية ، وأنّ الحق منها في نفس المؤمن مثل الماء النازل من السماء ، الجاري في الأودية على اختلاف سعتها ، وينتفع به الناس وتحيا به قلوبهم ، ويمكث فيها الخير والبركة.
وأمّا الاعتقادات الباطلة في نفس المشرك ، فهي كالزبد الّذي يربو السيل ، فإنّه لا يلبث أن يذهب جفاءً ويصير سدىً(2).
وأين هذا من بيان الحق
والباطل في القضايا الشخصية والعلوم؟. ومثلها الحركات الاجتماعية ، فالآية تنطبق عليها مثل انطباقها على العقائد.

النظرية الثالثة : الحقيقة أمر نسبيّ لا مطلق

إنّ القائلين بنظرية النسبية في باب المعرفة ينكرون أن تكون الإدراكات البشرية ، إدراكات مطلقة ، ويصرّون على أنّ الحقيقة تختلف باختلاف الظروف المحيطة بالمدرك ، وقد شرحنا نظريتهم عند البحث عن قيمة المعرفة ، فلا نعيد.

وعلى ضوء هذا ، يقولون : إنّا نصف أحد الأخلاّء في فترة من فترات الرفاقة ، بالإخلاص ، ونَصِفُهُ في فترة أُخرى بالخيانة. وكلا القضاءين حقّ صحيح ، و ما ذلك إلّا لأنّ الظرف الأوّل يوحي إلينا بالقضاء الأوّل ، والظرف الثاني يوحي إلينا بالقضاء الثاني.

ونظرية بطليموس القائلة بأنّ الأرض مركز العالم ، حقّةٌ وصائبة ، لكن بالنسبة إلى تلك الأعصار ، وإن كانت باطلة بالنسبة إلى هذه الأعصار.

والرأي الّذي كان سائداً في عدد العناصر الأساسية الّتي تشكل الكون ، وأنّها أربعة لا غير وهي : التراب والماء والهواء والنار ، هو رأي صحيح ، ولكن بالنسبة إلى تلك الظروف الّتي لم تكن لتنتج سوى هذا الرأي. ولكن عند ما تبدّلت الظروف ، وخضعت الطبيعة للإنسان المجرّب ، تجاوز عددها المائة وأربعة عناصر ، ولعلّ الظروف الآتية تنتج غير ذلك. فالكل حقّ بالنسبة إلى الأزمنة والظروف الّتي تنتجه.

بل يصحّ أن نقول : إنّ الموحّد والملحد كلاهما على حق ، لأنّ الظروف المحيطة بالموحّد تجرّه إلى التوحيد ، والظروف المحيطة بالملحد تدفعه إلى الإلحاد.

إلى غير ذلك من الأمثلة ، وكل ذلك ينتج أنّ الحقيقة المطلقة أمر مرفوض ، وإنّما كل الأشياء تقع في إطار الحقيقة النسبية.

يلاحظ عليه : إنّ الأمور على قسمين : إضافي وحقيقي ، والنسبيون

خلطوا بينهما وضربوا أحدهما بسهم الآخر ، وإليك البيان :

ما ذكره النسبيون إنّما يصحّ في الأُمور النسبية الإضافية ، وهي ما كان قوام حقيقتها بالنسبة والإضافة ، من دون أن يكون لها في حدّ ذاتها واقع محفوظ على كل حال ، كالسعة والضيق ، والكبر والصغر ، والفوقية والتحتية ...

مثلاً : افرض إنساناً يعيش في كوخ حقير لا تتجاوز مساحته عشرين متراً مربعاً وآخر غني يعيش في قصر عظيم تحيط به حدائق شاسعة مترامية الأطراف ، لا تقلّ مساحتها عن خمسين ألف متر مربع ، فإذا وردا مدرسة أمامها ملعب ، ولنفرض أنّ مساحتها بأكملها خمسمائة متر مربع ، فإنّا نرى الأوّل يستهولها ويصفها بالعظمة والكبر ، بينما الثاني يستصغرها ويصفها بالضيق والصغر. فلا شك هنا أنّ كلّاً من التوصيفين صحيح ، لكن بالنسبة إلى ما في نفس كلِّ واصف ، فالأوّل إذْ يصفها بالكبر والعظمة ، إنّما يصفها بذلك بالقياس إلى كوخه الحقير ، والثاني إذْ يصفها بالضيق والصغر ، فإنّما هو بالإضافة إلى قصره العظيم.

وهكذا إذا قلنا : الأرض كبيرة ، وقلنا : الأرض صغيرة ، فإنّ كلا القضاءين صحيح ، لكن كلٌّ بالنسبة إلى أمر ، فالأرض كبيرة بالنسبة إلى القمر ، وصغيرة بالنسبة إلى الشمس.

فليس للصغر والكبر واقع محفوظ حتّى نقيس القضاءين إلى ذلك الواقع ، ونصف أحدهما بأنّه حقّ ، والآخر بأنّه باطل. بل واقعيتهما هي بنفس الإضافة والنسبة القائمة بالنفس والذهن.

فما ذكره النسبيون إنّما يصحّ في مثل هذه الأُمور الإضافية الّتي لا واقعية لها إلّا ملاحظة الإضافة بين المقيس والمقيس عليه.

وأمّا الأُمور الّتي لها واقعية وراء النسبة والإضافة ، ولها حقيقة محددة يحكي عنها العلم ، ففيها يكون أحد القضاءين صحيحاً قطعاً ، وهو ما وافق الواقع وطابقه ، والآخر باطلاً قطعاً ، وهو ما خالفه. فقولنا : «درس أرسطو عند أفلاطون» ، وقولنا : «لم يدرس أرسطو عند أفلاطون» ، لا يمكن أن يكونا صحيحين وصائبين ، بل أحدهما حقّ قطعاً والآخر باطل قطعاً.

وبذلك يظهر الجواب عن الأمثلة الّتي تمسكوا بها ، فإنّها من الضآلة بمكان :

أمّا الأوّل : فإن أرادوا من صحة توصيف الصديق بالإخلاص والخيانة ، أنّه يصحّ أن يكون في ظرف خاص مخلصاً وخائناً في الواقع ، فهذا لا يقبله أحد ، كيف والصداقة والخيانة مختلفان في المبادئ والآثار.

وإن أرادوا أنّه يمكن لإنسان أن يتخيّل خليله في ظرفٍ مخلصاً ، ثمّ يبدو له بعد ذلك أنّه كان خائناً في ذلك الظرف ، فهذا لا يمت إلى النسبية بصلة ، فإنّ الرأي الأوّل يرفض الرأي الثاني ويدفعه ولا يصدّقه ، فأين اجتماع الحقيقتين المتغايرتين؟

ومن هذا يظهر حال ما زعموه في النظريتين المعروفتين في الأفلاك والعناصر ، فإنّ العلم ـ بما أنّه كاشف عن الواقع ومرآة إليه ـ فلا محالة تكون إحداهما خاطئة مطلقاً والأُخرى صحيحة مطلقاً.

وأمّا المثال المعروف لدى النسبيين ، الّذي يتمسكون به في أكثر كتبهم ورسائلهم ، وهو أنّ الإنسان إذا أدخل إحدى يديه في ماء بارد والأُخرى في ماء حارٍ ، ثمّ أخرجهما دفعة وأدخلهما معاً في ماء ثالث فاتر ، فإنّ كلّا من اليدين تخبر عن حقيقة تخالف ما تخبر به الأُخرى ، فهو مغالطة واضحة ، فإنّهم لم يميزوا بين أمرين :

أ ـ الحسّان يخبران عن شيئين مختلفين (الحرارة والبرودة).

ب ـ الماء الثالث في حدّ ذاته حار وبارد في آن واحد.

فالصحيح في المثال هو الأوّل ، وذلك لأنّ إحدى اليدين تنفعل بالماء الحار ، فتبقى الحرارة في عروقها ومسامّها ، واليد الأُخرى تنفعل بالماء البارد ، فتبقى البرودة فيهما. فإذا وردتا بعد ذلك في الماء الفاتر ، فلا شكّ أنّ اليد الحارة تحسّ بالحرارة، لأنّ حرارة الماء دون حرارتها ، واليد الباردة تحسّ بالبرودة ، لأنّ برودتها أشدّ من برودة الماء.

وأمّا الماء الثالث في حدّ ذاته ، مع قطع النظر عن اليدين المختلفتين في التأثّر والانفعال ، فإنّ له درجة حرارة معينة لا غير ، ولذلك لو بقيت اليدان فيه مدّة ، حتّى زالت عنهما التأثرات والانفعالات ، فإنّهما تحسّان بحرارة واحدة.

فالخلط حصل بين إخبار اليدين عن شيئين مختلفين ، وكون الماء متّصفا بأمرين متضادين ، فالصحيح هو الأول دون الثاني.

وكم لهم من زلّات وعثرات ناتجة عن عدم تعمّقهم في دراسة وفهم مبادئ الفلسفة الإسلامية ونظرياتها.

إلى هنا تمّ الكلام في مقياس الحقيقة والوهم وملاكهما ، وحان أوان البحث عن الأمر الثاني وهو بيان طريق الوصول إلى الحقائق ، وكيفية تمييزها عن الأوهام.

يجب ألتّفريق بين (الحقائق) التي هي نتاج الخيال ألمبنيّ على الفكر ألكونيّ(3) ألمُتّصل بآلحقّ و بين (التّصورات) ألمبنيّة على الوهم و الهوس العقلي, و السؤآل المطروح هو:

كيف نُفرّق بين الحقيقة والوهم في وجودنا و حياتنا؟

و هل كلّ ما نُعانيه الآن حقيقة أم وهم؟

و مدى تأثير الحقيقة و الوهم بالأحداث و مجريات حياتنا و عواقبنا؟

الكائن البشري حُشر بين (آلحقيقة و الوهم) لحكمةٍ عميقة تتعلّق بمسألة القضاء و القدر و السُّنن الكونيّة التي يجهلها من جهة و بالتأمل و الأدراك و التّفكر و الخيال الذي أكدّ عليها النصوص و التي يجهلها أيضاً أو يجهل القسم الأعظم و الأهم منها و هي المجال الذي يُحقق فيه الأنسان مبدأه و مصيره, لأنّ الأنسان بدون آلخيال و التصورات الأيجابيّة و الأندماج مع نغمة الوجود لا يتطور و ينشغل بنفسه و يملّ من الحياة الراكدة و يتحوّل إلى كائن هجومي كقطة (جام) مكسورة يجرح كل من يصادفه و لا يقاوم خطرات الأقدار و حوادث الوجود و ضروب الحياة و محنها التي لا تُعَدّ و لا تحصى منذ الولادة و حتى الممات للتأثير فيها إيجابياً، ذلك أنّ الذهن يُقيم في العالم الذاتي للأفكار و المفاهيم التي تنعكس من الحواس, و إن إبداعه و تغيير أحواله يتم بفعل التفكر و الخيال، و الانسان يُوجد و يعيش فيزيائيّاً في عالم الواقع ألماديّ ـ الموضوعيّ الذي لا يُمكن فهمه كليّا و بعمق و بشكل مباشر إلا بآلتّفكر و التّصور من خلال العقل الباطن الذي تحدثنا عنه سابقاً.

و فهم الحياة و الوجود كونيّاً تتعقد أكثر بتفعيل و استعمال (العقل الباطن) و (المنطق ألكونيّ) فليس سهلاً معرفته وإتقانه

لإرشاد الذّهن و (قوى الرّوح الخمسة) لإعمال نتاجه بعد معرفة الحقيقة و ماهيّة الواقع و سبل التّقدم لتحقيق فلسفة الوجود و الحياة السعيدة .. إلا أنّ تحقق ذلك الفهم الكونيّ في نفس الوقت رغم صعوبته و معوقاته؛ لكنه السّبيل الوحيد للوصول و التوحد مع أصل الوجود الذي إنفصلنا عنه باختيار أو بلا إختيار .. و التناغم مع نغمة الوجود بدل التكثّر و الإنغلاق و العيش السلبي الذي يصيب الجّميع فيفقد قلبه و يموت وجدانه، لأنهما(أي العقل الباطن و المنطق الكونيّ) لا يكتفيان ولا يثقان كثيراً باللغة التي هي غير كافية لبيان حقيقة معنى الخلق و الوجود, أو وصف الواقع و الصّمت و التعبير عن الحقائق بشكل واضح و عميق, لذلك و بمجرد ترك فهم الحياة كونياً ؛ يتسبب عادّة مّا الى آلتيه و إلـأزمات و مفارقات و حيرة حتى يفقد الأنسان ألأختيار أو (الحرية) التي تمثل عمق الكرامة, و التي بدونها – أي بدون الأختيار – يستحيل تحقق الفناء بعد طي ألأسفار الكونيّة التي حدّدناها سابقا, راجع (ألأسفار الكونية السبعة) و (محنة الفكر الأنساني) و (فلسفة الفلسفة الكونية).

لا يوجد .. بل لا نحصل على جواب مُحدّد للسؤال عن ماهيّة الواقع, لأنهُ أساساً في حالة تغيير و توسّع و تبدّل (نانوي) و المادّة أساساً وُلدت من غير المادة .. بعبارة واضحة يمكن للمرء تعريف الواقع باعتباره كلّ ما موجود بصرف النظر عن امكانيّة او عدم امكانية ملاحظته وفهمه بدقة و كما هي من حيث وجود التغيير المستمر لطبيعة ألوجود و الذي فرض على بعض العلماء ألبحث لأيجاد معادلة كونية تضم أبعادا أخرى للقياسات و الأحجام كآلنظرية النسبية و نظرية (الكَوانتوم) و غيرها.

يمكن للفرد التمييز بين الواقع الظاهر و الواقع النهائيّ وكذلك بين الواقع الفيزيقي المستقل عن الانسان و الواقع الذهني المتشكل إنسانياً, الواقع الفيزيقي يُعرّف كتمدد في المكان، له صفات فيزيائية و يوجد بشكل مستقل عن المراقب .. اما الواقع الذهني يفتقر للتمدّد في المكان و يوجد فقط في ذهن الفرد و بشكل مستقل عن المراقب, ولكن اذا كان الافراد يفكرون بأشياء مثل الاشجار او الصخور او الجزيئات الذريّة او الموجات الكهربائية أو الفوتونات الضوئيّة، فان واقعهم يبدو للمراقب الانساني كتمثيل جزئي للواقع النهائي.

الحياة أحداث و قضايا تُسبّبها مجموعة مُؤثرات وعوامل قد تلتقي بعضها مع البعض لتُشكل صميم حياتنا و مصيرنا على أرض الواقع و يمكننا القول بأن جميع البشر مشتركون في تقرير الأحداث كل بحسب موقعه و تأثيره فآلرئيس و المسؤول و المدير مثلاً في نظام معيّن يكون دوره أساسي و رئيسي في وقوع الأحداث خيراً أو شراً و هكذا الباقين كل بحسب قربه و بعده عن مسؤولي النظام، و تلك الأحداث تشمل كلّ مجالات الحياة الإنسانيّة (الاجتماعيّة، والأسريّة، والعمليّة، والتطوعيّة) و حتى المخلوقات و الجمادات و الأكوان باعتبارها تتداخل بنسب معينة كلّ حسب طاقته و أهميته و دوره و مدى قرب أو بُعد تلك الموجودات و المخلوقات في تقرير و تشكيل تلك الحوادث, وهناك نوعان من الأحداث في الوجود: أحداث يتحكم بها الأنسان، وأحداث كونيّة خارجة عن إرادة الأنسان ربما بعضها يتدخل فيها الأنسان أيضا بحسب الدلالات القرآنية كما عرضنا و يتم التحكم بها من خلال إنعكاسات العمل الجمعي و ليس إنسان واحد و تدخل ضمن السنن الإلهية و القضاء و القدر!

النوع الأول؛ هو الحدث الإنساني مثل التفاعلات التي حصلت بين سيدنا يوسف و والده يعقوب وإخوته، عندما حاولوا أن يمكروا به ليقتلوه بهدف الحصول على حُبّ أبيهم .. أو كما عبّر عنه القرآن (ليخلوا لهم وجه أبيهم)، و مكروا بالشر ليقتلوه، ثمّ يخفوا الحقيقة، و مكر الله بالخير ليكشف الحقيقة فإرادة الله فوق الجّميع، فنجى يوسف، وجازى الله يوسف بالمُلك و الكنوز و الكرامة و العزّة و الرفعة، والتمكين في الأرض باعتبارها نتيجة لأفعاله؛ هذه القصّة كانت حدثًا إنسانيًا و إن تداخلت لأستكماله بعض المكونات الطبيعية بإعتبارها كانت وسائل قهرية ضمن الأحداث، بدليل أن الله سماها في القرآن قصة أو حديثاً؛ أيّ حدث إنسانيّ [لقد كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ما كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَ لَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ](4), وفي قصة فرعون و موسى، يسمي الله أفعال فرعون و ثمود والعقاب الإلهي لهم بحدث إنساني؛ حصل لفرعون و ثمود وهذا واضح في قوله تعالى [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ](5).

النوع الثانيّ هو الحدث الكونيّ الذي يحصل للمخلوقات الكونيّة مثل الزلازل و البراكين و الهزات الكونية و الشهب و حركة الشمس و الأرض و أختلاف الفصول و الليل و النهار بتعاقبهما فيأتي هذا و يذهب الآخر بينما المكان واحد و هي حقائق تقع و ليست أوهاماً، إنزال الماء من السماء باعتباره رزقًا لإحياء الأرض و الهزات الأرضية و الشهب و النيازك دليل بارز و حقيقي لتداخل الأرادة و الأعمال البشرية فخيرها تجلب الخير و شرها تجلب الشر، فكل هذه الأمثلة تسمى أحداثًا كونية مشتركة تحصل يوميًا في الكون بأقدار و قوانين خلقها الله، تضبط حركتها وعملها بحسب السنن التأريخية، وهذا واضح في قوله تعالى مخاطبًا جميع الإنسانية بأن اختلاف الليل والنهار ونزول الماء بأنها حدث، أيّ أحداث كونيّة يشارك فيها آلإنسان بحسب دوره السلبي – المصلحي - الأنانيّ بآلنسبة للأحداث الرهيبة التي تواجه المخلوقات كعقوبة, أما الخير فمن الله تعالى؛ [ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك](6), و قوله تعالى؛ [إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ](7) و آيات كثيرة تدلل بأن الأيمان يجلب الرّزق (الكفاف) و الكفر يجلب القحط و الجدب و غلاء الأسعار .

فالإنسان العاديّ يحصل له يوميًا أحداث و إبتلآت إنسانيّة في مجالات عديدة و مصيرية، مثلما حصلت للأنبياء و الأئمة و الصالحين, فهذا سيدنا نوح و إبراهيم و إسماعيل و يوسف و موسى و عيسى و محمد خاتمهم عليهم أفضل الصلاة و السلام قد حصل لهم الكثير من المحن لكنها لم ترتقى لما حدث للخاتم(ص) حتى قال:[ما أوذي نبيّ مثلما ما أوذيت]، وقد تحصل أحداث كونية للبعض كرؤية كسوف الشمس وخسوف القمر، و تعاقب الليل والنهار، ونزول المطر، و آلثلج وغيرها و شق القمر كما أنبئنا القرآن!

والسؤال هنا يعيد نفسه: أين تحصل تلك الأحداث الكونيّة والإنسانيّة بعضها في زمكاني واحد, هذا و يجب علينا متابعتها لمعرفة أسرارها و غاياتها بآلعقل و الفكر و الخيال؟ و كيفيّة معرفتها و تفعيلها في الواقع و الأستفادة منها في حياتنا العملية؟

و الأهم هنا؛ كيف نفرّق بين الحقيقة التي نشهدها بآلحواس في الواقع و بين الوهم ؟
فالحقيقة موجودة في الواقع و لها دلالات تبدأ من المُخيّلة و قد وصفها الباري بـ علم اليقين و مركزها الفكر ثم (عين اليقين) حين يراها بآلعين, و أخيراً حقّ اليقين حين يعيشها كواقع بجوارحه و حواسه و من قرب و كما جاء وصفها في القرآن الكريم(8)، و الوهم موجود في تصورات العقل النظري و تصورات الناس عنك كي لا تلتبس علينا الأمور في الحياة فآلعَالم بزمانه لا تلتبس عليه الأمور!؟

و الحقيقة هي إنعكاس للواقع الذي نتلمسه بكل حوارحنا فحين يقال: [وقع الشيء وقوعًا فهو واقع, و مواقع الغيث: مكان سقوطه, و توقعت الشيء: أي انتظرته متى يقع](9) , فالنتيجة أن مكان سقوط و حصول الأحداث اليومية (الإنسانية والكونيّة) بما فيها الأكتشافات و الأختراعات و الصناعات المختلفة هو الواقع ألذي أساسه الخيال و ليس الوهم أو السراب أو الفراغ، ما يعني أنّ مكان وجود أفعالك كحقيقة هو الواقع، و ليس ما يصوره لك ظنونك فقط .. فيعتبر حينئذ وهم لا وجود له في الواقع ولا دليل عليه من العقل.

الحقيقة النهائية لا يمكن تعريفها بواسطة المفاهيم او الكلمات .. انها ربما لا تتغير ولكن من الصعب وجود ايّ شيء في الكون بشكل دائم. لا ضمان هناك ببقاء حتى القوانين الفيزيائية مع تطور الكون. الحقيقة النهائية ربما لا وجود لها. كذلك، هي لا يمكن الوصول اليها، لانه من غير المؤكد مقدار الحقيقة التي هي غير معروفة كليا او لايمكن فهمها بواسطة العقل الانساني. الكائن الانساني الفرد يبرز في العالم في عصر ومكان محددين، ولديه حياة قصيرة نسبيا في ظل الموت واللاّيقين المستمر خلال هذا الوجود المحدود، على الفرد ان يتكيف مع العالم الخارجي في صراع لا ينتهي ضد المجهول. حدود الوجود، التفكير المتحيز، وحدود الفهم كلها تؤدي الى الاوهام والتي يمكن تصورها كحقيقة. هذه هي اوهام المعرفة والفهم، اوهام الايمان واليقين، اوهام الزمن والابدية، الحرية، الرغبة الحرة، ومعنى الحياة. الاوهام يمكن ايضا ان تبرز من تصورات لاتدعمها الحقائق. الاوهام توفر راحة وجودية لكنها يمكن ايضا ان تؤدي الى عدم الرغبة لرؤية الاشياء كما هي وبدون أوهام, لكي يعترف المرء بالطبيعة الاسطورية للواقع، هو يصارع للتمييز بين الاوهام والحقيقة. ولكن ليس واضحا دائما ما اذا كان المرء يصل الى فهم عميق للواقع ام انه فقط ينتقل من وهم الى آخر. يميل الانسان بمعرفة او بدونها، لتشويه او تحريف الواقع لكي يجعله اكثر قبولا. الذهن الانساني يتم ارشاده نحو الاوهام التي يمكن تكييفها لحاجات الانسان ورغباته. من الصعب القول اين ينتهي الواقع واين تبدأ الأوهام لأن الانتقال بينهما عادة غير واضح وملتبس. ان تصوّر الانسان للعالم يتشكل باللغة. ولكن كل من اللغة وفهم الواقع عبر شكل من اللغة هما محدودان من حيث الاساس. السؤال هو حول ما اذا كانت الكلمات تمثل الواقع، او مفهوم للواقع، او تمثيل مختزل للواقع، وما اذا كانت الكلمات واللغة تخلقان حقائق منفصلة؟

حدود التصور؛ التفسير؛ الادراك, لا تسمح بفهم كامل للحقيقة .. تصورات الانسان للعالم و مفاهيمه للتفسير لافكاك منها وغير قابلة للفصل. وهكذا ولمدى أبعد، تكون الحقيقة المتصورة قد نُسجت بشكل معقد مع اوهام الملاحظة وتفسيراتها. من الصعب اختزال وصف الحقيقة بحقيقة واحدة او بأقل عدد من العناصر الاساسية. الذهن الانساني منحصر بالدماغ الذي هو مليء بالمحددات والتي تمنعه من اتخاذ منظور منفصل. ليس للذهن اتصال مباشر بالواقع، القيود المفروضة على حواس الانسان والادوات التي يستعملها تسمح له بتصور جزء صغير فقط من الواقع. حتى تلك التي تُنسب الى الكون المُلاحظ

والمتوفرة للحواس والوسائل العلمية يمكن ان تتشوه بالغربلة والتفكير المتحيز.

وهكذا، يكون الذهن الانساني مقيّد فيزيقياً و مفاهيمياً بمحدّداته و برمجته. و بالتالي، فإنّ الحالة الفيزيقية و الذهنية للكائن هي التي تقرّر ما يفكر به و طريقة تصوره وتفسيره للواقع, وبما ان دماغ الانسان يقتصر على عالم بثلاثة أبعاد، فان الذهن ايضا مقيد بهذه الظروف, التعلم الرياضي يوفر تمدداً الى ما وراء الحدود الطبيعية للتفكير, غير إن الذهن غير قادر على تصور الاشياء وراء حدود المنطق او التفكير الرياضي الى ما وراء الحدود المفاهيمية, لأن حواس الانسان محدودة، انها تقرّر حدود العالم الملاحظ؛ ألمشهود .. لكنه مع ذلك، فانه في وعي الحاضر، يبرز الوهم بان المرء يتصور العالم ككل بدلا من جزء منه.

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز العديد من الأحداث التي تحصل في المستقبل، كآلموت و عالم القبر والبرزخ وعالم الآخرة، و لقد ذُكرت باعتبارها أنباءاً و وعودًا غيبيّة أنزلها الله عبر الوحي إلى النبي (ص)، ثمّ وضّح أنّ كل الأحداث والوعود الغيبية التي ذكرت في القرآن ستحصل في الواقع (سواء الحاضر المنظور، أو المستقبل القريب أو نهاية الأرض و السماوات) فيشاهدها و يسمعها الأحياء و يحسها الأموات بدليل ما قاله أصدق القائلين من خلال ألآيات القرآنية التي وقعت و التي ستقع بحسب وعد الله :
[قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ, إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ, وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ](10).
وقوله بصراحة واضحة: [إنما توعدون لواقع] (11).

و لعلّ ما ورد في قضّية هزيمة الرّوم ثم إنتصارهم الثاني ثم هزيمتهم مرة أخرى في المستقبل على أيدي المؤمنين بحسب المؤشرات الدالة بعد إنتصار ثورة الأسلام؛ له المثال الواقعي الأبرز في قضية اتنبأ بآلمستقبل, فقد اخبرنا تعالى بهزيمة الروم على أيدي المسلمين قبل الهجرة في سورة الروم و هي مكية ما عدا آية 17 , بينما وقع الفتح ألأسلامي (هزيمة الروم) بعد أكثر من 10سنوات أي (13 هـ) بآلفعل(12), حيث جاء في سورة الروم قوله تعالى نصاً: [الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ](13).

بما أن الواقع هو مصداق حصول الأحداث (الكونية والإنسانية)، فالنتيجة أن مصداقية و صحة أي (قول؛ إدعاء؛ حلم؛ التزام؛ طموح؛ أمنية؛ تفسير أو تحليل؛ قرار؛ أحكام مسبقة؛ وعد؛ أحتمال؛ إعلان؛هدف، تأويل؛ اجتهاد فكري) هي حقائق تحصل في الواقع .. فإذا لم تحصل في الواقع، فهي مجرّد (وهم) يتوهمه الإنسان أو حتى المخلوقات الأخرى في عقولها بحسب مقدار دركها و ليست حقيقة بذاتها؛ أي أن الحقيقة هي ما يحصل في الواقع بدلالات و أفعال وجزاء و إنعكاسات مثل تخطيط و إنجاز شارع أو مشروع كبير أو مخطط بياني بعد ما تمّ تصوّره ثم تخيله ثم تخطيطه ثم تنفيذه على أرض الواقع.

أما الوهم فهو ما لا يحصل في الواقع مثل (تصور لحد ما يتحقق فعله؛ قول؛ ادعاء؛ حلم؛ التزام؛ طموح؛ أمنية؛ تفسير؛ قرار؛ أحكام مسبقة، وعد؛ كلمة؛ هدف؛ تأويل؛ اجتهاد فكري).

و إليكم مثالاً بسيطاً, فلو كان لديك حلم، موجود في العقل – ألباطن – طبعاً لأن العقل الظاهر لا يُمكنه صناعة الأحلام لإيمانه بمنطق الرياضيات و الحساب و الكتاب، فلو كنت تريد أن تكون رجل أعمال، و لم تكن قد أعددت خطة أوّلية و مقدمات على الأقل تتبعها أنشطة فعالة يومياً مع برنامج شامل و محكم و مكتب و مستشارين لتحويل ذلك الحلم ألمُتخيّل إلى واقع؛ فسيكون هذا الحلم فقط وهمًا (ألوهم يعني آلباطل في القرآن), و (الحقّ له مصداقيّة في آلواقع).

مثال آخر؛ لو كنت تعتقد بذاتك في العقل ألباطن الذي هو أقرب شيئ للذات يمكن إعتباره كتوأم له؛ لو كنت تعتقد بأنّ إعتقاد الناس عنك أنك كريم .. و لكن في الواقع عندما يأتيك يتيم سائلًا العون الماديّ تسخط في وجهه و ترفض، هذا يعني أنّ حقيقتك في الواقع بخيل، و تصورك عن نفسك مع تصورك عن تصور الناس عنك بكونك كريم مجرد وَهمْ؛ و هذا يؤكد أن مصداقية أي إعتقاد تتصوره لا بدّ أن يحصل في الواقع عمليًا, أو له إنعكاسات عملية أو سلوكية, و بذلك يعني أنّ كل ما يحصل في الواقع هي الحقيقة .. و كل ما لم يحصل هو الوهم؛ أي أن الواقع هو مخزن مصداق حقائق الإنسان و حقائق و ذخيرة المجتمعات الإنسانية, و هذه القاعدة تنطبق على المجال التربوي و السلوكي و الأخلاقيّ لأنسان أو لمجتمع ما قد يتصف بأخلاق عالية أو متدنية في تعامله على المستوى العملي يتقدمها صدق الحديث و المعاملة.

فالفرق بين الحقيقة والوهم؛ أن الحقيقة تحصل في الواقع المادي أو السلوك، و الوهم لا يحدث في الواقع بل يدور في عقل و خيال الإنسان (من أحلام، و أماني، و تصورات ذاتية عن نفسه، وطموحات)؛ وهذا ما تؤكده الآية التالية:

[قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ, قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ, وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ, فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ](14).

فهنا السحرة ألقوا عصيهم فتحولت لحيات، فعندما ألقى موسى عصاه إبتلعتها جميعا، فوصف الله هذه الحادثة بـ (وقع الحق) أيّ الحقيقة ألمتمثلة بعصا موسى التي إبتلعت عصيهم في الواقع و ليس في الخيال, لكنه تعالى وصف عمل السحرة (بالباطل)؛ أي (وهم) لم يحدث في الواقع، بل العقل خُيّل لموسى و للناس أن عصيهم تحولت لحيات سحرت العيون الظاهرية المجردة, و في الحقيقة كانت تلك معجزة كونية أراها الله تعالى للناس, كي يستوطنوا على الحق المبين الواقع.

و أن آلسّحر يكون حصرًا في العينين المجردتين و قد يُؤثر في روح الأنسان آلطيب لا الشرير، ولا يكون في الجسد المادي بدليل قوله تعالى : [قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ](15), و السّحر يصوّر للعقل ألظاهر أوهاماً فيتخيلها العقل حقيقة في الواقع فتراها العين، و الوهم هو زاهق و غير موجود أصلاً و أبداً في الواقع، بل موجود في العقل البشري كأحلام و تصورات، و أماني ذاتية عن نفسه، و طموحات، و لكن بمجرد تقييم الإنسان للواقع بآلتعمق فيه يجد الحقيقة فاقعة, بدليل قوله تعالى: [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا](16).

بما أن حقائق الإنسان و المجتمع الإنسانيّ و ما يحيط به من أفلاك و مكوناتلها هي في الواقع؛ فالنتيجة :
أن الواقع يعتبر مصدراً لمعرفة حقائق الإنسان أو حقائق المجتمع أو الحقائق الكونية من خلال التحقق في آلأفعال الفردية و آلأفعال الجماعية، و هذا بدليل قوله تعالى؛ [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ](17), أىّ أن الآيات الإلهية سيراها و يتحقق منها الإنسان عبر آفاق خياله و تصوراته التي تُبان في سلوكه و عمله ألذى سيظهر في البيئة و المحيط ألذي يعيش فيه.

طبيعة الحقيقة ببساطة و وضوح هي أنها إبتداءاً تتشكل كخيال في العقل ثمّ تترجم كأفعال في الواقع؛ و بالتالي تكون النتيجة أن حقيقة الفرد والمجتمع مكنونة و موجودة في الواقع، أما الوهم فيركبه العقل، فما تحسّ به و تعانيه الآن هو حقيقتك وهو ما تستحقه بسبب أفعالك التي تعملها، وما يعانيه المجتمع الآن هو حقيقته وهو ما يستحقونه باعتبارهم جماعة بسبب أفعالهم اليومية الجماعية؛ فالنتيجة حقيقية أحادية واحدة، وهي في الواقع قابلة للتغيير بتغير إرادة (الهدف والنية)، وفعل الإنسان (الأسباب التي يعرفها و يطبقها).

وهذا ينفي ما يفعله العامة من أفعال كثيرة تقودهم للفقر و المرض و إبتلائهم بآلحكومات الجائرة و الفساد، ثمّ ينسبون ذلك تارة لفساد الحكومة، و تارة لظروف المعيشة و البيئة أو لعوامل خارجيّة و تدخلات إقليمية، و تارة ينسبوها للقدر والجبروت الإلهي و القسمة، و تارة للشيطان و ضره، كأنهم يقولون إنهم لا يستحقون الواقع الحالي لأنهم أبرياء و طيبين ..

ولا يستحقون هذا الوباء أو ذاك و آلأمراض و آلفقر و الجهل و العنف و الإبتلاآت، و يعتبرونها وهماً، بينما يعتقدون بأن الحقّ هو أن يكونوا أغنياء وأصحاء و مرفهين, فآلذي يعتقد بأنه يستحق أن يكون غنياً مرفّهاً كتصور في عقله, إنّما ضلّ طريق الهداية و رضى على نفسه الأمارة بآلسوء التي فعلت أفعالًا تضيق الرّزق و تمنعه مثل ظلم الناس و قطع صلة الرحم و نكران الجميل و عدم القراءة و الأطلاع على الأقل على أحوال المسلمين و الناس، وعدم التفكير في إنشاء مشروع، أو البحث عن شركاء، والنوم على التوظيف و الراتب لكونه موظفً أو متقاعد أو ناهب مع الناهبين، فهذه أفعال تضيق الرزق بل و تقتل روح الأنسانية في وجود فاعليه، فتكون الحقيقة؛ المعاناة من ضيق في الرزق إلى أن تموت، بينما الوهم هو أن يتوسع رزقك بلا عمل.

أخيراً .. نصل إلى أستنتاج هامّ للغاية تُجسدّها المعادلة الحقيقيّة التالية:

سلوكك و أفعالك في الواقع + ما تُعانيه (خيراً أو شراً) = حقيقتك (الإستحقاق الحالي).
و الأبتلاء و المصائب التي تصيب ألمؤمنين فقط – و هم النوادر في هذه الدنيا – إنّما تكون لتطهيرهم أو إختبارهم أو إمتحانهم .. لزيادة رصيدهم في آلآخرة, و بآلنسبة للكافر عذاب و عقوبة, و أحيانا يكون الولد و المال الكثير عقوبة لهم.

و بناءاً على الوعود الإلهية التي تحققت عبر التأريخ كقضية الروم و القضايا التي وقعت زمن النبي و بعده و قد ذكرنا بعضها؛ فإنّ وعد الله في غيرها كالآخرة واقع, بحسب آلآية القرآنيّة الصريحة: [إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ

قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ](18).

وقوله تعالى ؛[الم () أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ () وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ () أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] (19).

و وعده تعالى بقوله: [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ () فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ () وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ () وَ قُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَ ٱرْحَمْ وَ أَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ()](20).

و هذا الوعد كما الوعود الأخرى حقائق ستقع بناءاً على ما تقدم.
و هذه الآية تحثّنا أيضاً على دراسة علّة الخلق و الوجود بدقة و تأن, ليكون برهاناً قاطعاً على وجود حقيقة الحقائق التي على أساسها وجد الوجود و الخلق و هي محبّة الله التي بها ننال سعادة الدنيا و الآخرة.

و إليكم أدلة أخرى على وقوع ما وعدنا به في المستقبل .. و بآلذات في عالم الآخرة:

[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ](21), هنا تنص الآية على أن المجرمين يستعجلون بالعذاب، بينما العذاب ينزل على المجرمين إما نهارًا أو ليلًا كقانون طبيعي محدّد ضمن قوانين الكون، ثمّ يشير إلى أن مكان حصول ونزول العذاب هو في واقع المجرمين حيث يعيشون.
[إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ](22), هذه الآية ذكرت نصًا في القرآن ونزلت على رسول الله (ص) قبل 1400 عام، حيث أكّدَ الله فيها؛ على أن العذاب (واقع) أيّ أنهُ سيحصل في المستقبل بحق الكفار و المنافقين و كل من تعدى على حقوق الآخرين حيث لا شفاعة فيها مطلقاً و هي حقيقة واقعة, بعد سير الجّبال، و تشقق الأرض و تبدّل السموات تمهيداً للجزاء؛ وهذا يؤكد أن جميع الوعود الإلهية ستحصل في الواقع .. في المستقبل كما حصلت بعضها خلال القرون الماضية بعد النزول.
وقوله تعالى يؤكد ذلك ؛ [إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ](23), حيث ذكر الله تعالى أن الواقعة (أي يوم وقوع القيامة) سيحصل في الواقع، ثم أكد أن وعده بحصوله ليس كذبًا، و مصداقيته أنه عندما يقع سيخفض الذين كانوا من أهل الاستكبار و السيئات و الفساد في أدنى الدرجات في جهنم، و سيرفع الذين كانوا من أهل التوبة و الفقراء والإحسان والإصلاح في قوله ؛ (خافضة رافعة)؛ ففي الدّنيا ترى الملوك والرؤساء في أعلى الدرجات يفسدون في الأرض وحولهم حاشية تطبل لهم وتمدحهم و تؤيدهم (بآلروح ؛ بآلدم نفديك يا ...)، بينما بوقوع الواقعة سينخفضون في أدنى الدرجات و يفرّ منهم حاشيتهم؛ يوم يفرّ المرء من أخيه و أمه و أبيه, لكن الشيطان هو ا لآخر يستهزأ بهم : [أنتم إستجبتم للباطل]و كما ورد في كثيرة.

الحقيقة موجودة في الواقع، بينما الوهم موجود في تصورات العقل النظري الذي لا يستند على الأيمان و كذلك تصورات الناس عنك.

أفعال الواقع هي حقيقة الإنسان و تُمثّل سلوكه و أخلاقه، أفعال المجتمع الجماعية هي حقائقه, و على أساسها يحاسب الله.
أفعالك في الواقع + ما تعانيه الآن (الجزاء الحالي) = حقيقتك (الاستحقاق الحالي).

وهكذا نصل الحقيقة التالية من خلال المؤشرات المعروضة؛ يكون الذهن الإنساني الكائن في (ألعقل الظاهر) مُقيّد فيزيائياً و مفاهيمياً بمحدداته و برمجته.

و بالتالي، فانّ الحالة الفيزيائيّة والذهنيّة للكائن(المخلوق) هي التي تُقرّر ما يُفكر به و طريقة تصوره و تفسيره للواقع, و بما ان دماغ الانسان(ألعقل الظاهر) يقتصر و يستند على عالم بثلاثة أبعاد؛ فإنّ الذهن أيضا مُقيّد بتلك الظروف, و التعلم الرياضي يُوفّر تمدّداً الى ما وراء الحدود الطبيعية للتفكير الذي يمكن أن يصل المدى الكونيّ فيما لو إستند إلى العقل الباطن, لان الذهن ألموجود في العقل الظاهر غير قادر على تصور الاشياء وراء حدود المنطق او التفكير الرياضي الى ما وراء الحدود المفاهيمية التي ترتبط بحواس الانسان ألمحدودة بإدارة العقل الظاهر، انها تقرر حدود العالم الملاحظ. مع ذلك، فانه في وعي الحاضر، يبرز الوهم بان المرء يتصور العالم ككل بدلا من جزء منه.

و يُمكننا القول أيضاً بناءاً على ذلك؛ أنّ (الحقائق) و الوحدة المستندة على الأدلة ألكونيّة من الله تعالى ألذي يزيدنا قوة و إلهاماً إلى قوانا في حال خلوص نياتنا و صدقنا مع أنفسنا لوجه الله, و (الأوهام) و التّكثّر و الخيلاء و التكبر و الفتنة و التفرقة من الشيطان و هي التي تسبّب ألركود الفكري, بينما الأيمان بآلحقّ يسبّب الإزدهار الحضاري و المدني و السعادة. و سنبحث عوامل الرّكود الفكريّ في الفصل القادم لتجنّبها إن شاء الله.

---

(1) الرعد : ١٧.

(2) لاحظ الميزان في تفسير القرآن ، ج ١١ ، وسنذكر في مباحث إعجاز القرآن من الإلهيات تصويرات أُخرى بديعة لما تفيده الآية.

(3) راجع ؛ [فلسفة الفلسفة الكونية], و كذلك؛ [نظرية الفلسفة الكونية], و كذلك [محنة الفكر الأنساني], و غيرها

(4) (يوسف: 111).

(5) (البروج: 17-18).

(6) (النساء/79).

(7) (الجاثية: 3-6).

(8) كما أشرنا لذلك في الفصول السابقة بكون رؤية الدخان من مكان بعيد يدلل على وجود النار بحسب التحليل الوصفي للعقل, و حين نقترب أكثر من جهة الدخان, نرى النار التي تسبب الدخان بعيوننا و هنا يكون عين اليقين, و حين نلمس النار يتحقق حقّ اليقين و هي أعلى درجة مصداقية في الوجود.

(9) (معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، الجزء السادس، باب الواو، صفحة 133-134),

(10) (سورة ص/86).

(11) (المرسلات /7).

(12) وقعت المعركة في 28 ذي القعدة سنة 13 هـ, (23 يناير 634م)، و كان جيش المسلمين حوالي 32,000 مقابل حوالي 80,000 من الروم، وانتصر المسلمون نصراً كبيراً، وقال ابن الأثير عن المعركة؛ "فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ، فأصيب الروم وهم ثمانون ألفاً لم يفلت منهم إلا الشريد".

(13) (سورة الروم/1-7).

(14) (سورة الأعراف: 115-118).

(15) (الأعراف: 116).

(16) (الإسراء: 81).

(17) (سورة فصلت: 53).

(18) (سورة القصص: 85).

(19) (سورة العنكبوت:1-4).

(20) (المؤمنون : 115 – 119).

(21) (سورة يونس: 50-51).

(22) (سورة الطور: 7).

(23) (سورة الواقعة: 1-3).

مصاديق آلخيال ألخصب:

مصاديق آلخيال آلخصب :
خصوصيّات و حقيقة الخيال و كيفيّة تفعيله ؟

ألرّؤيا :

أهمّ منابع آلخيال هي الرّؤيا .. و تختلف عن الأحلام التي عادّة ما تكون مشوشة و مختلطة بآلباطل لتدخل الشيطان و آلأهواء بعكس الرؤيا التي تكون من الرّحمن, لذلك لا تجد فيلسوفاً بارزاً لم يدخل هذا العالم المرموز المليئ بآلأسرار لكشف حقائقه!

و سنتكلم عن حقيقة وإسرار الرؤيا كعامل جوهري في تخصيب الخيال و تنميته:
بداية يجب ان نعلم بأن كلام الصالحين و الأنبياء و الأئمة و العرفاء أثناء الرؤيا الصالحة لا تأويل ولا خطأ و لا تلبيس فيها و هي كما تظهر للرائيّ على حقيقتها.

فآلرّؤيا آلصّادقة ترتبط بعالم الغيب عن طريق آلوحي و النبوة من جهتها, و قد تكون مقدمة للأيجاء, و هي أيضا خيط الوصل مع عالم المُثل الذي له موقع خاص في سلسلة المراتب الكونيّة, هذه من جهة و من الجهة الأخرى إرتباط ألرّؤيا بآلقوة الخياليّة الآدمية – لا الأنسانية ناهيك عن البشرية – بل الآدميّة التي لها دور و إستعدادات هائلة لدعم القدرات الأبداعية و التصرف في حركة الحياة و العالم.

و قد أكد القرآن الكريم دور و موقع الرؤيا في تحديد و رسم المصائر الكونية و كما ورد في قصص كثيرة منها قصة يوسف النبي(ع) و رؤيا السّجينين معه في سجن عزيز مصر و قصة إسماعيل النّبي و غيرها كثير .. من أمثال ذلك من الرؤى التي بيّنت الأقدار و الأوضاع المستقبلية التي لم يكن بمقدور الجّميع معرفتها بواسطة العقل.

خلاصة الكلام تُعتبر الرؤيا حاضنة الخيال, و كما ورد في مقولة إبن عربي قوله: [ألمَنامُ حضرة الخيال], و الرؤيا عالم الأسرار و الرموز و المكاشفات و آلأشارات, و كل ما موجود فيه هي تعابير تحتاج إلى تفاسير, لأن موطن الخيال يتطلب التعبير, و ليس بآلضرورة أن تتسابه الأحداث التي نشهدها في الرؤيا مع عالمنا الواقعي لإختلاف العالمين في ماهيتهما و أدواتهما و عالم الخيال له لسانه و لغته الخاصة, لأن آلتجلي ألصوري في حضرة الخيال يحتاج إلى علم آخر يُدرك به ما أراد الله بتلك الصورة لهداية الخلق إلى شواطئ الأمن و السعادة.

الرؤيا عادة ما يأتينا من عالم اللاهوت لعالم الناسوت .. و عالم اللاهوت لها قوانين و معادلات تختلف في قوتها و سرعتها و حركتها عن عالم الناسوت الذي نتعامل فيه .. حيث الذبذبات و القدرات و الوسائل تختلف, فآلسرعة و الزمان و المكان و هي من أهم العوامل في تحديد الوجود تختلف في العالمين, فنحن مثلا نتحرك في عالم ربما يكون رؤية العين فيه بحدود 30 ذبذبة و السماع كذلك لها ذبذبة معينة لا تتجاوز الـ 18 درجة و هكذا الحركة تختلف بحيث تكون أقصى سرعة على الأرض بحدود سرعة الضوء الغير الممكنة طبعاً .. لكن السرعة اللاهوتية أسرع من الضوء بكثير بحيث يمكنك تخطى سبع قارات في غضون نصف دقيقة لإنسلاخ الروح من الجسد الذي بمثابة سجن لها و هكذا ..

في عالمنا المحسوس ألمتعلق بـ(الناسوت) ألمتعلق بآلدُّنيا يكون الجسم وحده قادراً على العمل و التحرك و الإنتاج بحسب القدرات الحسيّة ألمحدودة التي تتعامل مع القوانين الفيزيائية و الكيمياوية كما ألمحنا و حتى العقلية, لها حدود و طاقات محدودة عادة بكفائتها, أما في عالم اللاهوت فآلأمر يختلف لأنّ الرّوح حرّة و طليقة غير مقيّدة بجسد أو علائق مادية, لذا يمكنها التحليق و السفر و عبور المحيطات و الدول بطرفة عين و التحسس و العمق بقدرات خارقة مدعمة بقوتها التي تنتسب لخالقها و التي لا نعرف عنها شيئا تقريباً .. لمحدودية علومنا (... و ما إوتيتم من العلم إلا قليلاً), و لربما نعلمها لو أوتينا من العلم الكثير بإذن الله, و هذا يحتاج لحواس و طاقات و قدرات أبعد من آلقدرات التي نمتلكها و التي ترتبط عادة ما بآلعقل و الحواس المحدودة.

ألألمام بأكبر قدر من الأفكار و آلنظريات و ما يجري في العالم:

و هذا الأمر يتسبب في إستخلاص الأفضل و ألأنقى و الأقل كلفة و جهداً لتأسيس و إنتاج ما يحتاجه الناس, فكلما كان المُنظر – ألمُصمم مطلعاً على ما توصل إليه الآخرون في المجالات المختلفة أو تلك المعنية؛ يكون قراره و القانون الذي يصدره أكمل و أجمل و أنفع, و بآلتالي فائدته للناس أضمن و أفضل , يقول الأمام العلي الأعلى عليه السلام:
[إضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصّواب].

ألقراءة و المطالعة الدائمة :

من أهمّ ألعوامل التي تتسبب في توسيع آفاق الخيال و خصوبته ألقراءة و المطالعة المستمرة لكل الأحداث و القضايال لتكوين ثقافة رصينة و متكاملة و شاملة, و يجب أن نفرّق بين (ألعلم) و بين (الثّقافة), لكون العلم يتحدد في دراسة إختصاص معيّن و محدود لكسب المعاش بآلحلال الذي يتحقق حين يكون نتاج علمك مفيداً لتقدم آلمجتمع و حفظه!
أمّا الثقافة؛ فقصتها أوسع و أبعد مدى و يشمل ألأحاطة بكل مجريات الأمور و القضايا ألعليا التي تتعلق بها مصير كل المجتمع و غاياته لتحقيق فلسفة آلحياة و آلغاية من وجودنا و تشمل تقويمات كل القضايا و ألأختصاصات العلمية و الفنية و الأقتصادية و السّياسيّة, و نعني بإختصار و بكلمة واحدة (المنهج) من هنا يجب ندقق كثيراً في صحة ألمنابع الفكرية و عواقبها و هذا يحتاج إلى دراسات مستفيضة و مستمرة و شاملة بلا حدود بحيث تعتمد على كل النتاج الفكري و العقلي للأنسان بغض النظر عن إنتمائه و معتقداته, لأنها تتعلق بمستقبل و قدر و مستقبل الأنسانيّة.

لذلك نرى إن القرآن الكريم و حتى الرسالات السابقة قد أكدت .. أوّل ما أكدت و بشكل رئيسي على وجوب و أهمية (ألقراءة) كمفتاح و منطلق لتشكيل حياة سعيدة و آمنة و عميقة من ناحية المعنى الذي يفتح أمامنا آفاق الخير و السعادة و المحبة التي هي سرّ الوجود و خلق الخلق سواءاً داخل العائلة الواحدة أو داخل المجتمع ككل.

لذلك عندما ترى مجتمعاً يسوده العنف و القسوة و الفوضى و النفاق و الظلم ؛ إعلم بأن السبب في ذلك هو ضياع المعنى و المحبة في أوساطهم و بآلتالي فقدان اسعادة, و آلسبب هو العزوف عن القراءة و المطالعة الواعيّة التي تختص بآلثقافة و ليس العِلم حصراً.

تأسيس ألمكتبات و مراكز ألتحقيق و التّوسعة العلميّة و الصّناعيّة:

ألمكتبات و الجامعات هي المنبع و المعين الذي تشعّ بآلثقافة و المعرفة من خلال ألكتاب و وسائل التواصل العلميّة و الأجتماعيّة ألمعروفة, ليتخرّج منها ألقارئ و الباحث و السّاعي مثقفاً مُلمّاً بمقاصد الوجود و الحياة و عارفاً بمسؤوليته الكبيرة و دوره في وسط ألمجتمع.

إلى جانب ألمكتبات ألعامة و الخاصة و آلمراكز الفنية و الأعلامية؛ يجب تأسيس شبكات الإنترنيت و القنوات العلميّة ألأعلاميّة و المنتديات الثقافيّة و الفكريّة لبث آخر الأخبار و آلبرامج العلمية و الدراسية و لجميع المستويات لتكون الشهادت الممنوحة لها إعتبار ها و بآلتالي دورها في عملية البناء و التنمية.

و آلعامل آلأهم والأكبر و آلداعم الدائم لعملية التنمية الفكرية – ألعلمية – ألعمليّة التطبيقية بعد آلذي قدّمنا و الذي يستحيل الإستغناء عنه؛

هو تأسيس ألمنتديات و ألمراكز التحقيقيّة و المختبريّة في كلّ روضة و مدرسة و حوزة و جامعة و مؤسّسة و وزارة .. لترجمة و صقل المعلومات و الأفكار النظريّة من خلال الواقع العمليّ لتكون مثمرة و مفيدة لبناء و تحصين آلمجتمع من الفوضى و الفساد, و إلا فأن جميع الجهود و الأموال و الأمكانات تذهب سدىً و بلا فائدة و كما هو حال بلادنا اليوم, و قد

تتسبب فقدان تلك المراكز و كما هو الواقع اليوم إلى نتائج عكسيّة حين يبقى الشباب و الخريجين عاطلين عن العمل لعدم وجود الشركات و المصانع و الدوائر التي هي نتاج العلم ليأخذ العاطل و الخريج موقعه و دوره فيها لدعم عملية الأنتاج و بآلتالي رفاه و سعادة المجتمع.

كشف ألمُجرّد و آلمُخيّل :

الخيال المُقيّد قناة لعالم الخيال المُطلق من طرف, إلى جانب وجود قناة مع عالم الأجسام من الطرف الآخر, فآلصورة المتلقية من الأعلى عمودياً – من عالم اللاهوت – في مرآة الخيال هي رؤية صادقة و إلهام لا ينقطع بآلنسبة للمؤمن, لكن تلك الصورة في كثير من الأحيان تختلط مع صور عالم الدّنيا أفقياً, فتكون النتيجة (أضغات أحلام) لطبيعة الدّنيا ألدّنية, و أحيانا تكون تلك الرؤيا صادقة و صافيّة و تعني كل ما تشهده بحذافيرها, و لكُلّ حادث حديث و أسباب و دوافع, يعرفها صاحبها بدقة بتوفيق من الله تعالى الذي يحفظها من تصورات و أهواء و أوهام مَنْ شاهدها من تدخلات الشيطان الرجيم, و هناك علاقة بيّن عالم الصّور التي تعكسها المخيلة في عالم الحقيقة, و لا نملك سوى قوة الخيال التي تبين و تعكس لنا تلك الصّور, يقول الشاعر:

لولا الخيال لكنا اليوم في عدمٍ .. و لا إنقضى فيه غرض و لا وطر
كأن سلطانها إن كنت تعقلها .. ألشرع جاء به و العقل و النظـــر

و كأن الخيال بحسب عقيدة الشيخ الأكبر؛ يمثل عالم البرزخ بين المعلوم و غير المعلوم, و بين المعقول و غير المعقول و بين المعدوم و الموجود بين السالب و الأيجابي, حيث يقول:
[و ليس إلا الخيال ... فآلخيال لا موجود ولا معدوم ولا معلوم و لا مجهول, كما يدرك الأنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه و يعلم قطعا أنه ما أدرك صورته بوجه].

لذلك فعالم الخيال مرتبة وجوديّة هامّة تتسبّب في إنتاج الأفكار .. يجب معرفتهُ ثمّ إستثماره بتشغيل قوّة الأرادة و تفعيل الأيمان النظريّ و تحويله إلى إيمان عملي يتصل بآلأصل لنحصل بفضله و توفيقه على ما عجز عنه كل علوم و تكنولوجيا عالم اليوم, و هذا ليس وهماً كما قد يظن بعض الملحدين الجُّهلاء, من حيث لنا حوادث خارقة حدثت عبر التأريخ و حتى آلآن تعكس هذه الحقيقة, منها قضيّة المآذن في أصفهان على يد الحكيم العارف الشيخ البهائي و قدراته العلمية التي أعجبت حتى علماء هذا العصر كتشغيل حمام كبير بشمعة أو تحويل الحديد إلى ذهب و هذه قضية مشهورة في تأريخ إيران – مشهد – حين أمره الأمام المهدي(ع) بمراجعة (شخص) يعمل حدّاداً في مشهد, للحصول على أجوبة لأسئلته الكثيرة, لأنه أي البهائي كان كثيراً ما يراجعه ليسأله عن المسائل المستعصية, لذا طلب منه أن يراجع ذلك الحداد ألمشهدي العارف الذي كان بإمكانه تحويل الذهب إلى حديد و بآلعكس أيضا .. بينما الشيخ كان يقدر تحويل الحديد إلى ذهب و ليس العكس لمحدودية علمه, و اليوم أيضا نرى أن أحفاد الشيخ البهائي قد فلقوا الذرة و أوصلوا نسبة التخصيب لأكثر من 60% و وصلوا الفضاء كما أشرنا فيما مضى.

إخصاب و إثراء قوة الخيال يعتمد على إرادة المخلوق الذي عليه أن يوصلها بإرادة الله, و يحتاج إلى تقوية العلاقة و تشديد الأرتباط بآلخالق من خلال التحقيق من جانب و من خلال العبادة من آلجانب الآخر, فآلحديث القدسي يقول:
[ما تقرّب إلى عبد إلا بما فرضته عليه, و ما زال العبد يتقرّب إليَّ بآلنوافل حتى أكون عقله الذي يُفكّر به و عينه التي يرى بها و أذنه التي يسمع بها و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها].

لهذا من الممكن أن يتحدّ العبد مع ربّه لدرجة عالية و كما حدث مع الكثير من العرفاء الحكماء كآلشيخ ألبهائي و با يزيد البسطامي و همّة الأمام الراحل!

بل وصل الحال بآلشيخ (بايزيد البسطامي) بعد ما وصل درجة الكمال, رآى نفسه يستطيع التصرف بآلعالم, لهذا قال أنا الحق .. و كما فعل آلعارف الحكيم ألحسين بن منصور الذي تحدى كل طواغيت العصر و هو يكرر لآخر لحظة (أنا الحق), رغم ما

جرى عليه من صنوف التعذيب و قطع الأيدي و الأرض و آللسان و هكذا فعل العارف الحكيم الصّحابي ميثم التمار و غيره كثير ..

فلو أخلص العارف الحكيم لربّه فأن سيكتسب قدرة خارقة في التصرف بآلأشياء و الأكوان, و ليس فقط صناعة قمر صناعي أو محطة نووية و كما يفعلون اليوم, لأن العارف مع الأمداد الإلهي يصل لحقائق ما بعد العقلانية, لهذا قلة من الناس الذي وصلوا لمراحل متقدمة لكون هممهم عالية في مدار الأيمان و القصد؛ هم وحدهم يستطيعوا فهم و درك و إستيعاب ما قاله و يقوله العرفاء الحكماء!؟

خلاصة الكلام أساس كل ما أوردنا يعود لنوع و طبيعة العلاقة بين الحقّ و الخلق, فلو كانت علاقة علوية كونية و كما وصفها من خلال التصنيف التالي, بآلقول:
[إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار], فأن الخير كله في عبادة الأحرار لأنها ناتجة من المعرفة و اليقين المطلق بآلخالق.

و قد قال مبّناً أيضا : [من عبد الله خوفا من ناره فتلك عباده العبيد, و من عَبَدَ الله طمعاً في جنته فتلك عباده التجار, أما و أني عبدت الله لا خوفاً من ناره و لا طمعا في جنته و لكني وجدته أهلا للعباده فعبدته, فقيل له : يا امير المؤمنين أن الرسول كان يسأل الله الجنه و يعوذ من النار, فقال نعم و انا أفعل ذلك , لكن إن كان لا جنه ولا نار .. أ لا يعبد الله؟](1).

و هكذا رسم لنا العليّ آلأعلى نهج المعرفة الحقة التي بها نحقق ألسعادة بالوصال و الاتحاد مع المعبود تعالى بشرطها و شروطها و حدودها التي رسمها لنا المعشوق نفسه, و قد تحقيق هذا الامر في شخصيات عديدة عبر التأريخ من غير الأنبياء و الأوصياء و الأئمة.

لذا ما كذّب آلشاعر بآلقول :
ها عليٌّ بشرٌ .. كيف بشر؟
ربّهُ فيه تجلّى و ظهـــــر!؟

و كذلك ما كذبّ البسطامي حين قال :
سبحاني ما أعظم شأنيّ! و حين إعترض عليه التقليديون بقولهم: [ألرسول محمد على عظمته و مكانته قال؛ (سبحان ربي الأعلى و بحمده ...) و لم يقل ما قلت, فكيف يكون ذلك!؟
قال با يزيد ا لبسطامي الذي تتلمذ على يد الأمام الصادق(ع): [ألرّسول الحبيب .. إنما قال ذلك لكونه عَبَرَ و تجاوز ذاته و وصل آلعليّ الأعلى, أما أنا فما زلت أدور داخل ذاتي, لذا قلت : (سبحاني ما أعظم شأني)], هذا البيان الرفيع فيها رمزية عالية و حسّساسة لا يدرك عمقها إلا مَنْ وصل لمراحل كونيّة عظيمّة.

و قال آلشيخ الأكبر في معرض بيانه لأهمية الفكر و الخيال : سرّ معرفة العلاقة بين الخالق و الخلق, هو ما أشار له بقوله:

كأنّ حرفٌ له في آلكون سلطنةً .. إن كنت تعلم إن العلم في النظر
هو الأمام الذي فيه تصرفه .. و لا يقاومه خلق من البشر
مراتب برزخيات لها سور بين القيامة و الدنيا لذي نظر
تحوي على حكم ما قد كان صاحبها قبل الممات عليه اليوم فاعتبروا
لها على الكل أقدام و سلطنة تبدي العجائب لا تبقي و لا تذر
لها مجال رحيب في الوجود بلا تقيد و هي لا عين و لا أثر
تقول للحق كن و الحق خالقها فكيف يخرج عن أحكامها بشر
فيها العلوم و فيها كل قاصمة فيها الدلائل و الإعجاز و العبر
لولا الخيال لكنا اليوم في عدم و لا انقضى غرض فينا و لا وطر

كان سلطانها إن كنت تعقلها الشرع جاء به و العقل و النظر
من الحروف لها كاف الصفات فما تنفك عن صور إلا أتت صور.

و يختم معنى و حقيقة الربوبية بقوله :
العبودية على قسمين؛ محمود و مذموم :

[أمّا المحمود : فأوله العرفان ، و وسطه عيان ، و آخره فقدان ، وهي أقرب الأحوال الى الحرية ، لأن آخر جزء من العبودية أول جزء من الحرية المطلقة]..[و أما القسم الثاني من العبودية فهو المذموم ، فهو عبودية أولها كفران ، و وسطها كتمان ، و آخرها ادهان].

و كل موجود في العالم له وجهان: وجه عبودية و وجه ربوبيّة .. أو وجه خلقي و وجه حقيّ.
فلو أخذنا بنظر الأعتبار و حدت المخلوق مع الخالق ؛ فذاك هو الرب!
أما لو نظرنا بفقدان تلك الصفة ؛ فلا نرى غير العبودية في المعني.

فآلأوّل : في مقام الجمع مع القرآن.
والثاني: في مقام الفرق أو الفرقان.

و أعلى مرتبة في الفرقان هو : مهما رآى الأنسان من البلاء و المحن ينسبه لنفسه.
و مهما يرى من الحسنات و الخير ينسبه لله تعالى, و بذلك يضع حدّا بينه و بين الله و تلك هي التقوى و إكمال الأيمان بعينه, و التي تجعله يعيش بين الخوف و الرّجاءّ.

---

(1) نهج البلاغة , ألحكمة 237, نقلاً عن ميزان الحكمة لمحمد ألرّي شهري, ج3 ص 1800.

أسباب ألرّكود ألحضاريّ

أسباب ألرّكود ألحضاريّ:

ألسّبب ألرّئيسي للفساد و آلظُّلم و آلتّخلف (ألحضاريّ) و بآلتالي (ألمدني) في أُمّةٍ أو مجتمع أو حزبٍ أو حتى عائلةٍ هو آلرّكود ألفكريّ و آلأبتلاء بآلأميّة ألفكريّة لأسبابٍ داخليّةٍ و خارجيّة, و أخطر أنواعها تنتشر حين يُغْتال ألعقل ألجَمعيّ فيفقد ألنّاس ألأختيار و التّفكر و آلتّخيّل, فيتمّ تعبيدهم للحُكّام و آلمستكبرين(1).

لقد بيّنا سابقاً أهمّيّة ألخيال و دوره حتى إرتقى .. لجعله نظريّة متكاملة باسم (نظريّة الخيال) .Imagination theory الذي عبّر عن أهميته ألريادية (آلبرت آينشتاين) بقوله ؛ [ألخيال أهم من المعرفة التي تكون أعلى و ادق من العلم, لأن المعرفة تقتصر على ما نعرفه و نفهمه, في حين ألخيال يحتوي العَالم بأسره و كل ما سيتم معرفته و فهمه حتى النهاية].

ببلاغة أعظم؛ [عالم (الواقع) له حدّ و حجم .. و عالم (ألخيال) لا حدّ ولا حجم له] و قد سبقني الفيلسوف جان جاك روسو(ت 1778م) أيضاً ببيان نفس ألمضمون أعلاه قبل أكثر من قرنين, بعد ما درس فكر و حِكَم الأمام علي ثمّ إهتدى بهديه حتى قال: [عليّ بن أبي طالب هو الوحيد الذي يستحق كلمة ألأستاذية], و هكذا الفيلسوف جورج جورداق الذي مدح الأمام عليّ بما لم يستطع قوله حتى علماء الشيعة, حتى قال عندما سألوه لماذا لم تكتب بعد كتابتك الموسوم بـ [عليّ صوت العدالة الأنسانية]؟

أجاب :[لم أجد بعد الأمام عليّ شخصيّة تستحق الكتابة عنه].

لقد خلق الله الأنسان بخيال دافق من العقل ألذي إهتدى من خلاله إلى كشف و صناعة الكثير من الأمور و القضايا عبر مراحل التمدن ألعديدة التي نعيش اليوم آخرها على ما يبدو و هو (عصر ما بعد المعلومات), حيث شيّد منتجات عمارته و عمرانه و تكنولوجيته الرائعة التي وصلت السماء بغض النظر عن الأفراط و التفريط في بعض جوانبها, بحيث يمكنك اليوم معرفة أدق التفاصيل لأيّ كائن في اقصى الأرض من خلال شاشة صغيرة لا تتجاوز مساحتها سنتيمتر مربع, رغم إن مظاهر ذلك التقدم في عالمنا العربي – الإسلامي يشبه حالة من الغياب و الغائمية طالت تأثير مَلَكَة الخيال, و المدنيّة إنّما تحجّمت بسبب تحجيم الخيال و محدوديته و فقدان الفضاآت الآمنة التي يمكن من خلالها تفعيل الخيال و إستثماره لعبور تلك الأزمات و الموانع.

و علّة العلل تكمن في آلدّين و نمطية التعليم التقليديّ و الممارسات الأحترافيّة لها بنفس القدر .. إلى جانب النظام الأداريّ الفاشل الذي يفرض وظائف روتينية محدودة على الموظف المختص كالمعماري و الطبي و الزراعي و التكنولوجي و غيرهم للألتزام بها, إلى جانب المحددات الحزبيّة و العشائرية و الأئتلافية كخطوط حمراء تفرض قيوداً إضافية بحسب منافع تلك الجهات الحاكمة لأسباب داخليّة و خارجية أفقدتهم إرادتهم و كرّست الأميّة الفكرية في أوساطهم.

لذا علينا التفكير في كيفية إيجاد القدرة على إمكانية بعث الأفكار و المَلَكَات و الطاقات المكبوتة و في مُقدمتها تنشيط مَلَكَة ألخيال خصوصاً عند المسؤوليين و المدراء و حتى الموظف و الحارس الحكومي و على كل المستويات سواءاً كان رئيساً أو وزيراً أو مديراً أو موظفاً عادياً لتحقيق المجتمع المتآخي و المحب و المتفاني الخالي من الامراض و الطبقات و الفوارق الحقوقية, و ذلك بإقامة دورات ثقافية و علميّة في فنّ الأدارة و الإستثمار و تحسين و توسعة الأنتاج, هذا إلى جانب إجراء الفحوصات الدورية لمعرفة سلامة المسؤوليين و الرؤوساء من الناحية النفسية و الرّوحية, و أول المتطلبات لتحكيم هذا النمط الأداري؛ هو إعمال (النظام الإداري الإسلامي) المتطور الذي يُوجِب توفر (الكفاءة و الأمانة) في المسؤول لأنجاز أعماله و تحقيق أهدافه, بعد تهيئة الأمكانات و المستلزمات المطلوبة, و تحويل الخيال إلى نظريّة و النظريّة إلى واقع, بمعنى يجب البحث عن مناهج و آليات كيفيّة تدفق ألأفكار و الأستفادة منها, و يجب ألأستفادة من النظريات العلميّة التي توصلت لها دول الغرب بهذا الشأن, فآلشرع – لا الفقه المتحجّر - يوافق العقل .. بل و يحثّ على التفكر و الأبداع و الأنتاج و يعتبره واجباً يتمّ على أساسه تقيم الأنسان في الدارين.

مشكلتنا الحقيقة ليست في عدم و جود الأختصاصات و العلوم في بلادنا .. ففي العراق فقط اليوم 37 جامعة حكوميّة تشمل

كل واحدة مجموعة من الكليات و الفروع و 56 جامعة أهلية أيضا, و قلما تجد دولة بهذا الكم من الجامعات المتفاوتة علميّاً و فكريّاً, إلى جانب وجود أضعاف ذلك في باقي البلاد العربية و الأسلامية, و أيضا وجود مئات المدارس و الجامعات الدينية و الحوزوية التي خرّجت فيما مضى طبعا الكثير من العلماء الذين ذكرنا بعضهم أمثال الشيخ البهائي و البيروني و الخوارزمي الذي إكتشف الأرقام المعروفة بآلانكليزية بطريقة الزّوايا المعروفة اليوم و هي إسلامية الأصل و التي لولاها ما إستطاع الغرب القيام بأي إكتشاف بدءاً بآلكومبيوتر و إنتهاءاً بآلمراكب الفضائية .. يعني ألمشكلة ليست في فقدان الجامعات و الحوزات و قلّتها أو فقدان التعليم أو فقدان المختصين كما يعتقد البعض الذين لا يعرفون معادلة واحدة أو قانون سليم في تطوّر الأنتاج و النظام الأداري(2) ألمختصّ بإدارة و تنمية الموارد الأقتصادية و الصناعية و كيفية السيطرة على ضبط الواقع على جميع المستويات!

بل المشكلة الأولى و الأهم تكمن في فقدان الأدارة و القدرة على إمكانية إيجاد و بعث الثقة و مَلَكَة ألخيال في القيادات المتصدية كالرؤوساء و المسؤولين المختصّين و في جميع المجالات , فهي للآن ليست فقط غائبة نسبيّاً في واقع الحياة ألسّياسية و الأداريّة و الأقتصاديّة و التربويّة و العلميّة عموماً في بلادنا , بل و يتطلب في حال حصوله و تحقق الأختصاص؛ أن يعرف المسؤول المختصّ أيضاً علاقة إختصاصه مع الأختصاصات الأخرى و النظام ككل و كذلك الأمانة إلى جانب تلك الكفاءة, و الحال أنه ليس فقط لا يعرفون – مجرّد معرفة - تلك الأمور الهامة لأدارة المؤسسات و البلاد؛ بل و حلّ بدلها الفوضى و الواسطات و القتل و النهب و الفساد و محاربة المفكريين و الفلاسفة بسبب التوافق و التحاصص لتقسيم الثروات الطبيعية إلى جانب تغلغل المحسوبية و المنسوبية لدى كل جهة و مسؤول .. بمعنى مشاركة الجميع و بالعدالة في الفساد و النهب و السرقة و الأرهاب بين آلمتحاصصين, و نعني الأرهاب العميق و ليس السطحي كآلقتل بآلرصاص أو تفجير مفخخة.

ألمشكلة الحقيقة تكمن أيضا في فقدان ألمنهج ألفكريّ و ألوعي الكوني الذي عمَّ بسلبياته على النظام الإداري الذي يعتبر كأمّ للنظام ككل و كذلك التعاون و الألفة و الثقة بين آلعاملين و بين الناس خصوصاً بالمسؤوليين ألذين تسببوا في تعميق الفوارق الطبقية و الأميّة الفكريّة نتيجة المحاصصة و سوء الإدارة التي أنتجت الفساد بشكل خطير قد يستحيل حلّه!

أعود و أكرّر بأنّ مشكلتنا تكمن في فقدان العقيدة السليمة و الفكر الكونيّ و المناهج العملية و الأعلام الهادف و نبذ المفكرين ناهيك عن الفيلسوف و الفيلسوف الكونيّ .. ألذي يتمّ محاصرتهم و قتلهم و تشريدهم .. حتى و إن ظهر مرّة كلّ قرن فلا قيمة له عند عديمي الضمير و الوجدان بسبب لقمة الحرام التي تمسخ وجوده, و لنا تجارب مرّة في تأريخنا بدءاً بفلاسفة اليونان كأرسطو و و سقراط و أفلاطون و غاليلوا و غيرهم من الذين إستشهدوا .. مروراً بتأريخ الأسلام .. حتى ضحكت علينا الأمم بسببها, منها قتل و تكفير الأمام عليّ(ع) و الحسن و الحسين عليهما السلام سبقهم الشهيد مالك بن نويرة و غيره من أصحاب الرسول(ص) بأمر الحاكم في زمانهم و هكذا باقي الأئمة .. ثمّ السهروردي و آلحسين بن منصور (آلحلاج) و سلسلة طويلة من مناصريهم .. وصولاً لشريعتي و محمد باقر الصدر(قدس) في هذا الزمن الذي جاهد فيه بقلمه كآلسيف المقاتل وسط الجهل و الظلم و التحجر الفكري و الفقهي معلناً بوجوب وجود نظام أجتماعي - سياسي يتحكم بقوانين العدالة لأنتاج مجتمع كريم و سليم و معافى خالٍ من الطبقية؛ لكن صوته لم يروق حتى لأقرانه المراجع و لمقرّبيه الذين نعتوه بشتّى الأوصاف المهينة, و عملوا ضدّه حتى قتلوه برعاية البعث الزنيم الجاهل الذي كان يقتل حتى مجرد إنسان مثقف يظهر هنا و هناك, هذا في عالم الشيعة ..

أما في عالم السُّنة الذين إنشطروا كآلشيعة لتيارات و مذاهب شتى بعضها خطيرة للغاية لأنها تُكفّر الناس بسبب الأطماع و الشهوات, فآلوضع معهم لا يختلف كثيراً إن لم يكن أسوء حالاً بكثير ؛ فجميع حكوماتهم و معها أكثرية شعوبهم, ليسوا فقط لا ينصرون العقل و المفكر و الفيلسوف إن ظهر لتحقيق الرفاه و السعادة ؛ بل جميعهم يعملون و يحملون عليه حملة رجل واحد ليحاصروه و يذبحوه, و تأريخنا الماضي و حتى الحاضر مليئ بتلك الأحداث, ففي هزيمة 1867م المدوية و هي نفس الفترة الزمنية التي بدأت فيها محنة الصدر الأول .. كتب الشيخ السوداني العارف (محمود محمد طه)؛ [على العرب نسيان الصواريخ و الجيوش قليلا, لان عالم ما بعد الحرب العالمية يتعاطف مع اسرائيل كأمّة علماء رائدهم آينشتاين و نوبل و وخز ضمير منخرطة في التجربة الانسانية الحديثة, بينما يغرق المسلمون في تخلف و ظلم و فساد داخلي بلا حدّ .. و لا أحد يتعاطف معهم .. كتب الشيخ طه للجامعة العربية رسالة شهيرة كمفكر يهتم بالاخلاق و المعرفة مفادها: (انشروا المعرفة و العدل بين شعوبكم يا عرب و ستتبخّر إسرائيل بعد أعوام)], بل كل قوى الظلام و الإستكبار في العالم, لكن جرى إعدامه شنقاً

في ملعب كرة قدم بالخرطوم باتهام الارتداد, بينما أبدى فقط وجهة نظره بشجاعة و ثقة بعد ما رآى الفقر و الظلم يتشعب في بلاده و بلاد المسلمين بسبب الحُكّام, لأنهُ كان مثل مفكرين كثيرين .. يقول للمسلمين كلاما يسبق زمنهم!

و هكذا تمّ إغتيال العقل المسلم بعد إصابته بنزيف في الدّماغ, و هجرة معظم مَنْ تبقى منهم للخارج باحثين عن مأوى لحفظ كرامتهم علّهم يتمكنون من خدمة الأنسانية بشكل مُشرّف عبر التفكير و الخيال الذي يعتبر المفتاح الذي يحتاج لظروف آمنة و هادئة للأبداع, و تحقيق الحضارة و المدنية لأجل سعادة الأنسان الذي يعيش أوجّ الأزمات و أخطرها في هذا العصر.

و إليكم العوامل التالية ألمستنبطة من ثنايا البحوث المتقدمة و التي تبيّن أهمّيّة و دور الفكر(ألمُفكّر) و المستلزمات و الوسائل لتحقيق التقدم الحضاريّ و المدنيّ على أساس (الفلسفة الكونية) لتكون مقدّمة ثانيّة بعد المقدمة الأولى أعلاه لعرض الموانع أو ما يُسبب ألعكس من ذلك - أيّ بيان عوامل (الرّكود الفكريّ) - و آلدّخول في أصل موضوع هذا الفصل, وهي :

1- أعداد و تربية ألأنسان الصالح السليم من الأمراض السايكلوجية و البايلوجية.
2- ماهية النظام الاجتماعي – السياسيّ الحاكم و القوانين التشريعية و التنفيذية.
3- إستغلال الوقت و الجهود و إستثمارها بشكل علميّ حسب قانون الأهم فالمهم.
4- أعطاء أهميّة خاصّة لدراسات الجدوى و ما يختصّ بمستقبل الأجيال القادمة.
4- تهيئة أجواء الأمن و السلامة و الحرية و النظام المدنيّ الذي يُؤمن مجالات الأبداع.
5- أهميّة دراسة البيئة و آلمناخ و إستغلال الموارد الزراعية و المواد الخام بشكل صحيح.
6- ألمدنيّة و الحضارة يجب أن تعتمد و تتأسّس على القيم الكونيّة الضامنة لتحقيق العدالة, و إلا ليس فقط لا قيمة لها ؛ بل و تنعكس تلك الحضارة لتكون سبباً في إستعباد الناس و ظلمهم, و كما حدث في ظل جميع "الحضارات" السابقة الفرعونية و الشاهنشاهية و السومرية و آلأكدية و غيرها, و لجهل الناس و علماؤهم و سياسييهم بآلفلسفة الكونية؛ فإنهم ما زالوا يتبجحون و يفتخرون بها و يعتبرونها المثل الأعلى لهم, لذلك إزداد الظلم و الفساد و النهب و السلب بسبب ذلك .
7- ألأهتمام بآلتربية و التعليم كمحل مباشر لأعداد الأجيال العلمية – المثقفة لتحمّل مسؤولية التنمية المدنية و الحضارية.
8- تحقيق ألوئام و التعاون بين جميع أبناء المجتمع خصوصا التيارات المختلفة, لأن التفرقة يذهب بريح القوم و يفكك جهدهم و سعيهم, و بآلنتيجة يصعب و قد يستحيل تحقيق حياة خالية من آلجهل و الأمراض و الآلام و النكبات و العنف.
9- تطبيق النظام الأداري ألهادف لتحسين و توسعة الأنتاج والعمل لرفع المستوى العلمي لتحقيق رفاه المواطنين و إسعادهم.
10- تأسيس مراكز البحث و التحقيق في كل وزارة و جامعة و مؤسسة و معمل لدفع و زيادة عمليات الأنتاج و تقليل الخسائر في الجهد و الوقت و فقدان المواد الأولية, و الهندسة الصناعية و فن الأدارة خير وسيلة و ضمان لتحقيق ذلك.

تلك العوامل ألعشرة الآنفة ؛ إنما تتحقق بظل نظام إجتماعي عادل ينفي الفوارق الطبقية من الجذور بفضل تنمية الفكر و تفعيل قوة الخيال قبل كلّ شيئ بحسب نظرية الكوانتوم كما ما بيّنا تفصيلاً, لكن هناك آفات و مخاطر تُدمّر النّمو ا لفكري و الخيال, و تؤدي إلى تشوّهما, فتنتج نتائج خطيرة قد تتسبب في ثورات و كوارث تقلب عاليها سافلها لتدخل المجتمعات في دوامة القهر و التخلف و الآفات و الأمراض, و من تلك العوامل التي تسبب الفساد و الكوارث و الأنقلابات و الثورات و سنذكرها كي تكون محطات إنذار لدراستها و حلها و عدم السماح بإنتشارها لأنها تسبب التخلف و الركود الفكري و تجمد حركة الفكر في الأنسان في الأجواء العكسية التي بيّناها بإختصار في النقاط أعلاه:

موانع ألتّفكير ألسّليم ألذي يُعطل عمليّة النهضة آلمدنيّة و آلحضاريّة:

بداية يجب أن يعلم الجميع : أنه لا يمكننا حل مشكلة, باستخدام نفس العقلية التي أوجدت المشكلة, و هذا ما حدث و يحدث في أكثر بلدان العالم إن لم أقل كلها, خصوصا في العراق, و برأي أكبر علماء الأقتصاد في العالم, يقول: [إن عملية ترميم المشاكل التي يولدها النظام الرأسمالي لا يمكن أن تحل المشكلة, لأن المشكلة في أصل القانون لا في نتائجه, و هكذا بقية المستويات العلمية و الأجتماعية .. مشكلتنا تتعلق بآلجذور و البرامج و العقول التي تنفذ تلك البرامج.

كذلك لا يمكننا بناء دولة سليمة و منتجة و آمنة بالمسلح الملثم بِرايّة علي بن ابي طالب(ع) و الذي يقتل الشباب المثقف و الجامعي في العراق و باقي البلاد الأسلامية و العالم .. و بآلتالي لا حقّ له ان يحظى باحترام العالم و لا الامام عليّ(ع) و لا بتحرير أو إنتاج خير للبلاد ولا بتركيز حكم العدالة بين الناس, بل يتسبب في الفساد و تكريس الأمية الفكرية و حكم القوة التي هي عدوة الفكر و العلم و التطور.

الحاكم العربي وأيّ حاكم يدعم إنتشار ألجهل و الظلم و العبودية؛ لا يمكنه أن يكون بطلاً و منقذاً و محرراً للأنسان و الأرض, و هو يسرق الفقراء بحقوق و إمتيازات خيالية.

إعطني مقاوماً يفهم المعنى المسؤول لكلمة الحياة أو آلتنمية أو آلحرية, و انا اكون له ناصراً حتى اخر قطرة!
في بلادنا و بسبب الأمية الفكريّة المنتشرة بسبب ثقافة الأحزاب الأسلامية و الوطنية و القومية الجاهلية؛ يستطيع أيٍّ كان أن يحكم .. حتى الشيطان خصوصاً حين يظهر أمام الناس و كلمة الله على شفتيه كما يقول غاندي.

أريد بلداً متواضعا يحتفي بالعدالة و المعرفة و المساواة و سأسحق ليس فقط إسرائيل بل و أقتحم كل أوربا و كل حكومات الغرب لانني سأضمن كرامة الناس و الشباب و لن اذبح الأمام عليّ أو الحسين أو الحلاج مرّة اخرى كما فعلوا بالشيخ محمود محمد طه في ملعب الخرطوم أو بآلفيلسوف محمد باقر الصدر في غرف الأمن العامة المظلمة أو في ضواحي لندن كما فعلوا بآلمفكر عليّ شريعتي, أو في كندا كما فعلوا بـ ....!

نحن نلتقي كلّ مرّة من خلال طرح مبادئ فلسفتنا الكونية و حوارتنا السابقة حول قوانين العقل الواعي و الباطن اللاواعي في التفكير الصحيح، و أرجو أن تكون عزيزي القارئ قد استوعبت ما قلناه في الجلسات أو الحلقات السابقة, فبدون وعي السابق لا فائدة في اللاحق لأنّ تفكيرك سيكون كسياسيّنا الذين يقتطفون عبارات من حكمنا و فلسفتنا و يعلنوها على الناس البسطاء فيصدقوهم بأنهم أهل الفكر و المعرفة فيبدأ الخلط و الفساد و الظلم بسبب الجهل الذي قوّض عقولهم الباطنية فخربوا البلاد و العباد.

و هذا أمر واضح لم يعد يحتاج لدليل، فقد أدّى إلى وقوع الظلم و الفوارق الطبقية و الفساد و الشك والسفسطة، بل هناك شيء مازال يثير قلقي وتعجبي, هو أنه بعد أن تبين لنا أهمية التفكير ألمنهجي الصحيح في حياة الإنسان حتى على المستوى الشخصي ناهيك عن المجتمعي الذي يُتحكم فيه كنظام ينضوي الجميع تحت لوائه، فآلمنهج الكوني هو الذي يرسم طريقنا في الحياة..وأنّ هذه القوانين قد اكتشفها الحكماء ودونوها في علم المنطق، فلماذا لا يبحث الناس عنها .. خصوصاً الذين يتحكمون برقابهم, طبعا كجواب مبدئي السبب هو أن المدارس والجامعات نفسها لا تهتم بها؟

و الدّليل الثاني؛ أن الأحزاب نفسها بمن فيهم المُدعين بآلأستقلال و السلام و الوطن؛ لا يريدون نشر الوعي و البرنامج الأمثل لتحصين الناس .. لأنها تُحقق ألعدالة للجميع و بتحققها يفقدون جانباً كبيراً من حصصهم الحرام التي تعلموا على نهبها من قوت الناس على مرّ العصور خصوصاً في وقتنا الحاضر بآلمحاصصة العلنية!

و هكذا بان السبب بكل بساطة في عزوف الحكام عن تطبيق العدالة و المساواة في الحقوق لكونهم يفتقدون أنفسهم إلى الفكر و الثقافة الكونية التي توصلهم للعدالة؛ لذا لا عجب في إستمرار الفساد و سيستمر إلى عقود و ربما قرون حتى ظهور المهدي المنقذ, و الذي أعتقده أن الامام(ع) هو نفسه لا يظهر ما لم يتسلح الناس بآلفكر و آلوعي و العقيدة السّليمة المفقودة حالياً.

و الذي يحزّ في نفوس أهل الوجدان - و هم بعدد الأصابع و لا يتجاوزون العشر و العشرين - في الحقيقة و الواقع ليس ما عرضناه حصراً .. بل هناك مصائب و عواقب أكبر و أخطر نتجت و أفرزت بدورها الكثير من المحن و الاوبئة بعد أن تظافرت عوامل و تبعات تلك الإفرازات التي صنعها البشر المنحرف فأدت إلى تعطيل العقول والإعراض الكليّ عن دراسة الفلسفة و المنطق وآلأخلاق و تكنولوجيا التربية الحديثة و نظريات الإستدامة و الأدارة ويمكن تقسيم أسبابها لعوامل داخلية

و خارجية مصدرها الأول من نفس البشر؟

الأسباب الداخلية هي التي تتعلق بنمط التفكير الخاطيء بسبب الأعتقادات و الأوهام المتوارثة، و هي الأمور الوهميّة التي تُعيق التفكير ألصّحيح للإنسان و كما بيّنا ذلك في الحلقة السابقة، لا سيما في المسائل المعنويّة التي تتعلق بفلسفته الكونيّة، و رؤيته الكليّة للحياة و الوجود و التي تؤثر على مصيره فيها، على الرغم من أنه قد اعتمد على عقله بنحو صحيح في ألجانب الماديّ، وهذا ما أسميه بالازدواجية الفكريّة, أو إشكالية الهويّة الشخصيّة حيث إعتمد على الجانب المادي دون المعنوي الذي هو الأساس في تقرير مصيره و حضارته, و بإعتقادي فأنّ هذه الإشكالية هي التي ستبرز أكثر فأكثر مع تقادم الزمن في العالم و ستتبعها مشاكل و حروب مدمرة ما لم يتحد الفلاسفة و المفكرون من أصحاب الوجدان لدرئها!

كيف يموت آلوجدان؟

يموت الوجدان حين ينقطع ألأنسان عن الأصل(ألغيب) الذي أثبتنا بأنه واقع حتى أكثر من الواقع الذي نشهده! و يتم دفنه للأبد حين يتغذى من ينابيع الشيطان و هي كثيرة عدّها الله في كتابه بـ 33 صفة تتأثر بآلمادة و الشهوات كالحسد و الغيبة و النميمة و البهتان ووو.. و أخطرها لقمة الحرام التي ما أن دخلت آلبطن غيرت حتى خلايا البدن و سيماء الوجه و ليست الروح فقط, و لا يمكن الخلاص منها إلا بآلتوبة و بآلتطهر و العمل الصالح لمدة 40 يوماً للعودة إلى الحالة العاديّة و هي الأتصال بآلله مجدّداً و تفعيل صوته تعالى في داخله, بحيث لا يرى شيئا إلا و يرى الله قبله و معه و بعده و كما قال العلي الأعلى عليه السلام.

الغريب أن العقل الذي حقّق للأنسان معاجز ماديّة في التكنولوجيا و الأعمار و المدنية و الأفلاك و أثبت قدرته الفائقة على خوض غمار المواجهة في حياة يُواجه الجميع فيها معارك مختلفة ؛ فلماذا أقصاه الناس عن حياتهم المعنويّة و لم يتّبعوا قوانينه الصّحيحة ليرتقوا أيضا فيها، و لتكتمل الحضارة الإنسانيّة من كلّ الجوانب و الجّهات بعيداً عن الأفراط و التفريط و كما هو الواقع اليوم في الشرق و الغرب!؟

هذا الموضوع من أخطر الموضوعات العصريّة التي يواجهها البشر اليوم و بسببه حدثت الكوارث و الحروب و المآسي, و لا بد من إيجاد حلّ عمليّ لا نظريّ فقط له, بعد معرفة الأسباب الداخليّة - ألعميقة و التي يمكن تلخيصها بثلاثة عوامل رئيسيّة، هي في الواقع أوهام ذهنيّة لا أكثر :

ألأوّل: هو استصعاب الطريق، و توهّم تعذر الإعتماد على العقل وحده بنحو مستقل في التفكير و بناء الرّؤية الكونيّة المثالية عن الإنسان و العالم, و هذا يرجع بطبيعة الحال .. إلى ماهية العقيدة التي يؤمن بها الشخص أو الجماعة, فديننا مثلاً ليس هو الدِّين الأصيل الذي نزل على رسولنا الكريم و طبقه الأمام عليّ(ع) بنزاهة و شفافية عالية و كما حدده الباري لنا, فبعد نزوله و بياناته و آياته و إنتهاء حكومة الإمام(ع) تمّ خرق جميع أصوله و تغييرها و أدلجتها لصالح أفراد و أحزاب وحكومات و مراجع مختلفة, وليس للناس كافة, الذين حُرموا من رحمة الله بسببهم, لذا يشعرون اليوم بصعوبة الأيمان و الأعتماد على الدّين كحلّ لمشاكلهم التي تتعقد يوما بعد آخر أكثر فأكثر عموماً!!

لأنها أمور غيبية غير ملموسة لبسطاء العقول، و لا محسوسة لمن لا يملك الوجدان، فلا تكون مأنوسة لهم، حيث إعتاد أكثر الناس على التعامل مع المادّيّات الملموسة بآلحواس و الجوارح .. بعد ما حُرموا من المعنويات تماماً، هذا بالإضافة إلى حالة الكسل الذهني و توقف الأنتاج الفكريّ, لهذا بات الناس يفضلون الحل السريع البسيط دون الصبر و التأمل بآلعواقب, بآلضبط كما فعلوا مع وجبات الطعام التي باتوا يفضلون الأكلات السريعة دائما لأنها أسهل و أسرع و في متناول اليد حال الطلب.

الثّاني: هو الخوف من أن يكتشف العقل بقوانينه المنطقيّة بطلان آرائهم و اعتقاداتهم الدّينية أو العرفيّة أو التقليدية المقدسة أو ألمأنوسة لديهم و التي تآلفوا معها أكثر العمر نقلاً عن مَنْ سبقهم، والتى غالبا ما تؤمّن مصالحهم الشخصيّة

والاجتماعيّة والسّياسيّة التي باتت قائمة عليه، وهم بطبيعة الحال لا يرغبون في التخلي عنها و يصطدمون مع كلّ مَنْ يُعارضهم حتى إسالة دمائهم و كما شهدنا, و هذا هو حال الناس, حيث إنهم دائما يصدقون ما يُحبّون أن يصدقوه ولا يستبدلوه بشيئ آخر نتيجة الإفراط و التفريط المصاحبة لمثل هؤلاء (3).

الثالث: هو تَوَهّم عدم وجود قانون علميّ موضوعيّ للعقل في الأمور المعنويّة ـ ألرّوحيّة، كما له ذلك في الأمور الماديّة المحسوسة و غير المحسوسة المتداخلة مع المادة كآلكهرباء و المغناطيس و الموجات الكهرومغناطيسية المختلفلة، لأنّ العقل ـ بزعمهم ـ عاجز عن الخوض في مثل تلك الموضوعات رغم يقينك بعدم إمكانيّة العيش بدونها، و لذلك فلا معنى للاعتماد عليه في مثل تلك الأمور الفلسفية و الغيبية، كما يزعم (كانط) في كتابه (نقد العقل المحض)، و يقصد به العقل البرهاني الميتافيزيقي، وكان ومازال لهذا الكتاب تأثيراً سلبيا على الفلسفة الغربية من بعده، و إلى يومنا هذا، بل تخطاه إلى المفكرين الشرقيين في عالمنا العربي والإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، والذين لبوا نداءه ، وقالوا له "سمعنا وأطعنا".

هذه الأسباب تبدوا أنّها واقعية ترتبط بها تفرعات كثيرة بالفعل، و أشعر ببعضها في نفسي، و لكن ماهي البدائل أو الطرق التي سلكوها بديلا عن العقل و عن جميع الفروع الأنسانية في حياتهم؟

لقد قام بعضهم بالفعل بإغلاق باب البحث في الموضوعات المعنوية كلياً, بل حاولوا خلال القرن الماضي إغلاق جميع الفروع الأنسانية و الرّوحانية في الجامعات الغربية بدءاً بفرنسا, إلا أنّ هِمم بعض الفلاسفة الأوربيين كروجيه غارودي و هنري كاربون و آبرهام ماسلو حال دون ذلك لكن الفرقاء المخالفين حاولوا و لا يزال حذف جميع المظاهر التي تدلل على الروحانية والدين والهيبونيزم و الأخلاق, كما فعل (أوجست كانت) و أصحاب الوضعية الذين زعموا أنها قضايا لا معنى لها؛ (nonsense).
كما فعل "أوجست كونت"، وأصحاب الوضعية المنطقية؛
(positivists).
بل إدّعوا عدم وجود أي شيء وراء المادة، و اكتفوا بالبحث والتفكير في المسائل المادية، واعتبروا أنّ هذا هو مجال البحث العلمي لاغير, و لعل ألدافع القوى لحدوث تلك الثورات الفكرية من قبل الفلاسفة الكبار الذين ذكرناهم ؛ إنما كانت بسبب فساد و ظلم الكنيسة و الحكومات التي كانت تدعمها إبان القرون الوسطى, و لم تكن أكثر تلك الأحكام مبررة من الناحية العقلية و كما سنبين ذلك.
و رغم إن الفيلسوف (آبرهام ماسلوا) حاول جاهداً إبداع نظرية لطيفة بل نظام شبه متكامل لسد الفراغ الروحي الغربي و الذي إشتدّ معر مرور الزمن؛ لكن الرأسماليون شهدوا أن تفعيل هذا الجانب سيكلفهم إقتصادياً و سيضرهم من الناحية الأنتاجية المادية, لهذا حذفوا أكثر مبادئه حتى من الكتب المدرسية و التعليمية مؤخراً, و طبقوه ضمن طبقاتهم الأجتماعية كي تبقى الفوائد محصورة بعوائلهم دون بقية طبقات المجتمع ألفقيرة و حتى المتوسطة .

في الشرق الناس أيضا لجؤوا إلى طرق سهلة لا تحتاج إلى مؤونة في التفكير، وهي سلوك سبيل التقليد باتباع العقائد الدينية والمذهبية الكلاسيكية، أو الأعراف والتقاليد الاجتماعية لإلقاء التبعات كلها على الدين و الرعف، أو بعبارة أخرى العقائد والأفكار التقليدية المشهورة والمأنوسة التي ورثوها من البيئة التي نشأوا وترعرعوا فيها, يقول كنفسيوس :
أمام الأنسان ثلاث طرق؛ أسهلها و أوطئها يمرّ عبر التقليد و هو أسهل الطرق بآلقياس مع الثاني ألذي يمر عبر التجربة و هو أعقد و أغلى الطرق, و أما الطريق الآخر فهو (الفكر) و هو أسمى الطرق لكن تحققه ليس سهلا .. لحاجته إلى المطالعة والدرس و الصمود.

ولكن كيف لك أن ترفع هذه الأوهام ـ كما يقال ـ من أذهانهم، وتقنعهم بضرورة إعمال العقل لأنتاج الخيال لبناء حياتهم الإنسانية، كما أستخدموه في حياتهم المادية؟

إن المنشأ ألأوّل و الأهم المشترك لكل هذه الأسباب الداخلية هو الجهل بطبيعة العقل الواعي و الباطن وقوانينه المنطقية، أما الذي يستصعب الطريق، فنقول لا معنى للركون إلى الكسل في مثل هذه القضايا المعنوية التي تتعلق بمصير الإنسان و

سعادته في الحياة، و تسليمها إلى الاخرين ليفكروا بدلا عنا و يفرضوا علينا اعتقاداتهم التي من الممكن جدا أن تكون عقائد فاسدة أو خرافية تسبب لنا العذاب والشقاء و العبودية.

فتحصيل الأموال في هذه الدنيا أمر صعب جدا، ولكن لإدراكنا لأهمية المال في الحياة، نتحمل في سبيل تحصيله كل الصعوبات، فالبحث في مثل تلك القضايا المصيرية هو أهم و أولى من تحصيل المال.

مشكلتي الكبيرة و الكبيرة جدّاً هو مع الذين يخافون البحث العقلي وآلتجديد، بدعوى الحفاظ على اعتقاده و مذهبه المتوارث؟ بيد أن المفروض على مثل هؤلاء ألجّبناء نفسياً و المحدودين عقلياً؛ أن يعلموا أنه إذا كان اعتقاده حقاً واقعياً و مستدلاً، فسوف يزيدك البحث العقلي إيمانا ويقيناً وعمقاً به, ولا خوف و لا ضير ولا ضرار حتى لو واجهت العقائد و النظريات الأخرى التي هي أيضا محل إثبات عقيدتك بكونها هي الأصح فيما لو صمد أمام أدلتهم و دعواهم، وإن كان اعتقادك باطلا خرافياً و لا يستطيع الصمود، فهو لا يستحق أن تعتنقه أو تقدسه أو تؤمن به، وسوف يحررك العقل من شرّه و يبدلك خيراً منه.

هل هناك قانون عقلي في الأمور ألمعنويّة؟

قبل عرض ألعوامل ألسلبية المانعة للتفكير و الخيال و الأبداع؛ يجب ألأجابة على آلسؤآل أعلاه لإرتباطه المباشر بآلموضوع.

و آلسؤآل ألمعني بآلحقيقة هامّ و يختصر البحث الآنف كلّه لأنه يدور حول مسائل الفكر و الخيال كأساس للأنسان و الوجود:

و ليعلم الجميع بأنّ حصر التفكير العقليّ في الأمور الماديّة دون آلمعنويّة, لا دليل عليه، بل الدّليل الأوضح و ألأقوى بخلافه؛ لأنّ العقل واحد و قانونه المنطقي في التفكير واحد......، و هو أن ينطلق العقل في تفكيره من معلومات واضحة بذاتها عنده، وهي نفس الأمور البديهية البينة التي أشرنا إليها سابقا، و لا فرق في ذلك بين كونها واضحة لأنها محسوسة كما في الفيزياء و الرياضيات، أو غير محسوسة كامتناع, كقانون التناقض والسببية، بل المعلومات غير المحسوسة هي الأصل و الأساس للمعلومات المحسوسة, كما اللامادة أساس المادة حين نتعمق في تكوينها و نصل الذرة و مكوناتها، والتي بدونها لا يمكن أن نثبت أي شيء كما ذكرنا في السابق، فهذا التبعيض والكيل بمكيالين في الأحكام العقلية ليس بصحيح، بل لا معنى له أصلا إذا فهمنا معنى التفكير العقلي السليم..

و إن الحياة الأنسانية لو خليت من المعنى و الغيب و الخيال؛ فأنها تصبح سطحية و تافهة تؤدي إلى محو إصالة الأنسان و حتى المجتمع و ديموته, بسبب إنقطاعه عن الأصل الذي أوجده .. و هذه ألعلاقة هي السّر في بعث المعرفة و آلمحبة التي هي من الله لمحبة و خدمة الخلق عبر تقديم الخدمات و العمل و الأنتاج, و صدق الشاعر بقوله الحكيم:
ألناس للناس من بدو و من حضر .. بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

و إليكم ألعوامل ألخمسة عشر ألسّلبيّة ألمانعة للتّفكير و آلخيال آلخصب للأبداع و تنفيذه :

بداية يجب أن نتيقّن بأنّ أخطر قضية تواجه نهضة أيّ بلد هي حالة التفرقة و النزاع و الخصام و الشدّ و الجذب على السلطة و المناصب و تقسيم الحصص لأنّ الأطراف المعنية – الحزبية بآلذات - يعتبرون السلطة غنيمة يجب الحصول على أكبر ما يمكن من المناصب و الغنائم فيها, لهذا ترى تأجج الخلافات و تطورها بعد كل انتخابات تجرى لحد الخصام و القتال أحياناً, فآلعراق مثلاً و رغم مرور عقدين تقريباً على النظام البديل عن نظام صدام؛ ما زالت الأطراف و هي بآلمئات تتصارع فيما بينها على المناصب و السلطة رغم إن أسيادهم قد حددوا لهم السياسات و السلطات و المساحات التي يتحركون فيها و بشكل مفصل حين جعلوا مثلا رئاسة الجمهورية للكرد و المجلس للسنة و الحكومة للشيعة و غيرها من التفاصيل, و رغم هذا ترى كل جهة تتخاصم .. لا ساعات ولا أيام بل أشهر و قد تصل لسنة و أكثر و كما هو الحال الآن لتحديد الشخص المناسب بنظرهم الحزبي المذهبي – الطائفي – الأئتلافي .. ليكون رئيسا لهم, و هكذا القضايا الأخرى الفرعية, لهذا لا يمكن أن يبنى

مثل هكذا بلدان, و لعل الديكتاتورية الفردية أفضل بكثير من هكذا وضع من بعض الجوانب؟

و يبقى الدور الأكبر و الرئيسي لإنتشار الفساد في بلد أو شعب أو حتى حزب أو قبيلة أو عائلة إلى الرئيس و الحاكم , لأن : [مثل العَالم أو (الرئيس) في الأمة كمثل الرأس من الجسد؛ إذا فسد الرأس فسد الجسد و إذا صلح الرأس صلح الجسد].

بجانب هذا الوضع المدمر .. المخرّب؛ هناك عوامل أخرى عديدة يجب دراستها لتجاوزها و تحقيق التّقدم الحضاري و المدني, و هي:

- ألفساد الإداري :

ألنظام ألأداري بمثابة (ألأم ألراعية) لمشروع أو لشبكة أو لوزارة أو لحكومة دولة .. أيّ نظام علميّ ؛ سياسيّ ؛ إجتماعيّ؛ إقصاديّ؛ صناعيّ ؛ زراعيّ؛ تقنيّ؛ عسكريّ؛ طبيّ؛ تعليميّ في أية مؤسسة أو حتى ضمن نطاق دولة خصوصاً في الدّولة الإسلاميّة التي تنشد تحقيق ألرسالة التي و جد البشر لأجلها بتحقيق العدالة و المساواة للجميع عبر تهيئة أجواء آمنة تتألّق فيها المحبة و الأمانة و الأخلاص, لهذا لا بدّ من العناية بآلهيكل الإداري و أنظمتها و تفاصيل عمل أقسامها و الحفاظ عليه من عمليات الفساد و التزوير و الأختراق و التخريب داخلياً و خارجياً و ذلك بتطبيق ألقوانين و حماية منظوماتها الأليكترونية بآلمتابعة و المراقبة الدائمة و إنتخاب الأفراد المؤهليين الكفوئين و الأمناء على الأسرار لإدامتها و تحقيق أهدافها بحسب المواصفات المطلوبة ضمن ألبرنامج ألكليّ ألعام ألذي تمّ التخطيط له من قبل وزارة التخطيط طبقاً لآراء المفكرين و العلماء و الفلاسفة الكبار.

آفة النظام الأداري, هي تفعيل المبادئ الحزبيّة و المحسوبيّة و المنسوبيّة في تقييم و تعيين الأشخاص و توزيع المناصب, فبمجرّد تحكيم ألمحاصصة لأجل المال و الرواتب و تلك المبادئ الضيقة فإنّ الفساد سينتشر في كل النظام كآلنار عندما يسري في الهشيم, و ما يعانيه العراق اليوم إنما بسبب الفساد الذي سببه المحاصصة.

ألنقطة ألأخرى ألهامة تتعلق بآلبديل .. أيّ إنتخاب ألشّخصيّات المناسبة للمواقع المناسبة بحسب ألنهج العلوي الأمثل الذي إتفق عليه علماء العالم, و فيها مسألتان, هما (الأمانة و الكفاءة) أللتان يجب أن تتوفّرا في آلمسؤول خصوصا في المناصب الرئاسية و السيادية.

و لو فرضنا وجود شخصان ؛ أحدهم يمتلك الكفاءة و الخبرة اللازمة لمنصب معين لكنه أقل أمانة من شخص آخر لا يمتلك الخبرة الكافية لكنه أمين .. فأيّهما يفضل في هذه الحالة؟

هذه مسألة هامّة تواجهها جميع أنظمة العالم و حتى على آلمستوى الشخصي و العائلي و في المشاريع الصغيرة, لذا يجب ان نلتفت إليها بدقة؛ من حيث أن ألقوانين العلويّة ألعادلة تقول ؛ بأنّ الشخص الثاني – أيّ الأقل كفاءة و الأكثر أمانة – هو الذي يجب أن يرشح لإستلام المنصب, و السبب هو في حال وقوع مشكلة أو فساد في المؤسسة أو الوزارة أو الرئاسة التي يديرها الشخص الأول – الكفوء لكن الأقل أمانة – فأن حجمه و أثره سيكون عميقاً و كبيراً لأنه خبير و يعرف كيف يفسد و يسرق و يهدر و يدمر!

أما لو حدث الفساد مع الشخص الثاني – أي الأقل كفاءة و الأكثر امانة – فإنه سيكون طفيفاً و سطحيا و يُمكن معالجته و إصلاحه بسهولة بتدخل الجهات أو الرئاسات المختصة.

- عدم الأهتمام بآلتنمية ألفكريّة:

عدم الأهتمام بعملية التّنمية الفكريّة و ذلك بعدم العناية لتهيئة الأجواء و المتطلبات اللازمة؛ تتسبب في هدر الحقوق و ضياع

العدالة في المجتمع, ليحلّ بدل ذلك ألعنف و الفوضى و تسلط الشهوة و حب المال و الرّئاسة, حيث يتسبب في محو التكافل الأجتماعي و الرحمة و تضعيف و إيقاف عمليّة النمو و الأنتاج العلميّ و المعنوي بآلكامل بل و ينشغل المتسلطون في كشف الطرق الشيطانية و الغير الأنسانيّة لتحقيق رغباتهم المادية التي أشرنا لها بدل الطرق الرحمانية, حتى إن المجتمع برمته يتّجه شيئا فشيئاً نحو الأستغناء الكامل عن الفكر و التفكر و تخصيب الخيال العلميّ و المعنويّ و العمل المنتج الجاد و بآلتالي موت الوجدان و التّوجه نحو غايات أخرى محدودة الأثر في الحياة, لأن الناس عادة ما يسيرون على نهج ملوكهم, فحين يرون بأنّ الرؤوساء و الشيوخ و المدراء يستغلون مناصبهم لجيوبهم و ذويهم و مُقرّبيهم بآلمحسوبيات و المنسوبيات و يفسدون باسم الجهاد و الدِّين و الوطن و القيم لإستغلال و نهب آلفقراء .. فمن آلطبيعي في هكذا حال؛ أن يكفر الناس بالقيم و المعتقدات و حتى الوطن فينتشر الفساد و تتفرّق الأمة إلى شيع و أحزاب و تيارات و كما حدث في العراق حيث وصل عدد الأحزاب و التيارات إلى أكثر من 500 حزب و فرقة و عشيرة كل يصيح وا ليلاه , ليصبح في النهاية مجرد مجتمع طفيلي مستهلك عنيف فاقد للرّحمة و الأنسانيّة و التواضع يبحث كلّ فرد فيه عن مساعدة و راتب أو ما يصله من الحصص التموينيّة لأدامة حياته الجسدية الظاهرية ألخالية من كل معنى و هدف كونيّ, و ليواجه ضمنياً الأمراض و آلعلل و المّلل التي تواجهه حتماً .. ليموت حتى جسده رويداً .. رويداً, و بآلتالي يستحيل أن يتحقق في هذا الوضع التكامل الأنساني و الصحيّ و الثقافيّ و التعليمي و الاجتماعيّ و الأقتصاديّ والعلميّ و غيره .. هذا إلى جانب التكامل المعنوي ليبقى محصوراً في المدار البشري الذي لا يقاوم كثيراً بدون وجود المحبة و الوجدان, خصوصا و قد أصبح شيئا فشيئاً تابعاً ذليلاً 100% لمن يحكمه و للقوى الأستكبارية المهيمنة عليهم جميعاً من فوق بواسطة حكومات فاسدة باعتهم بآلجملة و المفرد و لا تهتم سوى لمصالحها الذاتية و الخاصة و لرواتبها و مخصصاتها و حصص أحزابها التي تريد سرقة المجتمعات لمصلحة المنظمة الأقتصادية العالمية, بينما الناس تسعى فقط ألحصول على القوت و العيش اليومي و بما يتفضلون عليهم من خلال الرّواتب و السّلال الغذائيّة, و كما هو حال الكثير من المجتمعات خصوصاً الإسلاميّة التي توقفت عن الأنتاج العلميّ بشقّيه ؛ الماديّ و المعنويّ.

بإختصار : ألتنمية تتحقّق في حال وجود مراكز للتحقيق و البحث بإشراف مختصين كفوئيين و أمناء, إلى جانب وجود التنسيق العالي بين الجامعات و آلمراكز و آلمؤسسات العملية - ألأنتاجية و بغير ذلك يستحيل أن يتطور و ينمو البلد.

- فقدان حاسة كشف آلجّمال :

لاجل درك مبادئ الفلسفة الكونية كأدوات للكشف و الأبداع لا بدّ أن يعرفي و يتسلح الكونيّ بثلاث معايير أساسية هي: معرفة الجمال و العلم و عمل الخير, و لكل واحدة شروط و قوانين حساسة لا بد من الوقوف عليها لدركها والعمل بها. لقد عرضنا في فلسفتنا الكونيّة بوجود حاسة أخرى إلى جانب ألحواسّ المعروفة لها أهمية فائقة يمكننا بها معرفة كُنه و موازين الجّمال و ماهيته الكونيّة, لأنّ هذه المعرفة تُعظّم قوّة ألخيال في وجودك و تُبعدك بشكلٍ طبيعيّ و ذاتيّ و فطريّ عن الفساد و القبح و الرّذيلة و الشر و لها تأثير كبير في تلطيف و تقويّة و إنماء الفكر الكونيّ و تفعيل قوة الخيال في وجود العارف للأثراء العلمي و هكذا يؤثر إيجابياً في آلبدن الماديّ, و لعلي لا أجانب الواقع لو قلت بأنّ الناس بضمنهم الكثير من العلماء يفتقدون لهذه الحاسة الكونيّة العظيمة التي تُنمّي فكر ألأنسان و تُسبب شفائه من آلأمراض البدنية و الرّوحيّة و آلنفسية التي بعضها يستحيل علاجها بآلجراحة أو العلاجات الطبيّة التقليديّة بسهولة, فيما لو عرفنا بأن أكثر من 99% من الأمراض التي تصيب البشر سببها روحيّ و نفسيّ.

- فقدان ألأُلفة و ألمحبّة:

نتيجة فقدان حاسة الجّمال و معرفة المقايس و المعايير الكونيّة الخاصّة بمعرفتها؛ نرى إنّ الحبّ قد إنحسر في الجوانب الجنسيّة و الماديّة المحدودة و التي بمجرد إنتهائها و تجاوزها تنتهي الروابط و العلاقات الظاهرية القائمة, و بذلك تموت الأرواح و آلأحاسيس و الوجدان, و تتلطخ القلوب بآلذنوب و آلآثام و تفقد البصيرة ا لتي بها يتم التفكير الحقيقي و إنتاج العلم, و يحلّ بسبب ذلك آلعنف و القسوة و الظلم و الكذب بدل ذلك, حتى تصبح مجتمعة حاجزاً قوياً أمام الأبداع و آلفكر و المعرفة و عمل الخير في وجود الأنسان, و بذلك ضعفت و إختفت الرّوابط الأجتماعيّة و الوحدة و التعاون بين الناس و التي إنعكست على كافة الصعد بما فيها الأنتاجية خصوصا في بلادنا رغم غناها من الناحية المادية و كثرة المساجد و الأضرحة و

مراكز العبادة بكل أنواعها, و السبب الأساسي هو عدم التعمق في فهم أحكام الدّين و فلسفة أحكامها و ما يخفى ورائها.

- ألأنتماء للأحزاب و الأئتلافات و آلعشائر و آلمليشيات لجعل الناس كآلعبيد و المرتزقة :

و هذه من أخطر العوامل التي تُفسد و تُحجم أفكار و إبداع المنتمين لتلك القوى في أي شعب أو أمة و بآلتالي المجتمع البشري ككل, لأن العضو عليه الألتزام بمناهجهم و تعليماتهم و أوامر قادتهم خوفاً على مصالحه ألمرتبطة بمصالح ألرؤوساء و الشيوخ و المسؤوليين الذين يتحكمون عن طريق الحزب بحياتهم الأقتصادية و آلأجتماعيّة و السياسية بشكل خاص, فكيف يُمكن أن ينتج و يبدع ذلك العضو العبد الذي إستأجر فكره و نشاطه العقلي لقيادات همّها الأوّل والأخير إستعباد الناس لضمان مناصبهم و رواتبهم و شهواتهم و حماياتهم التي هي همّهم الأوّل و الأخير بسبب الأفكار الحزبيّة المحدودة المتحجرة!؟

لهذا لم نَرَ في طول التأريخ بروز عالم كبير أو فيلسوف بنظرية معينة .. أو حتى مفكر عادي من بين الأحزاب و الإئتلافات التي تشكلت لا في الشرق و لا في الغرب, مما يعني عقم و فساد و خطورة التحزب و ضرره الكبير على مستقبل و صحة و سعادة المجتمعات البشرية.

- ألتّقليد الأعمى :

يقول النّبي الأرضيّ ألحكيم كونفسيوس: أمام الأنسان ثلاث طرق لخوض غمار الحياة لتحقيق ألأهداف بغضّ النظر عن أهميتها و مستوياتها و غاياتها, و هي على الشكل التالي :

ألأوّل؛ يمرّ عبر التقليد .. و هو أسهل الطرق و أرذلها!
ألثّاني؛ يمرُّ عبر التجربة .. و هو أغلى الطرق و أخطرها!
ألثّالث؛ يمرُّ عبر الفكر .. و هو أسمى الطرق أرقاها!

ملاحظة: هذا التقسيم يخصّ العلماء و المفكرين و الفلاسفة بآلدّرجة الأولى, و لا يخصّ (العوام) ألذين بحاجة إلى مختصين عادّة لمعرفة أمور الحياة بإرشادهم و هدايتهم عبر بيان الأحكام و القوانين المتعلقة بذلك.
من هذا يستطيع القارئ أن يحدّد موقفه و خياره لخوض غمار الحياة التي يأتي لها و يمرّ منها ليحدد مستقبله و خلوده, إما بآلأبداع و الأنتاج لتحقيق حياة خالدة لا تنتهي, أو حياة قصيرة لا يدري كيف تنقضي بسبب ألأضطرابات ألتي تشوبها المعاناة المختلفة بما فيها التبعية و الجمود ألذي هو نتاج التقليد الأعمى ليعيش كآلطفيليات فيتسبب بآلفقر و العوز.

- ألفقر و العوز:

الفقر و العوز أحد أهم أسباب الركود الفكريّ و ضمور الخيال, حيث يؤدي إلى التشويش و عدم الإستقرار و فقدان الأمن و الراحة و الهدوء و الصّفاء الذهني, و بآلتالي إصابة المجتمع بآلفساد و الظلم و بآلتشتت الفكري و إضطراب الأحاسيس و القوى العقلية الظاهرية و الباطنية, يقول العليّ الأعلى(ع):
[ألفقر منقصة للدّين و مُدهشة للعقل]!
و
[ألفقر يُنسي]؛
و
[إذا دخل الفقر بيتاً دخل الكفر معه]؛
يعني إختلال كلّ موازين الحياة و القيم الإنسانيّة و الكونيّة بسبب ذلك, و بآلتالي إنعدم التّفكير السليم و محو الخيال و الأنتاج

العلمي الذي يتحكم بآلجانب الأقتصاديّ و الأجتماعيّ و التربويّ الذي يتحكم به من الجانب الآخر الحاكم سواءاً كان دكتاتور واحد أو مجموعة أشخاص أو أحزاب.

و الجائع لا يُفكّر عندما تُسلب حريّته سوى بملأ بطنه ولا يستطيع التفكير بشيئ آخر, حتى الذين يمتازون بآلذكاء و العلم و الكفاءة يتسبب الفقر بتدميرهم, حيث قال العليّ الأعلى(ع) أيضاً: [ألفقر يخرس الفطن عن حجته], يعني الفقر يجعل الأنسان الفطن أخرساً و غير قادراً عن بيان حتى حجته و عوزه.

لذا يجب أن تتوفر الحاجات الضرورية الأساسية لحياة الناس و الأجواء الآمنة للمحققين و العلماء قد يتمكنوا من أداء دورهم الفكري الرائد الذي بسببهم تتطور المجتمعات و تزهر بإنتاجهم العلمي, و إلا يبقى مشغولاً مذهلاً لتوفير تلك الأمور الشخصية فيخسر المجتمع نتاجه الذي يتسبب بإنقاذهم و إسعادهم.

و ليس هذا فقط ؛ بل على المجتمع تكريم العلماء و المنتجين و حمايتهم, لتشجيعهم و تمكينهم على أداء دورهم بشكل أفضل لأجل مستقبلهم و مستقبل أبنائهم و الأجيال القادمة.

إن الذي لا يملك الحقوق الطبيعية ولا يملك الحاجات الأساسية(ألكفاف) للعيش كآلسكن و اللباس و الغذاء يعيش في عذاب دائم و وجدان مضطرب و لا يُفكّر سوى بكيفية تأمين تلك المتطلبات الضروريّة و يستمر بهذا المستوى الفكري المحدود دائماً لتحقيق تلك المتطلبات ليبقى حياً داخل تلك الشرنقة و يتخلص من الدخول في المجهول – أي الموت – لأنه لا يملك فكرة واضحة عن حقيقة الموت بسبب عقائده المؤدلجة.

فالذي يفتقد مقومات ألبقاء للعيش بكرامة؛ يتعرض لمختلف العاهات الجسدية و النفسية و بآلتالي يفقد الخيال و كما هو حال العراق اليوم كما كان بآلأمس للأسف و هكذا معظم الشعوب الأفريقية و الآسيوية والكثير من شعوب العالم الغربي والشرقيّ.

- ألجلوس مع الجّهلاء:

أيضا الجلوس مع الجّهلاء و المنحرفين من أهل الطمع و الدّنيا و الشّهوات يتسبّب بآلركود الفكري و تضعيف الخيال و الإنتاج العلميّ, و نعني هنا الإختلاط و البحث و الشراكة مع هؤلاء يتسبب بتلك النتيجة, و لو كان الدافع هدايتهم و تربيتهم فأن هذا ليس فقط يتسبب بنشر المعروف و الخير ؛ بل يتسبّب أيضا بإزدياد قوّة و قدرة الفكر في صاحب العقل و الفكر, لأن [زكاة العلم نشره], و يحصل صاحبه أيضا على الثواب, ألمهم عدم مصاحبة الجاهل الذي لا يعلم حتى بأنه جاهل, لأنه يتسبّب بأضرار عديدة .. إنْ لم يتمّ تنبيهه و هدايته, و كما يقول الأمام (ع): [مَنْ صحب جاهلاً تنقّص عقله].

- ألشّبع و التخمة:

يتسبّب أيضا بتجميد الفكر و إيقافه .. لهذا فإنّ العقلاء العلماء يجب أن يعلموا بأنّ هناك قوانين لمقدار الشبع و الأكل فآلأفراط في الأكل و ملئ البطن يتسبب في البلادة و ضعف العقل و بآلتالي تحجيم الخيال, حيث يقول الرّسول الكريم(ص): [مَنْ أجاع بطنه عظمت فكرته و فطن قلبه].

لقد لاحظت خصوصا في شهر رمضان المبارك بأنّ أكثر المسلمين الذين يصومون الشهر؛ تراهم في النهاية يزيد أوزانهم و يتضخم أبدانهم و يصاب بعضهم بآلسكر و الضغط و الدّهن و غيرها من الأمراض بسبب مضاعفة مقدار الأكل و الشرب فيسبب التخمة التي يتسبب به أثناء الأفطار أو في آلسّحور للأسف, و ليس هذا فقط بل يؤدي لتعطيل عقله و حتى عباداته. يقول لقمان الحكيم : [إذا إمتلأت المعدة نامت الفكرة](4).

و الأهمّ مما ذكرنا ؛ إن إشباع البطن و حالة التخمة تتسبب في قساوة القلب و موت الوجدان و العكس من ذلك صحيح أيضاً,

و كما ذكرنا من خلال حديث الرسول الكريم (ص) ألآنف الذكر, حيث يتسبب الجوع البسيط بصفاء القلب و الفكر و تقوية الوجدان و تحسيس أحوال المحتاجين و يقظة الضمير.

يقول الكركاني(الجرجاني) : [لَذّات الدّنيا عبارة عن الأغذية ألشّهية و الماء الرقراق و لباس الحرير و المركوب السريع و الغلبة على الأعداء و معاشرت النساء, بينما كل هذا آلام و أمراض تُسبّب أضطراب في وضع و تفكير العلماء و المفكرين الحقيقيين](5).

- ألتعب و الإرهاق :

ألتعب و الإرهاق البدني و النفسي أيضا يتسبب بنقص التفكير و الأنتاج العلمي و ردائته , و التّعب قد يصاحب الأنسان في جميع مراحل العمر نتيجة العمل في شؤون أخرى تتسبب في تعب الجسم و آلروح و الفكر أيضا, قد يكون لأجل الكسب أو أعمال أخرى لشؤون الحياة ممّا يتسبّب بمنع الأنسان للتركيز على النتاجات الفكريّة العميقية و المسائل ألسّتراتيجية المصيرية التي تخص البشرية, من هنا يجب أن نراعي و ندعم ذوي العقول و الأفكار الكبيرة من العلماء و الفلاسفة الحقيقيين ليعطونا علمهم و أفكارهم لرقي المجتمع ككل.

- ألأنشغال بآلتوافه و الجزئيات :

هناك أموراً كثيرة في الحياة لا تستحق حتى التوقف عندها ناهيك عن التفكير و التنظير و الأسهاب فيها أو التعقيب عليها, لأنها تعتبر من التوافه و الثانويات الغير ضروريّة, لهذا يفترض بآلعلماء و المفكرين عدم الأكتراث و الإنشغال بكل صغيرة و كبيرة , بل لا تجد عند مَنْ وعى الوجود و وصل مرحلة علمية و فكرية راقية؛ يتوقف عند تلك الصغائر ليصرف مقادير ربما كبيرة من فكره و عقله في تلك الأمور فتتسبب في تعكير صفو حياته و تفكره و وجوده و نسيان الهدف الأساسي, فتنعكس على محياه و تجاعيد وجهه و قسماته و نظراته و حتى بما يحيط به من المخلوقات.

- ألخلط و الجهل بالعقائد:

و لعل هذه النقطة من أسوء الحالات و الموانع التي تبعد الأنسان .. بل و تُعجزه و تُعيقه عن معرفة الحقيقة, و هذا ما يعانيه اليوم شعب العراق برمته و معظم شعوب المنطقة و العالم, و السبب هو تشوّه ألقيم و الأخلاق و آلدّين ألذي وصلهم من آلمُدّعين و تخبط العقائد و المعتقدات التي روجتها الأحزاب المختلفة من أجل المال و الرواتب و السلطة, شيوع الثقافات التربوية الفاسدة من قبل ألأعلام الفاسد و مواقع التواصل التي تنشر كل شيئ بلا تحقيق و روية, مما تسبب بفقدان الثقة و العلاقات ألأنسانية الشريفة و شيوع الكذب و البهتان و الغيبة و النفاق و الفساد بين الناس.

- الأمال ألغير منطقيّة :

و تتعلق بوجوب ملاحظة الواقع و دراسة الوسائل و الإمكانات بجانب تفعيل الأخوة و الوحدة و التواضع للعمل بروحية الفريق الواحد و السعيّ ألمنهجي ضمن الممكنات لتحقيق أهداف الأفكار و النتاجات العلميّة بشرطها و شروطها من دون التطرف أو التعجرف أو الأفراط و التفريط, بجعل الهمّ الأكبر هو الحصول على المنافع الشخصية و الآمال الدّنيوية, و نسيان الهدف الأسمى و الأكبر من وجودنا و العمل على تحقيق ذلك الأهداف الذي وجدنا لأجله و فيه رضا الناس و رضا الله تعالى .

يقول الأمام عليّ(ع) : [و إعلموا أن الأمل يسهي العقل و ينسي الذكر].
و يقول الأمام الرضا(ع): [أخوف ما أخاف عليكم هو إتّباع الهوى و طول الأمل], و هذا بسبب نقصان العقل و عدم التفكر السليم.

و يمكننا أختصار الحقيقة في هذا المجال ببيان الفرق بين العاقل و الجاهل؛ بكون العاقل يطلب الممكنات التي يسهل تحقيقها, أما الجاهل فيطلب الأشياء التي تحققها مستحيلة.
و الأماني عادّة ما تعمي أعين ألبصائر, كما يقولون!

ـ ألتّعصب و آلعناد:

ألمُتعصّب لا يُفكّر و لا يتعقل, ولا يعرض إعتقاده أمام المعتقدات الأخرى لأختبار قوتها و صمودها أمام العقائد الأخرى(لأن العقيدة التي لا تصمد أمام العقائد الأخرى على صاحبها البحث عن عقيدة أخرى), لذا يتوجب على كل صاحب نظر و فكر طرح و مناقشة معتقداته مع أهل النظر ليرى وجه الصّح و الخطأ و الشبهات في معتقده .. و بآلتالي ليرى إلى أيّ مدى يمكن أن تكون منهج عقيدته سليمة ليلتزم بها و يدعو إليها, و الناس عادة ما يرفضون الفكر الجديد و يفضلون البقاء على ما كان فهو الأولى لهم, و قد عانى جميع ألأنبياء و آلحكماء و الفلاسفة على مدى التأريخ من هذا الأمر حيث فشلوا في أداء و هداية الناس, و كان أهم موضوع يشغل بالهم هو كيفية إيصال الحقّ للناس لهدايتهم و تحصينهم من سيطرة الظالمين و المنافقين, لأن معظم الناس و في كل عصر يتحاججون بما إعتقدوه من آبائهم و مربيهم و إعلام النظام الحاكم المغرض و الدين الذي يدعوا له, حيث يفضلون عادة ما (ألمذهب ألمرجئي, لهذا أشار القرآن الكريم لهؤلاء بآلقول:

[إنا وجدنا آبائنا على أمّة و إنا على آثارهم مهتدون](6).

[و إذا قال لهم إتبعوا ما أنزل الله, قالوا؛ بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا, أ ولوا كان آبائهم لا يعقلون شيئا و لا يهتدون](7).

[.. وجدنا آبائنا لها عابدين](8).
[و إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك](9).
و هكذا وردت آيات عديدة إلى جانب ألأحاديث الكثيرة التي تذم التعصب و اللجاجة التي تمع صاحبها من المعرفة و بآلتالي التكامل, ليتحقق في وجودهم الخلافة الألهية.
و ذلك التعصب و العناد يُولّد الأضطراب و الضغوط النفسية, و بآلتالي شتى الأمراض الجسدية و الروحية و النفسية, خصوصا قرحة المعدة و أضطراب التفكير السليم.

ـ ألأضطراب و آلضغوط ألنّفسيّة :

الأضطراب و الضغوط النفسية تؤديان إلى ألرّكود و الجمود الفكري, و يتسببان أيضا في إحلال الخوف و الترقب في وجود الأنسان , حيث يبقى المصاب على الدوام يتخيل و يدرك بشكل مبهم ذلك التهديد الغير الحقيقي.

هذه الحالة المضطربة تؤدي بمرور الزمن إلى جعل المصاب يائساً من المستقبل و العمل, بحيث يمنع الشخص من التفكر و التمعن و التعقل, و تبدء الأوهام و التخيلات السلبية بآلسيطرة على تفكيره , بحيث يجعله يفضل السواد على البياض و الظلام على الضوء, و بدل التفكير الصحيح يفضل الأنفصال عن ذلك, بحيث يبتعد عن مسير الحقيقة تماماً, لهذا من الصعب على هكذا أشخاص أن يكونوا أصحاب إعتقاد راسخ أو رؤية و تفكير سليم يؤدي بهم إلى نيل رضا الله.. حيث يرى نفسه أصغر من أن يكون عضوا كبقية أفراد المجتمع, لهذا يصعب عليه التأقلم مع أفراد المجتمع و ربما حتى مع عائلته و المقربيين منه, حتى أنه يرفض الأستفادة من أفكارهم و آرائهم, و الغريب أن مثل هؤلاء الأفراد يمكنهم أن يكونوا سياسيين كبار أو مدراء جديين أو أساتيد كفوئيين و بإمتياز, لكنهم لا يستطيعوا بآلتأكيد أن يكونوا مفكريين و منتجين للفكر و العلم, أو ممن يفتحوا للناس ألآفاق و طرق الخلاص, لأن حالته تلك قد أبعدته عن فضاء التنوير و التجديد و التفكير و الخيال المبدع المثمر, بل و يتجه للظلام و الخمول و السكون, لأن وجود الأنسان أساساً هو للوصول إلى الحقيقة و الهدف المنشود الذي وجد لأجله و هذا يحتاج للتنوير و الأبداع و آلشوق و الحبّ و التجديد الدائم لإبعاد الخوف و الضغوط و محو الآلام من ضميره و تقوية

الفكر.

ألأرادة و التصميم و القطع في تحديد القرارات بعد الدراسة و التمحيص هو المطلوب للتخلص من هذه الأوضاع المأساوية, و بما أن الأفراد المصابيين بتلك الحالات يكونوا عادة فاقديين لقوة الأرادة و التصميم الصحيح, لهذا يبقون على مفترق الطرق دائماً, لهذا نرى أن المفكريين الحقيقيين لا يتصفون بتلك الصفات, الملل و الكآبة و الضعف و التردد هو من نصيب الشخصيات الكاذبة و المتزلزلة, أؤلئك الذين قسموا شخصيتهم إلى قسمين و يعيشون حياتين؛

فحياتهم الواقعية تتصف بآلضغوط و الضجر و الملل, و في نفس الوقت ألتظاهر بحياة هادئة و طبيعية غير واقعية و هذه أيضا يكون بآلضغط على النفس و السعي لإظهارها بشكل إنسان طبيعي لا يختلف عنهم و يحاول إدامة ذلك, و لعل فقدان المصاب لعمل جديّ يكون مورد رضاه و حفظ كرامته, هو السبب الرئيسي في عنائه و مكابدته, يقول ا لأمام عليّ(ع):

[إن يكن الشغل مجهدة فإتصال الفراغ مفسدة].
و يضيف:
[ألنفس إن لم تُشغله يشغلك].

و كانت وصيّة الحلاج ألشهيد (ألحُسين بن منصور) لخادمه قبيل إستشهاده حين سأله ليوصيه, قال: [عليك بآلعمل على إشغال نفسك ؛ لأنك إن لم تشغلها شغلتك], كما وصى إبنه الوحيد الذي كان يرافقه؛ [بُني بينما الناس يلهثون وراء المال ؛ عليك بطلب العلم فآلمال يزول و العلم يبقى]..

و لعلّ أخطر ما يواجهه مجتمع من المجتمعات خصوصا الغربية منها و تُسبب تأخره من آلناحية (الحضارية)(10) التي هي أساس السعادة نتيجة الجمود الفكري و توقف الأبداع و الأنتاج العلميّ و العمل لتحل الآلة بدل الأنسان بذلك!
يضاف لذلك وجود الأنظمة الدّكتاتوريّة ألجاهليّة بشقّيه (الفردي) حين يتحكم شخص متمرّد مريض بكل شيئ ..
أو الجماعيّ ـ حين تتحكم (ألدكتاتورية الجّماعيّة) بقيادة مجموعة من الأحزاب أو الكيانات المتحاصصة لمنافع حزبيّة و شخصيّة و عشائرية و عائليّة خاصة و ضيقة مسبّبة الطبقية التي تجرّ إلى الإرهاب و منع التفكير إلاّ من خلال نهجها و تمجيدها ـ أي الحكومات ـ لتكون فيزا السّماح و ورقة عبور لأهل الفكر بآلكتابة بحسب شهوة الحاكمين و مرادهم, و هذا ما سنطرحه في الحلقة القادمة لأنها من أهم ألعوامل التي تؤديّ إلى تحجّر و إنجماد و إنحراف الفكر و تشويهه و منع الأبداع و الأنتاج العلميّ.

---

(1) تدلّل ألآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة و العقول الحرّة المنتجة؛ إلى أن أسوء و أظلم الأنظمة هي تلك التي تستعبد الناس و تشيع الكبت و الخوف بآلرواتب و آلأموال التي يستولي عليها بغير حقّ لأنها أساسا هي أموال الشعب, و كما فعل النظام الصدامي حين جند الشعب كلّه ليتجسس بعضه على بعض براتب لا يكفيه إسبوعا واحدا من الشهر, ظاهراً نفسه و كأن آلرئيس هو المتفضل و المنعم عليه, و بما أن هذا الطفيلي قد إستأجر عقله و كرامته للحاكم, فيكون مشاركا في الظلم.
(2) سألت أحد خريجي جامعة بغداد قسم الأدارة و الآقتصاد لتزويدي بأفضل تعريف عن فن و علم (ألأدارة), حيث كنت وقتها أسعى لكتابة بحث عن النظام الأداريّ في الأسلام؛ لكني إستغربت حقاً حين قال : و الله لا أتذكر لأني إنفصلت عن هذه الأمور منذ سنوات! بينما كان من خريجي الثمانينات و الحوار جرى في أواسط التسعينات؟
(3) ألتعصب الذي يصاحبه الجهل عادة خصوصا لمن لم يدرك ما يُؤمن به بشكلٍ كامل؛ يؤدي إلى الهلاك و التفكير و التآمر بعضهم على بعض, وهذا حال 350 حزب و منظمة و تيار عراقي يحكمون الساحة السياسية و الأجتماعية و العقائدية ألآن, و كلّ جهة تُكفّر الأخرى و ترى نسها هي الأفضل, في مثل هذا الوسط يستحيل أن ينتج حتى 1% من العلم الذي سببه الفكر و الخيال المُتولّد منه بشرطه و شروطه ضمن أجواء الأمن و السلام.
(4) ألمحجّة البيضاء , للفيض الكاشاني ج5, ص 154.
(5) نشرة الحوزة العلمية/قم , العدد 29, ص 79, نقلاً عن المحجة البيضاء للفيض الكاشاني, ج5 , ص 145.
(6) سورة الزخرف /22.
(7) سورة البقرة/17.

(8) ألأنبياء /53.
(9) سورة الأنعام /25.
(10) هناك فرق بين (الحضارة) و (المدنية), لأن الحضارة تمثل القضايا الأخلاقية و التربوية و الإنسانية عموماً, بينما (المدنية) تمثل الجانب المدني أو ما يسموه في الغرب بآلسيفلايزيشن.

ألعوامل المؤدّية لإنحراف الفكر

ألعوامل ألمؤدّية لإنحراف ألفكر:
و نعني بإنحراف الفكر (ألمسخ) و نتائجه على المستقبل

[هل حقّاً قدّمَ الأمام ألرّاحل(ع) الإسلام 5 قرون للأمام و تسبب دُعاة الحُكم ألعكس من ذلك بإرجاعه 5 قرون للخلف بعد ما تسبّبوا بإنحراف الناس و تعميق الفوارق الطبقية و كما حدث في آلعراق!؟

و هل السبب في خسارة الشيعة للحكم بعد سقوط الصنم بسبب قادتهم؛ هو الفكر ألذي تأسس عليه مناهجهم خصوصاً نهج الحركات الإسلامية العراقيّة التي تصوّرت بأن فلسفة الحزب و العمل التنظيمي يختصر بآلفوز بآلمناصب و السلطة للمال؟ أم بسبب لهوثهم على الرواتب و الأموال للرّبح السريع و ترك المشاريع الستراتيجية لبناء مستقبل الأمة و الأجيال المسكينة القادمة .. لأنهم أساساً أميّون و لم يكونوا يملكون برنانجاً و يعلمون بأنّهم زائلون]؟

سنجيب على هذا السؤآل المحوري لعلاقته بأصل الموضوع المطروح في ثنايا هذا البحث الهام الذي يجب التوقف عنده!

ألحمدُ لله ألمُتفرّد بكماله؛ ألمُتعالي بجلاله؛ ألمُتجلّي ببهائه و جماله؛ ألذي أغرقَ الكائنات بفيض آلائه، و كفى بوجودها بعد عدم نعمةً وكرامةً, ثمّ خصّ منها الإنسان بوافر عطائه، (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ)(1)، حتى عادت ألطَفَ الموجودات و أرقاها له خاضعة و مطيعة، (وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)(2).

و لم يكن امتياز الإنسان عن سائر الكائنات إلّا بعلمه ومعرفته إلى جانب تقواه، (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ(3), سجدت له الملائكة لذلك ، (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها)(4).

و كرامة العالم و المعرفة التي بها كمال الإنسان و شرافته ، إنّما هي ثمرة جهود الأدوات التي جهّزه خالقه بها في ظاهره و باطنه، (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ)(5): أيّ ألحِسّ, كما أشرنا خلال البحوث السابقة ..

إنّ أيّ فكر أو عقيدة مُعرّضة للتّبدل و التّغيير و الإصابة بآلأنحراف و سموم النّفس و بحالة ألتّوهم بجانب الحقائق ألأخرى, ما لم يُحصّن صاحبه نفسه بمبادئ أصوليّة كونيّة و أخلاقيّة ثابتة يتّفق عليها عقلاء و عرفاء العالم بغضّ النظر عن الجزئيات و الخصوصيات حتى في الأديان و الأنظمة التي يعتقدون بها, و العرفان ألكونيّ هو النهج الأمثل المُوحّد ألأقوى والأضمن للبشريّة وآلمُحقق لوحدتهم و تآلفهم لتحقيق رسالة الحياة و الوجود.

و من هنا نرى أن العرفاء الحُكماء قد حرّروا هذا الجانب بكشفهم لآليّة القلب كأساس لوجود الأنسان و موطنه ألحقيقيّ ألذي يتعدى حدود العقل الظاهر لمديات كونيّة, لذا يجب أن يعتنى به و يبنى محتواهُ بشكلٍ سليم, لكن لا ذلك القلب الماديّ المُكوّن من كتلة لحم يضخّ الدم إلى أجزاء البدن لأحياء الحواس الظاهرية؛ بل المراد بآلقلب في الفلسفة الكونيّة؛ هو وجود و وجدان الأنسان و نفسه المكونة من (إندماج الروح الإلاهية الواعية مع الجسد عن طريق الدّم). و هذا ما يُشير له سبحانه بقوله: [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ](ق : 37).

ومن المعلوم و كما ألمحنا بأنّ المراد من تعبير القلب هنا؛ هي القوة المتمركزة داخل الوعاء الذي يحتضنه الجسم ألماديّ بعد إلتصاقه بآلرّوح، و ليس كل إنسان يمتلك هذا القلب, فالبشر اليوم يفتقدونه بسبب مؤثرات سلبية عديدة, إنّما المراد هو من كان له عقل مدرك و واع و قلب نابض بآلأحساس و آلأنسانيّة و المحبة و العدالة و الفكر الكونيّ و يحاول البقاء دائماً على إتصال مع آلأصل الذي يغذيه بطاقة كونيّة إيجابية، وقالوا: و الإستمرار على هذا الوضع مدّة من الزمن قد لا تزيد على 40 يوماً يحرص خلاله السالك عدم إدخال لقمة الحرام في بطنه؛ و حفظ الحواس من آلمحرّمات لئن ينال مرتبة كونيّة رفيعة من الاستشراق والإلهام بعد المرور بمنازل آلسائرين التي أشرنا لبعضها سابقاً و تبدأ بحسب تقريرات بعضهم كآلفيلسوف ألحكيم ألآملي بـ :

1 - أليقظة.

2 - ألتوبة.
3 - ألمحاسبة.
4 - ألإنابة.
5 - ألتفكّر.
6 - ألتذكر.
7 - الاعتصام.
8 - ألانقطاع.
9 - كبح جماح النفس.
10 - درك اللطائف.
و بعضهم حدّدها بعشرات ألمنازل و المراحل كآلشيخ الأنصاري, فأسفار الشيخ (إبن عربيّ) : الذي لقبه الأمام الرّاحل(رض) بآلشيخ الأكبر, حيث حدّد 27 مرحلة بحسب رسالات الأنبياء الذين ذكرهم الباري في القرآن الكريم بآلأسم, حيث يجب دركها لتحقيق المطلوب و الهدف من الحياة الدّنيا و كما جاءت تفاصيل ذلك في كتابه المعروف (فصوص الحكم).

أما أسفار ألملا صدرا : و هو صاحب الأسفار ألأربعة و التي ضمّت الحكمة المتعالية و تتحقّق بعد تحقق أربعة مراتب, هي:
1- سير آلخلق إلى الحقّ؛ و هو آلسّير و السّعي لطلب المعشوق الحقيقي بديلاً عن العشوق المجازية بالتجرد عن الماديات.
2- سيّر بآلحقّ في الحقّ؛ و هو السّير عبر أسفار الأنسان لمعرفة الحقّ بشكلٍ مُبرهن و مشهود ليكون مؤهلاً لهداية الناس.
3- سيّر من الحقّ إلى الخلق بآلحق؛ و هي العودة إلى الخلق بعد معرفة الحقّ بشكل واضح و مبرهن.
4- سيّرٌ في الحقّ بآلحقّ؛ و هو الذوبان في المعشوق و الرجوع بعد نهاية الأسفار الكونية التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم.
بإختصار شديد لقد عرض بوضوح (الحكمة آلمتعالية) عبر الأسفار العقلية الأربعة, و كان صدر الدّين محمد الشيرازي (1572-1640م) بحقّ عارفاً حكيماً جمع أسفاره الأربعة العظيمة في 9 مجلّدات.

ثم أسفار فريد آلدّين العطار النيشابوري : و يتحدّد أسفارهُ بسبعة مراحل جمعها في كتابه المشهور بين العرفاء بمدن أو أسفار العطار ألسّبعة, و هي:
ألطلب – العشق – ألمعرفة – ألتوحيد – ألتوحيد – ألأستغناء – الحيرة - ثم الفقر و الفناء.

و لمعرفة حقيقة و تفاصيل كلّ مرحلة(مدينة)؛ راجعوا كتابنا الموسوم بـ [ألأسفار الكونية السّبعة](6).

ثمّ أسفار ألشيخ ألخواجة عبد الله الأنصاري, و قد حدّدها بإثنين و خمسين مرتبة تيمّناً بعدد الركات اليومية و نوافلها والمعروفة بصلاة 52 أو 51 بإعتبار ركعتيّ (الوتيرة) بواحدة لأنها تُؤدّى جلوساً, و ليس سهلا أن يُداوم الطالب على النوافل اليومية.

أما أسفار ألعارف ألحكيم محمد باقر ألصدر : فقد حدّدها بثلاثة شروط جامعة هي:
معرفة الله - ألتوحيد – ثمّ حُبّ الله.
ملاحظة : تفرّد هذا الحكيم الفيلسوف عن غيره؛ بقدرته الفائقة على أختصار المسافات و القضايا بإسلوب حكيم و بليغ لم نشهده سوى في نهج البلاغة و كلام الأئمة و القرآن الكريم فوق ذلك كله.

ثُمّ فصلّنا الكلام في تلك المنازل الّتي تسمّى بـ [منازل السائرين] وعددها يختلف من مدرسة لأخرى كل بحسب نظرته و نهجه و قد عرضنا أمثلة وافية و شافية لبعض تلك الأسفار, كمنازل إبن عربي و الشيخ العطار و الصدر الأول و غيرهم,كلها لأجل بناء و تطيّب القلب و تنويره بآلمعارف الكونية ليكون منطلقاً هادياً للناس محققاً رسالته في هذا الأمتحان العسير حقاً.
و إن الذي لا ينال حظا من تلك المراتب و المنازل عبر الأسفار ؛ فأنه يبقى خارج حلقة و مدار الأنسانيّة لآخر العمر و بذلك يحرم نفسه من الخير الكثير .. و البدء بتلك الأسفار التي عرضناها و العياذ بآلله, ليعيش داخل إطار محدود و محجوم و ضيّق لا ينال فيها الراحة حتى نفسه الراحة ضمنها .. بل و يأتي الظالمون المستكبرين للتحكم بهم و بمقدّراتهم و باسم الأنسانية و الوطن و الدين ووو غيرها, و كما شهدنا و نشهد اليوم حتى على مستوى الشعوب و الأمم التي تتعرض للإذلال و التبعية و الذل, و الشعب العراقي خير مثال على ذلك لأن عقيدته لم تبنى على القلب و الباطن و كما أسلفنا .. إنمّا مجموعة ظواهر و

شكليّات بُنيت على الحواس و الظنون و الأوهام للأستهلاك المحلي و الخصوصي, لذا ممّا تقدم نستنتج أنّ كل عمل ليس فقط حرام أو إرتكاب معصية؛ بل حتى الإتيان بمكروه يسبب الخلل في فكر الأنسان و بآلتالي يبعده عن نيل المطالب الكونيّة !؟

و بعد هذا العرض سنذكر إجمالاً آليّة الأداة (الوسيلة) التي تُمثل الله في وجود الأنسان و التي تقرّر حياته و آخرته و مصيره:

آليّة ألقلب (ألبصيرة) التي يُعبّر عنها البعض بـ (آلوجدان) في إدراك ألمعارف :

إنّ سبب إنحراف الحركات و المنظمات الإسلاميّة حتى الشيعيّة منها و فشلها في تحدّي الشيطان و نصرة الحقّ و كما حدث في إيران التي إحتوت أكثر من 15 تنظيم إسلامي منذ بداية القرن التاسع عشر و حتى حدوث الثورة الإسلامية وكذلك العراق و غيرهما؛ هو عدم إستناد آيدلوجيتهم على أرضية فكريّة – ثقافيّة و عرفانيّة مستدلّة – يعني وجود ضعف واضح و كبير في ثقافتها و بناء الجانب الأخلاقيّ و الرّوحي و العقائدي .. لهذا رأينا كيف إن قادة جميع تلك الأحزاب قبل آلأعضاء المنتمين في الخط الثالث و الرابع من التنظيم ؛ قد مالوا نحو ربّهم الحقيقيّ (ألدولار و أهله) و تركوا الله الحقّ, و بات الدّولار ثمّ (الرواتب) هو المعيار في تحديد المواقف و العلاقات و المصير, فأفضلهم ليس فقط لم يسير لِيَعْبُرَ حتى منزلاً واحداً من منازل السالكين .. بل وقف حجرة عثرة أمام الفكر و الأخلاق و القيم و الأسلام كلّه و باتت العمالة عندهم مسألة عادية بعد ما غيّروا حتى أسماء أحزابهم ظنّاً منهم أنه سيخفف عنهم العذاب في الدارين, لهذا سقطوا في الفتنة .. و تسبّبوا خصوصاً ألذين أدّعوا بكون الصّدر ألأوّل ألمظلوم قائدهم؛ فغرتهم الحياة الدّنيا ليوجهوا ضربة قاصمة لصميم الأسلام في مرحلتنا الحاضرة, و صار الدولار عندهم هو الله بدل الله تعالى.

إنّ تفصيل آلبحث في تلك المنازل يتوقف على عرض ألعرفان ألإسلامي على الباحثين ، و هذا لا يناسب موضوع الكتاب ، وإنّما نذكر أثر طيِّ المنازل في تقويم الحياة العلميّة و آلأجتماعية و السياسية و الإقتصادية العمليّة.

إنّ لطيّ هذه المنازل أثرين بارزين في الوقوف على المعارف و حقائق الوجود, و بآلتالي إحياء الفكر و الوجدان الذي عبّرنا عنه - بصوت الله في قلب الأنسان - و بآلتالي الثبات على نهج عقائدي واضح لا يؤثر فيه المال أو السلطان و لا أية قوة على الأرض يهدده بآلموت:

1 - إنّ الباصرة الظاهرية تَقْدَر على رؤية الأشياء البعيدة عنها, و لكن إذا كان هناك ضباب أو غبار ، ينحصر البصر برؤية الأشياء القريبة ربما لا تتجاوز امتار محدودة فقط ، فالضباب والغبار مانعان للرؤية ، ولكن الباصرة مستعدة لها.
إنّ النفس الإنسانية قادرة على التعرّف على الحقائق الموجودة في مجال الحسّ و العقل. لكن العصبية والهوى و الأجواء الحاكمة يعميان الإنسان لينحرف بسهولة خصوصا لو كان الأعلام مسخراً لتمرير ذلك، فيعود منكراً للمحسوس والمعقول ، فأدنى أثر لطيّ هذه المنازل هو صيرورة الإنسان .. إنساناً خالصاً؛ مجرّداً عن الهوى والعصبية المعميين؛ كاملاً لا يطلب إلّا الواقع ولا يعشق إلّا الحقيقة، سواء أَ كانت لصالحه أم لا؛ وافقت انتماءه القومي أم لا، وغير ذلك من موانع المعرفة الّتي لها دور عظيم و رئيسي في درء الأنحراف , وسيأتي البحث عنها(7).

2 - إنّ طيّ هذه المنازل يُعطي للنفس قوّة و اقتداراً و ثقة للاتّصال بعالم الغيب، وإشراق صور ومعانٍ منه عليها، ويُلهم مفاهيم وحقائق لا يتوصل الإنسان العادي إليها بأدوات المعرفة الحسيّة والعقلية, وعلماء الأخلاق يوصون بأمور ، و يحذّرون من أمور: يُوصون بالإيثار والتقوى والشجاعة والاستقامة و الطيبة و طلب الخير للناس. و يحذّرون من البخل ، والانحلال ، والجبن والانخذال ولكنهم يكتفون بالإيصاء بتلك والتحذير من هذه ، من دون الإفاضة في كيفية توصّل الإنسان إليها ، وأنّه في ظل أي عامل يقدر على تحصيل الفضائل ، وتحت أي حافزٍ يستطيع اجتناب الرذائل ، فهذه النقطة الحساسة قد أُهملت في كتب الأخلاق ، فلا تجد فيها سوى الدعوة إلى الفضائل ولزوم التحلي بها ، والتحذير عن الرذائل ولزوم اجتنابها ، من دون بيان الطرق الّتي يصل بها الإنسان إلى تلك الأمنية الكبرى.

وقد سدّ العرفاء الإسلاميون هذه الثغرة ، و بيّنوا الوسيلة الّتي يبلغ بها الإنسان تلك الأهمية ، وهي سلوك المنازل ألمختلفة والمتقدم ذكرها، ليصير الإنسان بعدها كاملاً ذا حسّ وعقل وشهود .. بحيث يستحق معها آلتّوحد مع الأصل الذي إنفصل عنه.

بإختصار بليغ؛ ألفكر - أعني به ألباطن و ليس الظاهر - أيّ من خلال العقل الواعي _ يعني حقيقة الأنسان و وجوده, و حين يجهد الأنسان لأجل معرفة الواقع و حقيقة الوجود و يجتهد حقاً و يرتقى إلى ما وراء ذلك سعياً لكشف الأسرار الكونية؛ فأنه

لا بد و أن يتوصّل إلى تحديد (نظرية المعرفة) كدلالة لنهجه, و نحن كما يعلم اهل العِلم قد حاولنا و جهدنا حتى توصلنا لنظرية المعرفة الكونية ليكون منهجاً شاملاً لكشف حقائق الوجود كاملة و بشكل يرضي اهل القلوب و الوجدان، فنظرية المعرفة الكونية علم يبحث عن حقيقة الأنسان وآلكون وقيمتهما وأدواتها، و ما يرتبط بتلك من العوارض كمراحل المعرفة وحدودها وموانعها وغير ذلك، وهو من العلوم التي عكف عليها الغرب في القرون الأخيرة واضافوا عليه صبغة علم مستقل.

وقد بحث عنها الفلاسفة الإسلاميون في مختلف فصول علميّ المنطق و الفلسفة ، و لكنهم لم يفردوها بالبحث المستقل, لذا رأيت من واجبي أن أُقدّم مقالات و محاضرات تشتمل على ألمسائل المتعلقة ، مع التركيز على ما هو المحقّق في الفلسفة الإسلامية ، والتطرق إلى آراء الغربيين فيها ، فكانت مقالاتي و كتبي هي الجواب ، و ثمرتها مجموعة من الكتب الجديدة في مجال الفكر الكوني الذي يعتمده معظم أساتذة الفلسفة و العلماء في العالم ، وهي نتيجة ثمرة أكثر من 60 عاماً من البحث.

وقد بذلنا الكثير من الجهود و تحمّلنا ألوان الغربة و الفقر و الجوع لتحقيق ذلك .. وأسأله سبحانه أن يوفقنا لأيصاله للناس كافة لتحقيق الكمال ، بجناحي المعرفة و العمل، إنّه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير.

والعقل ، وما يتركب منهما و بها يكتسب ما لا يعلمه إطلاقاً ، أو يُخرج إلى الفعلية ما يعلمه بالقوة من الإدراكات الفطرية الأولية و انكار واحدةٍ من تلك الأدوات ، نتيجته شلّ الفكر الإنساني عن إدراك ما يحيط به من كونٍ و وجود، غائب و مشهود. كما أنَّ إثباتها مع إنكار كاشفيتها أو القول بنسبيتها أو الشك فيها ؛ نتيجته تخطئة المعارف والعلوم البشرية ، وسلب الإنسان ذلك الكمال.

الفتوحات ألغيبيّة و آلذّكر ألحكيم:

إنّ في الذكر الحكيم لآيات كثيرة تصرّح بأنّ الإنسان المتّقي ، المُتحلّي بالفضائل ، و المُنزّه عن الرذائل كما أشرنا أعلاه ؛ ترعاه عناية الله تعالى المنعكسة من الطاقة الإيجابيّة الكونيّة، التي تفيض عليه بالهداية بعد الهداية ، و العلم بعد العلم ، و لا يزال يرقى مدارج المعرفة و السّمو حتّى يبلغ مقام شهود عالم الغيب, و نذكر فيما يلي نبذة منها كإشارات كونيّة.

1. يقول عزوجل : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً)(8), أيّ يجعل في قلوبكم نوراً تفرّقون به بين الحقّ والباطل ، وتميّزون به بين الصحيح والزائف ، تارة بالبرهنة والاستدلال ، وأُخرى بالشهود والمكاشفة.
2. ويقول سبحانه : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(9), و المراد بالنور ، النور الّذي يمشي المؤمن في ضوئه في دينه ودنياه وآخرته ، وهذا النور نتيجة إيمانه وتقاه. ويوضحه قوله سبحانه : (أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها)(10).
3. ويقول سبحانه : (وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(11), فإنّ العطف يحكي عن وجود صلة بين التّقى والتعليم.
4. ويقول سبحانه : (كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)(12). والمراد رؤية الجحيم قبل يوم القيامة ، رؤية قلبية. وهذه الرؤية غير متحققة لمن ألهاه التكاثر ، لأنّها من آثار اليقين ، ومن ألهاه التكاثر خلو منه.
5. ويقول سبحانه : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ)(13). فلو أقام الإنسان نَفْسَه في مسير الهداية ، وطلبها من الله سبحانه ، زاده تعالى هدى وآتاه تقواه. ولا تختص الهداية بالعمل حتّى تُفسَّر بتوفيقه سبحانه للطاعات ، بل هي أوسع من ذلك.
6. ويقول سبحانه : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً)(14). والآية تبيّن حال أصحاب الكهف الذين اعتزلوا قومهم وتغرّبوا حفظاً لدينهم ، فزاد الله من هداه فيهم ، وربط على قلوبهم ، كما يقول سبحانه: (وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً)(15).

فهذه الآيات تُعرب عن أنّ نافذة الفتوحات الباطنية ، و المكاشفات و المشاهدات الرّوحيّة و الإلقاءات في الرَّوْع ، غيرُ مسدودة ، بل هي تتنزل على الأمثل فالأمثل من أفراد الأمّة كالأنبياء و أوصيائهم ..

ألإمامُ عليّ و آلإنسان ألكامل:

وللإمام علي بن أبي طالب(ع)، تصريحات وإشارات إلى انفتاح هذه النافذة أمام قلب الإنسان ألذي وصل مستوى الآدميّ:

1. يقول (ع) في وصف للمُتّقي : [قد أحيا عَقْلَه ، وأمات نفسه ، حتّى دقَّ جليلُه ، ولطف غليظه ، وبرق له لامعٌ كثير البرق ، فأبان له الطريق ، وسلك به السبيل](16).

2. ويقول (ع) في حجج الله تعالى في أرضه كما أورده المجلسي في بحاره : [كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه، إما ظاهرا مشهورا، أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عددا، و الأعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى، يا كميل أولئك خلفاء الله], لهذا علينا عدم ترك أهل العلم و الفكر لأنهم إن رحلوا رحلوا .. ولا سبيل للإستفادة منهم و كسب علمهم, فقد رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع)؛ [عليه السَّلام) أَنَّهُ قَالَ : [ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ : مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ. وَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ. وَ مُصْحَفٌ (كتاب) مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَا يُقْرَأُ فِيهِ](17).

3. ويقول (ع): [و ما برح لله عزّت آلاؤه ، في البرهة بعد البرهة ، و في أزمان الفترات ، عبادٌ ناجاهم الله في فكرهم، و كلّمهم في ذات عقولهم](18).

هذه الآيات والروايات توقفنا على أنّ المعرفة الحقيقية الّتي تحيا بها نفس الإنسان ، لا تُستوفى بالسَّير الفكري ، و إنّما بتهذيب النفس و الرّياضات الروحية، و تطهير القلب ، و الانقطاع عن كل شيء، حتّى يرفع دونها كل حجاب مضروب، وكل ستار مسدول ، فيرى عالم الغيب و يعاين معارفه و حقائقه بعين القلب.

و إكمال هذا البحث يتوقف على شرح الأسفار الّتي يسلكها العارف في سيره الروحي و المعنوي ، حيث وفقنا الله لبحثها بإسلوب بليغ و واسع في بحوث منفصلة ضمن سلسلتنا الكونية, فيرجى مراجعة ذلك لمعرفة الكثير, و لكل منا طريقه ونهجه ألمعرفي للوصول إلى الله, حيث يقول الحديث ألشريف ؛ [ألطرق إلى الله بقدر أنفاس الخلائق].

هذا ، و لا يحق للباحث ألعزيز الكريم أن يستنتج ممّا تقدّم أنّ دعوى آليّة القلب و المكاشفة و الشهود و الإلهام ، في كسب المعرفة الحقّة؛ إحباط لمقام الحسّ و العقل الظاهر, أو إنكار لفضلهما و لزوم إعمالهما. لا ، ليس الأمر كذلك أبداً ، بل إنّ لكلّ أداة مقامها و قوتها و مداها، و مجال عملها ، لكننا نحث لبيان آليات أخرى أوسع مدى و أبعد قوة لمعرفة أسرار هذا الوجود!

ألوحيّ:

إلى جانب ما أسلفنا؛ هناك أداةً أُخرى تقرُب من الإلهام والإشراق و المعرفة، وهي المسمّاة بالوحيّ في مصطلح الشرع و الغيب، وهو الّذي يخصّ به الخالق تعالى أنبياءه و رسله بعد إختيارهم.

والوحي إدراك خاص مُتميّز عن سائر الإدراكات ، و ليس نتاج الحسّ ولا العقل ولا الغريزة؛ إنّما هو شعور عميق خاص يُوجده سبحانه في بعض عباده الصالحين من العرفاء الحكماء، وهو يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان عامّة, و إن من ينزل عليه الوحي لا يغلط في إدراكه، و لا يختلجه شك، و لا يعترضه ريب في أنّ الّذي يوحي إليه هو الله تعالى، من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر أو التماس دليل أو إقامة حجة أو برهان, و لو افتقر إلى شيء من ذلك لكان اكتساباً عن طريق ألقوة النظريّة لا تلقّياً من الغيب.

و الفرق بين الوحيّ ألألهي و ما تقدم من الإلهام والإشراق؛ هو أنّ الوحي يتضمن تعاليم في مجالي العقيدة و العمل، فيكون الموحى إليه نبيّاً مبعوثاً من جانب الخالق تعالى لتربية و هداية الناس و تزكيتهم لتحقيق الهدف من الخلق و النشأة.

و هذا بخلاف الإلهام و الإشراق؛ أللّذان لا يتضمنان تشريعاً ولا تقنيناً ، ولا يكون المُلْهَمُ مبعوثاً من جانبه سبحانه لتبليغ ما أُلهم, إنما يمكن إعتبارهم أنبياء (أرضيون) أنعم الله عليهم الخير كله عبر ألألهام و الأستشراق لتبليغ رسالته العظيمة.

قيمة الإلهام و آلإشراق:

إنّ قبول قولٍ بلا حجة ولا برهان ، خروج عن الفطرة ، فالإنسان العاقل هو من يقبل الدّعوى إذا قورنت بالدليل، فصاحب المعرفة الحسيّة أو العقلية يصحّ له تعميم معرفته إلى غيره ، فيرشدنا إلى مُبْصرَاته و مسموعاته ، فنقبلها لأجل تطابق الحسَّيْن .. و يرشدنا إلى ما عَقَلَهُ بالبرهان ، فنتعقله به أيضاً.

و أمّا مُدّعي الإلهام، فبما أنّه يدّعي أمراً غير محسوس ولا معلوم بالبرهان؛ يكون شهوده حجّةً على نفسه و مريديه فحسب، و دليلاً لهم لا لكل الناس, و لا يُمكنه تعميم ما ألهم و أَشْرَقَ على قلبه كما كل الإشراقيين، وإراءته لغيره ليشاهده و يعاينه ويشرق على قلبه .. لأنّ للإلهام والإشراق مبادئ و مؤهلات خاصة ، كما تقدّم.

و لكن مع ذلك ، لا يكذّب مدّعي الشهود والكشف ، غاية الأمر أنّه لا يمكن تعدية ما انكشف له ليكون قاعدة مطردة في مجالات العلم والمعرفة .. نعم ، إذا تضمَّن الاتّصال بعالم الغيب تنبّؤاً بالوظائف الإنسانية في مجالَيْ العلم والعمل ، كما في الوحي؛ يكون حُجّة على الجميع, و يكون المخبر نبياً ، و التابعون له أُمة ، و للبحث في هذا .. مجال آخر.

كما عرضنا في آلمباحث ألسّابقة بأنّ إشد المصائب على أمّة أو شعب أو حزب أو عشيرة أو جماعة أو حتى عائلة في حال عدم تحقق حقّ اليقين في وجوده؛ هي إصابتهم بالتفرقة و الخصام و العداوة بينهم بسبب (الأنا) و التسلط نتيجة فقدان الثقة و شيوع الغيبة و الكذب و النّفاق لقلة المعرفة و الأدب و إرتكاب الذنوب و في مقدمتها لقمة الحرام التي يكون دورها هدّأم و مخرّب كآلمعول في هدم روح و فكر الأنسان و العائلة و المجتمع ككل, لهذا حذّرنا الله تعالى و كذا المرسلين و الأئمة و المصلحين و الحكماء و العرفاء بوجوب الوحدة و التآلف و المحبة و آلأنسجام بين الجماعة لأدامة الحياة و تأدية ألرسالة التي وجدنا من أجلها على أحسن وجه, لأنّ الخلاف يُؤدي كما وصف القرآن إلى أن الخلاف يؤدي إلى الفشل و ذهاب ريحكم و تضعيف همتكم و توقف تطوركم و نموّكم و رفاهكم, لهذا قال الحكماء و الأئمة (ع) ؛

[لو سكتَ الجّاهل ما إختلفَ الناس] أو [... لإرتاح العالم], لانه يُسبّب تشويش الفكر و تخريب الأذهان, و بآلعكس بآلحكمة و الأرادة القوية تقصر المسافات و تتحقق الآمال!

قبل بيان تفاصيل موضوع هذا الفصل, و كما أشرنا في نهاية الحلقة السابقة؛ لا بدّ من بيان بعض الحقائق النافذة في المجتمعات القائمة المختلفة اليوم, بخصوص الفكر أو الرأي آلآخر, فآلدّكتاتوريات الحاكمة بمسميات شتى كآلدّيمقراطية و الأسلامية المؤدلجة و الجّمهوريّة الشعبية و الإشتراكية الليبرالية و الشيوعية و الاميرية و الملكية و غيرها؛ لا تسمح بحريّة الرأي و تداول المسائل الخلافيّة, بل يجب أن يكون بداية و متن و نهاية كلّ موضوع أو بيان أو مقال أو خطاب مختوم باسم و بحُب الأمير أو الملك أو الرئيس أو الحزب الحاكم, و إلاّ فأنك من المخربيين, و يجب معاقبتك بشتى الوسائل الممكنة و المتوفرة حتى تموت من الجوع, فآلعقل نعمة كبيرة علينا الأستفادة منه, و ليعلم المثقفين و المفكرين بأنّ (شرّ آفات العقل الكِبر) و (مَنْ لا يعرف لأحد ألفضل فهو آلمُعجب برأيه) و غيرها من النصوص الكونيّة, و لا يحصل العِلم و المراتب الكونيّة مهما تكبّر كما الأرض العالية التي لا تبقى فوقها ماء .. بل تسيل من جوانبها لتسكن الأرض المنحنية الواطئة, لهذا يجب عليهم إعادة التفكير بوضعهم, و أليكم نصّ من مقال بهذا الخصوص(19):

[وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ].
بالنِّسبةِ لـ (القافُل) كما هو حال المجتمعات البشرية المختلفة؛ فأنت أَمام أَحد خيارَين؛
إمَّا أن تُفكِّر كما يُفكِّر هوَ أَو كما يُفكِّر [عجلهُ السَّمين] الذي يعبُدهُ مِن دُونِ الله تعالى و تعتقدُ بما يعتقدُ بهِ هوَ، أَو أَن تخرجَ من [المجموعةِ] فلا تبقى فيها [تُخرّب أَفكارنا]!.

خياران لا ثالثَ لهُما {لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ}؟.

أَو أُسكُت ولا تتكلَّم أَو تكتب أَو تنشُر {قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}؟.

ويقولُ تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}.

[القافُل] يتلبَّس بلِباسِ الحريصِ على دِينِ النَّاس الذي يحمي البلادَ من الفسادِ بكُلِّ أَنواعهِ ليُحصِّنَ نفسهُ بالقُدسيَّة المُزيَّفةِ في حالِ تصدَّى للمُصلحِ أَو للأَفكارِ التنويريَّةِ أَو أَرادَ أَن يغتالَ شخصيَّة المُتصدّي للفسادِ والفشلِ بالتَّسقيطِ والمنشُوراتِ الصَّفراء

والتُّهم والإفتراءات.

يقُولُ تعالى {قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ}.

مُشكِلتهُ أَنَّهُ أَجَّرَ عقلهُ لـ [الصَّنم] الذي يعبُدهُ من دونِ الله، فهوَ لا يفقهُ شيئاً على الرَّغمِ من أَنَّ الله تعالى منحهُ القلبَ والعقلَ ليفقهَ بهِما الأشياء.

وهوَ لا ينظرُ إلى الأُمورِ بعَينَيهِ وإنَّما بعُيونِ الآخرين [الصَّنم مثلاً] على الرَّغمِ من أَنَّ الله تعالى منحهُ عَينَينِ ليرى بهِما لا ليضعَ عليهِما غِشاوةً!.

وهو لا يسمعُ مُباشرةً بأُذُنَيهِ من صاحبِ العلاقةِ مثلاً ليعرفَ الحقيقة أَو ليُميّزَ بينَ الأُمُورِ، وإنَّما استعارَ آذان الآخرينَ ليسمعَ بِها، على الرَّغمِ من أَنَّ الله تعالى منحهُ أُذُنَينِ ليسمعَ بهِما.

يقُولُ تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}.
وقولهُ تعالى {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ}.

ثُمَّ تُعاتبني إذا وصفتُ (القافُل) بالدَّابَّة مثلاً؟!.

يقُولُ تعالى : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

خُلاصةُ الأَمر أَنَّ [القافُل] غافِل في أَحسنِ الفروضِ!.

حيث ختم مقاله بآلقول: فكيفَ نتعامل مع [القافلين], مضيفاً؟

- لا تُجادلهُم لأَنَّ الجِدالَ معهُم عقيمٌ لا يولَدُ منهُ شيئاً وأَميرُ المُؤمنينَ (ع) يقُول {فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ} فهُم يستهلكُونَ جُهدك ووقتكَ من دونِ أَن تلمِسَ لكُلِّ ذلكَ أَثرٌ.

- لا تُحاولُ كثيراً نصحهُم فـ [القافُل] يتصوَّر أَنَّ النَّصيحة [تنازُلٌ] ولذلكَ فالتَّركُ أَولى {وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ} أَو أَنَّها ضربٌ من الجنُون {إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ}.

- و بالنِّسبةِ لـ [القافِلين] فأَنت [خوش آدمي] مادُمتَ تُغرِّد في سربهِم! لكنَّكَ مغضُوبٌ عليكَ [عمِيل، جوكر، مأجور، وما شِئتَ فعدِّد] إِذا اجتهدتَ برأيٍ فهمُوهُ أَنَّهُ تغريدة [خارج السِّرب] {قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ}.

- تجنَّبهم قدر ما تستطيع فإِذا رأَيتَ أَحدهُم يسيرُ على جانبٍ من الرَّصيف فاقفز أَنت إِلى الجانبِ الآخر، لأَنَّهم يُحاولُونَ دائماً التحرُّش بكَ ليجرُّوكَ إِلى شِباكِهم، فإِذا نزلتَ إِلى مُستواهم خسرتَ أَشياءً.

- و [القافِلون] قد يتجاوزُون [لسانهُم] فيمدُّوا أَيديهم إِلى خناجرهِم أَو [كواتمهم] إِذا أَوجعتهُم برأيٍ قويٍّ دُستَ بهِ على رأسِ [عجلٍ سمين] خاصَّةً إِذا كُنت مكشُوفَ الظَّهر بِلا عشيرةٍ تحميكَ! {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ }.

- [القافِلونَ] لا يُناقِشون الأَفكار لأَنَّ الأَفكار لا تعنيهِم، وهُم لا يُحاورُونَ ليصِلوا معكَ إِلى الحقيقةِ أَو على الأَقل إِلى مُنتصفِ الطَّريق، لأَنَّ كُلَّ هذا لا يعنيهِم.

إنَّهُم مُجنَّدون للتَّشويشِ على الأَفكار لتضييعِها، ولذلكَ تراهُم عندما لا يُعجِبهُم رأيٍ أَو يشمُّونَ فيهِ محاولةً لفضح فاسدٍ أَو - فاشلٍ، يشرعُون في معرِضِ ردِّهم بالسَّبِّ والتهجُّمِ والطَّعنِ والإِتِّهاماتِ الباطلةِ، فأَين المنطقُ في كُلِّ هذا؟!

أَين ردُّهُم على الفكرةِ والرَّأي؟! لا يوجدُ شيءٌ من هذا القبيلِ أَبداً.

- إنَّهم الحمقى الذين عجزَ عن مُداواتهِم نبيَّ الله عيسى (ع).

- و صدقَ مَن حذَّرَ منهُم بقَولهِ [ما جالستُ أَحمقاً فقُمتُ إلّا وجدتُ النَّقصَ في عقليّ].

و أَخيراً؛ فإِنَّ مُشكلة المُتعصب المُتحجّر فكرياً, أو ما أطلق عليه بـ [القافُل] هي أَنَّهُ يعبُد هواهُ [مصالحهُ] ؛ [أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]؟

و المصالحُ تُختمُ – تعمي - القلبِ و البصرِ فلا يبقَ منفذاً للتَّأثيرِ، إلَّا إذا لامستَ مصالحهُ!
و لا يتحقَّقُ ذلكَ إلَّا بالباطلِ عادةً!

- و هذا النوع هو الشائع اليوم بين مجتمعاتنا و هو الأخطر على الفكر و الأنتاج العلمي, و لعله السبب المباشر في إعتمادنا الأساسي و الدائم على الغرب و الشرق لبناء وطننا, حتى عملية التنظيف لشوارعنا و التي لا تحتاج إلى علوم معقدة.

كما مرّ .. قلنا : بأنّ الفكر و التّفكر يتجمّع و يتشكل في ذهن الأنسان و يستوطن قلبه شيئا فشيئا منذ ولادته بل قبلها من مصادر مختلفة كآلوالدين و المحيط و المدرسة و الأصدقاء و الأعلام و الدّين و غيره - بغض النظر عن صحتها أو عقمها؛ حيث إن سلوكه هو الذي يعكس ماهيّة تلك الأفكار و المبادئ التي إختزنها, فلو كانت تلك الأفكار و المبادئ خاطئة و منحرفة فإنّ آلنتيجة تكون خاطئة و فاسدة, و يظهرون أخلاقا سلبيّة و سيّئة, خصوصاً عند تعاملهم مع حقوق الناس و كرامتهم ناهيك عن الصّفات الأخرى كآلكذب و الغيبة و الحسد و النميمة و الظهور على حساب الآخرين, فهذه كلّها مفاسد تسبب بدورها مفاسد إجتماعية خطيرة تُعمم وبقد لا تُصلح بسهولة!
و لأصلاح الفكر نحتاج إلى إصلاح المقدمات لتقويم النتائج!

و إصلاح المقدمات لا تكون بشعارات ظاهرية أو محاضرات موسمية أو تزويقات سطحية و كما هو السائد الآن في بلادنا, لأنها لا و لن تؤثر في شخصيّة الفاسد .. بل البناء العقائدي و الفكري يجب أن يشمل الباطن بتعبئته بكل ما هو خير و أدب, يعني إيجاد الوسائل و الطرق التي من خلالها ننفذ لباطنه لتغذيته بتلك المبادئ حتى يتهيأ المعني للبدء بآلسفر, و هذا ما أكّد عليه الباري تعالى في آية عظيمة هي محور التغيير و علته, حيث قال تعالى:

[...لا يُغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم](20), بمعنى عملية التغيير يجب أن تكون شاملة للجميع, و لا يمكن أن يتغيير فرد أو عائلة دون تغيير باقي أبناء المحيط و المجتمع, فآلتأثير هنا متبادل, و الوسائل و البرامج المتبعة قد بيّناها في مواضيع سابقة و في كتاب خاص بهذا الشأن(21), و بذلك نقضي على الأفكار الخاطئة و نستبدلها بآلأفكار النافعة!

وتجدر الإشارة إلى أنّ [الأمر بآلمعروف و النهي عن المنكر], لها شروط شرعيّة يجب أن يعرفها و يدرسها ألآمِر بذلك, وهي؛

أن يكون عارفاً و محيطاً بآلزمان و المكان.
ألاّ يؤدِ إلى مُنكر أكبر من آلأوّل.
ألموازنة في حال اختلط المنكر بمعروف.
المسائل الخلافية لا تدخل في الأمر والنهي.
المعرفة بحال من يأمره أو ينهاه.
أن يكون المنكر ظاهراً.

و قد حدّدت الفلسفة الكونيّة خمسة شروط أخلاقيّة - فنّية للحوار من أجل التنمية و التغيير نحو الأفضل وهي:

أن يكون صادقاً في حواره و نقاشه و إحترام الآخر و عدم مقاطعته.
أن يكون المناظر مُلمّاً و واعياً للقضية المطروحة.
أن يعي غاية و نيّة المقابل و آلهدف الذي يريد بيانه وعدم الوقوف على الظاهر و الشكليات.
أن يعي جيدا ما يطرحه المقابل من مسائل.
أن يقبل بآلدليل الذي لا يُمكن ردّه علمياً. (22).

في سبعينيات القرن الماضي و بينما كنت منهمكاً في هداية ألبعض(23) لطريق الحقّ بعد ما ضلّ معظم الشعب طريقه بإنتمائهم للأحزاب, و بحسب برامج و نقاشات مرحليّة وعلميّة مُعمّقة كانت بعضها تقتضي أشهراً و ربما يتجاوز آلعام - لإقناع البعض ممّن كان يدعي الإسلام بهويته – المريض..ألمنحرف في أفكاره و معتقداته – و أثناء تحركنا و سعينا لأقناعهم بوجود خالق للكون و بآلتالي رسالة يجب الألتزام بها لتحقيق الهدف من وجودنا و في تلك الظروف ألامنيّة القاسية التي كنّا نُعبّر عنها بسنوات ألمحنة و الجّمر ألعراقي لصعوبة العمل و التحرك بسبب أجهزة نظام الجّهل البعثيّ المتوحشة التي كان هدفها الأوّل القضاء على الفكر و الحرية وآلأخلاق و القيم لمسخ الشعب العراق و قد نجح إلى حدّ بعيد, خصوصا لو علمنا بأن رئيسهم الجاهل صدام قد صرّح بعد إستلامه رئاسة العراق؛ بأنه لن يترك العراق إلا أرضا بلا إنسان و بآلفعل كان له ما أراد.

في تلك الأجواء ألرّهيبة .. إهتدى أحد الأخوة و كان طبيباً و مثقفاً لكنه تسبب لي بأمراض مزمنة ما زلت أعاني منها بعد أكثر من 40 عاماً منها قرحة المعدة, على كل حال, قلت له ياعزيزي؛ الآن علينا أن نغتسل و في صباح الغد سنذهب إلى النجف لزيارة قيادتنا الحقيقية المتمثلة بآلمرجعية الدينية, ليبارك الله لنا في إيماننا و عملنا في ذلك اللقاء إن شاء الله, و عند وصولنا في اليوم التالي للنجف ذهبنا بعد زيارة الأمير العلي الأعلى إلى بيت السيد الخوئي (رحمه الله) و جلسنا عنده بحدود ساعة كاملة إستمعنا خلال اللقاء إلى نقاشات جرت بين اية الله السيد محمد حسين آل ياسين و السيد الخوئي و آخرين نسيت أسمائهم, لكن المفاجأة التي حدثت و التي أحزنتني, هي أن أحد أبناء السيد (رحمه الله) تقرّب منّا(أنا و صديقي الذي إهتدى لتوه) وقال بدون مقدمات و هو يؤشر بإصبعه؛ أخي لا يجوز لبس هذا الخاتم (حلقة الزواج) لأنه من ذهب, و الذهب حرام على الرّجال و لو أردت السبب أستطيع بيانه لك!؟

لكن صديقي العاقل ؛ المثقف ؛ و الذكي ردّه على الفور قائلاً : أنا طبيب و أفهم منك أكثر ولا داعي للتوضيح, فأنسحب السيد و جلس محله, و قبيل خروجنا سنحت لي فرصة قصيرة قلت فيها لإبن السيد ... ما هذا الذي بدا منك كان عليك أن تكون حليماً أكثر .. قضيت ما يقرب من سنة كاملة و أصابني ما أصابني حتى إهتدى و أنت بإسلوبك الجاف قد تركت أثراً سيئا في نفسه؟

حنى رأسه و رحل, و بعد خروجنا من محضرهم, قال لي على الفور: لا يمكنني قبول مثل هؤلاء كقادة لي .. قائدي هو الامام عليّ و الأئمة و الرسول (ص) و هؤلاء مجرد جماعة عاطلة عن العمل و الأنتاج و لا نفع فيهم .. إنزعجت كثيراً و قلت له: يا صديقي العزيز ؛ مهلاً فهؤلاء بشر مثلنا قد يخطؤون و قد يصيبون و عليك أن توسع صدرك .. فهناك مراجع عظام أعظم من هذا بكثير و سأُريكهم, قال هيا إذن, فأخذته على الفور إلى بيت إستاذي الشهيد العارف الحكيم محمد باقر الصدر و كان هذا عام 1978م, و بمجرد دخولنا لحضرته في تلك المقبرة التي كان قد إتّخذها بيتاً و مقرا له, بدأت دموعنا تنهمر بلا إرادة, بعد ما سألني هل هذا هو كاتب (فلسفتنا و إقتصادنا و الأسس المنطقية ووغيرها) قلت نعم يا صديقي الطيب!؟

فبدأ صراخنا و بكائنا يزداد بحيث فقدنا السيطرة على أنفسنا, و الشهيد الصدر ينظر إلينا و عيناه كانت تدمع و كأنه أحسّ بتفاصيل ما جرى و يجري علينا و عليّ بآلذات, لأنه كان عارفاً و حكيماً و ينظر بعين الله لا بتلك العين المجردة كحاسة للنظر و كما يفعل بقية مراجع الدين التقليديون, لقد كان حقا ممّن تطهّر من كل الموبقات و هو أساساً لم تنجسه الجاهليات الفكرية و لا الحزبية ولا المادية ولا غير .. بل كان منذ الطفولة عالماً و صادقاً و طاهراً كآلماء الزلال, لهذا بقيت أفكاره و علومه نافذة لحدّ الآن رغم مرور أكثر من نصف قرن عليها, لهداية الناس و كأنه يعيش بيننا.

بإختصار بعد جلوسنا في حضرته بحدود ساعة أيضا خرجنا بعد توديعنا له بآلدموع من تلك الغرفة في تلك المقبرة الصغيرة, و إذا بصديقي الطيب يقول لي و دموعه على خدّيه: [هذا هو الأمام القائد الذي يجب أن يقودنا و يقود العالم]!

خلاصة الكلام ؛ سلوك الأنسان الحكيم و صمته يجزي و يعادل عشرات القصص و المحاضرات أحياناً!؟
و قد قلنا في حكمة كونية : [إذا ضاق بنا ثوب الكلام فعلينا بإرتداء ثوب الصمت].
لذا علينا تعلّم فنّ الصّمت , لنعرف كيف نتكلم بحكمة و بآلتالي نربيّ جيلاً سليماً !
و بتمكننا من القضاء على آفات الفكر و تحصينه من الأنحراف و آلفساد, نتمكن من إحياء الخيال الخصب لتحقيق رسالة

السماء بإذن الله.

---

(1) سورة الإسراء : الآية ٧٠.

(2) سورة البقرة : الآية ٣٤ والإسراء : ٦١. الكهف : ٥. طه : ١١٦.

(3) سورة العلق : الآيتان ٤ و ٥.

(4) سورة البقرة : الآية ٣١.

(5) سورة النحل : الآية ٧٨.

(6) راجع كتاب ؛ (ألأسفار الكونية السّبعة) عبر الرابط أدناه:
https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%81%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D9%8A-%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%B3-%D8%A8%D8%B9%D9%87-pdf

(7) الأنفال : ٢٩.

(8) الحديد : ٢٨.

(9) الأنعام : ١٢٢.

(10) البقرة : ٢٨٢.

(11) نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٥.

(12) نهج البلاغة ، الكلم القصار ، الرقم ١٤٧, من كلام له(ع) لكميل بن زياد النَّخعي.

(13) نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٨.

(14) التكاثر : ٣ و ٤.

(15) محمد : ١٧.

(16) الكهف : ١٣.

(17) الكافي 2 / 613 ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني ، المُلَقَّب بثقة الإسلام ، المتوفى سنة : 329 هجرية ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، سنة : 1365 هجرية / شمسية ، طهران / إيران.

(18) الكهف : ١٤.

(19) مقال للكاتب نزار حيدر برقم 15 لسنة 2021م, من سلسلة (أسحار رمضانية), حيث يطابق صياغته الموضوع.

(20) [إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ](الرعد/11) لاحظ الآية بدأت بـ (إنّ) وهي من الحروف المشبهة بآلفعل.

(21) راجع كتابنا الموسوم بـ [أسس و مبادئ المنتدى الفكري], و يختص بكيفية أقامة المنتديات كأفضل وسيلة فاعلة للتغيير و التأثير إيجابيّاً بمسار الأمة كهدف مركزي لفكرنا و تحركنا.

(22) إليكم أسس و شروط الأمر بآلمعروف و النهي عن المنكر و تدخل ضمن أصول الدّعوة في آلفلسفة الإسلامية:
العلم؛ ينبغي على الآمر بآلمعروف و الناهي عن المنكر أن يكون على عِلم بالحكم الشرعيّ فيما يأمر به أو فيما ينهى عنه ولا يصح منه الكلام وفق الظن أو التقدير أو وفق ما يلتزمه هو من عادات و أعراف و معتقدات و نحوها مما لا يعرف حكمه, (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فما ينهى عنه).
و قيل نقلاً عن بعض الأعلام: (فإن كان من الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها تقريباً، و إن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بأصول الاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه و لا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء) إذْنْ ثمّة أمور يعلمها آلمسلم و ثمة أمور يختصّ بمعرفتها أهل العلم والمجتهدين، فالمسلم العاميّ يعلمُ أمورَ الصلاة والصيام ونحوها من الواجبات، و يعلمُ حرمة الرّبا و الغش و كشف العورة فينهى عنها، وهذا ما يسمى بالمعلوم من الدّين بالضرورة، و ما سوى ذلك يختص به أهل العلم.
الأولى فالأولى: القاعدة في هذا أنْ يبدأ بالأمر بالواجبات قبل السنن وأنْ يَنهى عن المحرمات قبل المكروهات، و كثيراً ما يجتمع في الموقف الواحد معروفان أو منكران، فيُشْكِلُ على المسلم بأيّهما يبدأ ـ بالأمر أم بالنهي؟ فإن الأَوْلى في كل ذلك أن يقدم الفرض قبل السُّنّة في الأمر وأن يقدم في النَّهي المُحرم قبل المكروه، إلا إذا كان يَقدر على أحدهما دون الآخر فيأمر أو يَنْهى على ما يقدر عليه دون ما لا يقدر عومن مثال ذلك لو اجتمع في بائع الغش والحلف في البيع، فالغش من المحرمات و

الحَلفُ من المكروهات فيجب تقديم النهي عن الغش - على النهي عن الحلف، و لكن إنْ خشي على نفسه أو لم يَقْدِر لسببٍ صحيح على أنْ يَنهى عن الغش فله أنْ يَنْهى عما يستطيعه، و ذلك لا ينفي أنْ يَنْهَى عن المخالفتين معاً لكن لا بد من مراعاة الأولى فالأولى, أمراً أو نهياً, كما قد يجتمع منكر يحتاج إلى نهي عنه مع معروف يترك يحتاج إلى أنْ نأمر به، و مثال ذلك: إقامة الصلاة بعد دخول وقتها وأحدهم جالس لم يقم إلى الصف و قد لبس لباسا متسخا، فهنا هل يأمر هذا الجالس أن يقوم إلى الصلاة أم يذكر له اتخاذ الزينة من اللباس عند الصلاة؟ وقد يكون الموقف لا يستوعب إلا أمرٌ واحدٌ!
والجواب؛ أنْ يقدم الأولى .. فالأولى وهنا لا شك أنه الأمر بالصلاة.
أ لا يؤدِ إلى منكر أكبر من الأول: وهو فقه مهم يغفل عنه الكثير من الناس بل ربما بعض الدُّعاة، و ذلك مستنبط من الأحاديث الكثيرة التي وردت, يجب الحرث على عدم فوات ما هو أبلغ وأهم منه أو خشية وقوع فتنة بين الناس، وكم سمع الناس بنهي عن منكرٍ جرَّ منكراً أعظم من الأول، وما وقوع ذلك إلا لقلة الوعي و الإخلاص.
الموازنة في حال اختلط المنكر بمعروف: و هذا يشبه النقطة السابقة في وجه، ومن مثال اختلاط المعروف مع المنكر ما قد يقع في بعض المراكز و المساجد مما يخالف روح الإسلام من بدع أو عادات, فإن نهى أحدهم عن تلك المخالفات لربما أدّت إلى نفور الناس عن آلمركز أو المسجد، فالتصرف الصحيح هو الطيب من القول و الهداية إلى الصراط الحميد.
المسائل الخلافية لا تدخل في الأمر و النهي و يجب الرجوع فيها إلى العالم الحكيم: وذلك إذا كان الخلاف معتبراً عند أهل العلم وخاصة عند المذاهب الإسلامية المتبعة، لأنَّ لكل مذهب إمام و دليل عليه العمل، ولا يمكن أنْ يتفق أهل العلم في كل الفروع والأحكام لكن يجب الحفاظ على وحدة المسلمين ما أمكن، والمصيب واحد, لأنّ الحق واحد لا يتعدد والمخطئ غير متعيّن لنا ولا يمكن الجزم بالصواب مطلقا، والإثم مرفوع عن المجتهد وعمّن يتابعه و يقلده ما دام لا يصل حدّ الدّم و ذهاب كرامة أو تشويه سمعة ولا يمنع ذلك من الرّدِّ العلمي ومناقشة المخالف بالأدلة البيّنات ونحو ذلك, و الخروج من الخلاف حسن مستحب مندوب إلى فعله برفق كما قالوا خصوصا حين تحيط المخاطر بآلأمة و تهدد مصيرها.
الخروج من الخلاف أو تركه واجب إذا لم يلزم منه إخلال بحكم آخر أو وقوع في خلاف آعظم أو مفسدة أما الخلافُ الشّاذُ أو غير المعتبر فيحق تركه, بل يجب الإنكار على صاحبه، لعدم قيامه على دليل مقبول ولا قيمة لهذا النوع من الخلاف ولا يمنع من الإنكار.
يجب المعرفة بحال من يأمره أو ينهاه: و هذا نحو من دخل بلداً وهو لا يعرف عاداتهم أو لهجاتهم أو مذاهبهم الفقهية و سوى ذلك، خاصة ما قد يكون ممّن حاله الاضطرار كمن جاز له أكل الميتة أو لحم الخنزير، و كمسافر أفطر في رمضان و نحو ذلك واختلال معرفة أحوال من نأمره بمعروف أو ننهاه عن منكر؛ قد يتسبب بالخطأ أو الحرج أو الوقوع في منكر آخر.
أن يكون المنكر ظاهراً: فلا يتحسس و لا يتجسس على الناس، فلا يصحّ و لا ينبغي لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنْ يتتبع عورات الناس و يكشف أستارهم و لا يبحث عما لم يظهر منهم و هذا فساد عظيم يؤدي إلى دمار المجتمع، و استثنى العلماء من ذلك ما يفوت استدراكه من المُحرَّمات كمن اختلى برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها فيصح الإقدام على الكشف واجب لإيقاف وقوع الجرم.
أنْ يكون المنكر واقعاً في الحال لا في الماضي: فلا يجري الإنكار على ما وقع من شخص ما من منكرات في أزمان ماضيّة، إلا إن كان من باب التذكير بالتوبة أو وقوع المفاسد الممكنة و نحوها لمن فرط أو قصر في حقّ الله تعالى أو حقوق الناس.
تأجيل الأمر أو النهي إلى وقت مناسب: إذا احتمل أن التأخير يسبب الصلاح, فالكثير من الناس نراه من المتعجلين في الأمر أو النهي فيما يصادفه من الأمور و الحقّ أن المسارعة في النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محمودة غالباً إذا كانت في الواضحات وفي المواقف التي قد لا تحتمل التأجيل, لكن نخصص الحديث عن كثير من المواقف والحالات التي تحتمل التأخير إلى وقت أنسب أو مكان أبلغ في الأمر أو النهي؛ حتى يحصل التأثير الذي يدفع الناس إلى الاستجابة كأن يؤجل أحدهم أمر أحد جيرانه إلى يوم الجمعة أو إلى وقت زيارته أو حين يجد منه رقة في القلب أو همة في العبادة ونحو ذلك وهذا من الفقه الدقيق والعمل الصالح السليم نسأل الله التوفيق.
استثمار الفرص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: و يقصد بذلك من أوقات وأماكن مخصوصة وتجمعات كالجُمع و الجماعات، فما يتقبله الناس في رمضان أكبر و أكثر مما يتقبلونه في سواه، و كذلك في الحجّ و نحوه من مواسم و أماكن العبادة و المناسبات, ومن خلال ما تيسر بيانه وذكره، و بمراعاته يتضح للمسلم متى يأمر ومتى ينهى ومتى لا يأمر ولا ينهى. فلا ينهى عن منكر وقع في الماضي ولا يتجسس من أجل ذلك ولا ينهى من لا يعرف حاله ولا يُدخل الخلاف الفقهي في مسائل الأمر والنهي ويوازن في حالات اختلاط المعروف بالمنكر ويأمر بالأولى والأهم و دون أن يؤدِ إلى منكر مماثل أو أكبر من الأول ولا يأمر ولا ينهى إلا عن علم و لصلاح و لحفظ كرامة الآخر و عدم تشويه سمعته لرضا هوى نفسه أو كشف عورات الآخرين بإساليب شيطانية, كأن يبدأ كلامه بحسن نيه لكن المراد الحقيقي هو سوء نيّه للنيل من الآخر ويدخل ضمن الغيبة و الكبائر التي لا يغفرها حتى الله تعالى والله الموفق وهو الهادي والحمد لله رب العالمين.
(23) كان البرنامج الذي أعددته لأعضاء التنظيم في الحركة الأسلامية العراقية خلال السبعينات, هو : على آلدّاعية أن يهدي كل يوم أو (أيام) عراقي واحد لطريق الحقّ بدل طريق الجهل الذي بدأ ينتشر بقوة مع تصدي حزب آلجهل البعثي للحكم بقيادة

أجهل رئيس مجرم هو صدام الفاسد, و لم يكن سهلاً قول كلمة الحقّ وسط جهنم العراق .. لأنك كنت تخاطر بحياتك نتيجة دعوتك للناس .. فبمجرد تقرير من أحدهم كان كافياً لئن يتسبب بإعدامك, و قد حدث مراراً و تكراراً.

نتيجة البحوث ألسّابقة:

نتيجة البحوث السابقة بإختصار:

للفكر و التأمل في علّة الوجود و آفاق الخلق دور هامّ لتفعيل (الخيال) ألّذي يؤدي لتنمية قوة العقل خصوصاً الباطن ألمسؤول عن الأبداع و الكشف و التّقدم على جميع الأصعدة و بألتالي تحقق ألمقدمات المطلوبة للحياة السعيدة الآمنة عبر الطبابة الكونية ألّتي وحدها تُعالج الأزمات الخانقة التي تمّر بها البشرية لأسباب معلومة و لم تعد خافية بعد بياناتنا الكونيّة.

و قد أكّدت ألرسالات السّماوية و بآلأخص القرآن الكريم على التّفكر و التأمل و التدبر و العرفان الذي يؤدي إلى الأسفار التي وحدها تُحقق آلحكمة في وجود آلأنسان لنيل رضا الله و تحقيق الحياة السعيدة على كل صعيد.

حيث إن رضا الله يتم بتحقيق رسالة الوجود التي خلق الله الأنسان لأجلها, و لا يتحقق ذلك إلّا من خلال المعرفة التي تحصل من خلال الوسائل التي عرضناها, و هذا ما حددته الآية العظيمة التي أجمل الباري فيها قضية الوجود و خلق الأنسان بكونها لأجل العبادة, [و ما خلقت الجّن والأنس إلا ليعبدون - أي ليعرفون], و ليس العبادات الفردية أو الجماعية في المسجد وغيره.

و أهمّ ألمعارف الثلاثة الأساسيّة في الطبابة الكونيّة هي معرفة :

ألجّمال؛
ألعِلم؛
عمل ألخير؛

و تحتاج تلك المعرفة الوسائل و الآليات التي بها يمكننا كشف ذلك إلى جانب تهيئة الأجواء المناسبة و الوسائل المتعلقة, و إلا فأنّ تلك المعرفة مستحيلة التحقق حتى لو عاش المتخصصون و الخبراء و المراجع – و ليس العوام فقط - قروناً لأنّها تدخل ضمن الثقافة ألكونيّة, و العلم يختلف عن الثّقافة التي بها يمكننا فقط كشف الأبعاد الكونيّة الثلاثة كأركان للوجود.

لذلك فأن توفير أجواء و وسائل تحقق الفكر و التدّبر ليس فقط مسألة عقلية و منطقية؛ بل هو واجب على كل مسافر في فضاء الحقيقة و العرفان للوصول إلى المعشوق الحقيقي, و من أهمّ الوسائل التي تشجع و تحقق التّفكر هو توفير الأجواء المناسبة و الآمنة بجانب الحريّة لتنمية و بروز التفكر , حيث يستطيع الذي يعيش في تلك الأجواء أن يعطي رأيه و يستلم الآراء الأخرى في المقابل و بآلتالي تحقق حالة التفريغ من الداخل و رفع حالة الأحتقان و القهر التي تعيشيها شعوب العالم اليوم, و الدكتاتورية لا تسبب فقط تحديد و موت الفكر و بآلتالي خسارة المجتمع من التنور بتلك الأفكار؛ بل و تسبب لأن تتّجه الأفكار للدوغماتية و الراديكالية بعد تلونها بألوان داكنة و بآلتالي ترسّخها في ثنايا المجتمع و تفكير العاملين و المراكز التعليمية و السياسية و الأقتصادية و غيرها لتكون النتيجة الأستبداد و القهر و الجوع و القتل و الظلم و الفساد.

لذا على المفكر الحقيقي أن يواظب على سوق أفكاره بشرطها و شروطها لتلافي تلاعب المغرضين بها لمصالحهم و بآلتالي تحريف الأفكار و تسويقها في الأتجاه الخاطئ, و بآلتالي عليه أن يستفيد من الفكر و تقويمه و سوقه و حفظه بآلأتجاه الصحيح, كي لا يستغل من قبل الفاسدين و كما حصل في بلادنا, لأن الناطق و الداعي المزوّر يتسبب في تحريف معاني الفكر أولاً و بآلتالي جهله بكيفية إستثماره للصالح العام.

ألخاتمة

ألخاتمة:

تمّ بعون الله و فضله إنهاء الجزء الأول من كتاب (الطبابة الكونية), و هي عبارة عن موضوعات تضمنت قواعد رئيسية و مرتكزات لبدء الطبابة الكونية التي تحافظ على سلامة الروح و النفس و بآلتالي الجسد المادي الذي يتبع عادة روح الأنسان و آلتعليمات التي ترده عن طريق العقل , نسأله تعالى أن يوفقكم لقراءة الجزء الثاني و الأستمتاع بفصوله و الإستفادة من ما ورد فيه من طبابة تغنيك عن الكثير في عصر قلّما تجد فيه سليم الروح و الجسد لأسباب عديدة لم تعد خافية.

محبتي لكم و أسأله تعالى أن يوفقكم لكل خير.

عزيز حميد مجيد

تمّ ألجزء الأوّل من الكتاب بعون الله و تسديده

و هذا الكتاب يُعتبر رسالتي الكونيّة ـ ألأصلاحية لكلّ البشر لخّصتُ فيه إجمالاً حقيقة ألأنسان الكونيّ المؤمن ألذي يهدف لنشر ألخير بدل آلشّر, خصوصاً للّذين يُريدون آلإنتقال و آلتّخلص من آلحالة ألبشريّة ألتي تُكبّل ألأنسان ـ ألدّائر في فلك ألمادّيات ألمحدودة ـ للأنتقال إلى آلحالة آلأنسانيّة ألتي هي بداية ألتأهيل للأنتقال إلى آلحالة آلآدميّة آلتي معها فقط تتحقّق آلرّسالة آلتي خُلقَ من أجلها في هذا الوجود.

[قالتْ لهُم رُسُلَهم إنْ نحنُ إلّا بشرٌ مثلكمْ و لكنّ الله يَمنُّ على مَنْ يشاء من عباده و ما كانَ لنا أنْ نأتيكم بسلطان إلّا بإذن الله و على الله فليتوكل ألمؤمنون] صدق الله العليّ العظيم (سورة إبراهيم/11).

كُتب للمؤلف:

1- قصّتنا مع الله.
2- مأساة ألحُسين(ع) بين جفاء الشيعة و جهل السُّنّة.
3- حقيقة جلال ألدّين ألرّومي.
4- مستقبلنا بين الدّين و الدّيمقراطية.
5- همساتٌ فكريّةٌ كونيّةٌ – 4 أجزاء.
6- ألأزمنة البشريّة ألمحروقة.
7- فلسفة الفلسفة الكونيّة.
8- محنة ألفكر الأنسانيّ.
9- أسس و مبادئ المنتدى الفكريّ.
10- ألشّهيد ألمظلوم محمد باقر الصّدر؛ فقيه الفقهاء و فيلسوف الفلاسفة.
11- دور طبيعة العلاقة الزّوجية بين الأبوين في نشوء المشكلات السلوكية لدى الأبناء.
12- ضحايا التأريخ.
13- فنّ ا لكتابة و الخطابة – جزآن.
14- نظرية الفلسفة الكونيّة.
15 ألسياسة و الأخلاق؛ مَنْ يحكم مَنْ؟
16- نصب الحريّة و الحقائق الخفيّة.
17- أسفارٌ في أسرار الوجود – أربعة أجزاء.
18- رؤية علميّة لما بعد المعاصرة.
19- ألأسفار الكونية السبعة.
20- ألطبابة الكونيّة.